

تَفْسِيرُ الْجَاكِيمِي
المُسَمَّى
تَخْلِصُ الدَّرَرِ

تأليف
عبد المحمّد بن عبد المحمّد الحارثي
(ت. بعد ٥١٤ هـ) رَحِمَهُ اللهُ

تتبع
أ. د. أحمد بن فارس السّلم
عَمَّا اللهُ عَنهُ

دار ابن حزم

تَفْسِيرُ الْحَاكِمِيِّ
المُسَمَّى
تَخْلِصُ الدَّرَرِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



9 789959 859426

ISBN: 978-9959-859-42-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

تَفْسِيرُ الْجَاكِيمِيِّ

المُسَمَّى

تَخْلِيصُ الْمَذَاهِبِ

تَأَلَّفَ

عبد المحمَّد بن عبد الحميد الحارثي

(ت: بَعْدَ ٥١٤ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

بِحَقِّقِ

أ.د. أحمد بن فارس السَّلوَم

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

المجلد الرابع

(سُورَةُ الشُّورَى - سُورَةُ النَّاسِ)

دار ابن حزم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة عسق

[مكية^(١)] وهي خمسون وثلاث آيات في الكوفي، وآية في البصري^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْ ١ عَسَق﴾ ابن عباس رضي الله عنه: هو ثناء أثنى الله على نفسه، ح: حلمه وم: ملكه، وع: علمه، وس: سناؤه، وق: قدرته على خلقه^(٣).

أبو سهل: معناه بسم الله الرحمن الرحيم الحليم المجيد العليم السميع القدير.

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ حم عسق كما أوحى ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ ابن عباس: ليس نبي إلا قد أوحى إليه بحم عسق، كما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣﴾ عزيز في سلطانه حكيم في قضائه.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ الرفيع فوق خلقه بالعلو والقدرة ﴿الْعَظِيمُ ٤﴾ في برهانه.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ يتشققن من فوقها من السكَّانِ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يُنَزِّهون الله من مقالة الأدميين بأمر الله وتوفيقه.

(١) أسقط الناسخ التنزل، وسورة الشورى مكية كسائر ذات حم، انظر: الكشف والبيان

٣٢١/٢٣، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٥٨/٤ أن منها ما هو مدني.

(٢) في البيان للداني ٢٢١ خمسون وثلاث في الكوفي، وخمسون في عد الباقيين.

(٣) تفسير أبي الليث ٢٣٥/٣، تفسير السمعاني ٦٢/٥، زاد المسير ٥٨/٤.

(٤) وهي رواية الكلبي، كما في زاد المسير ٥٩/٤.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: عموم بمعنى الخصوص، يعني: للمؤمنين خاصة^(١).

وعن الضحاك: أَنَّ الملائكة قالوا: عجباً من بني آدم، فَصَلُّوا وَأُكْرِمُوا فيذنبون ويعصون، ويغفر الله لهم، ويُدخلهم الجنة، ثم نكون خولاً لهم في الآخرة، ونحن لا نعصي طرفة عين.

فأوحى الله إليهم أني سمعت مقاتلكم، وإني مبتليكم بالبليّة التي ركبتموها في صدورهم، فميّزوا مائةً من أفاضلكم، ففعلوا، ثم قال: ميّزوا تسعين من هؤلاء، ففعلوا، وهكذا حتى صارت المختارون منهم ثلاثة، فقال لهم: أهبطوا إلى الأرض فقد ركبتم فيكم ما ركبتم في الآدميين؛ من شهوة الجماع والطعام والشراب، فلما نزلوا إلى الأرض صغت أنفسهم إلى الشهوات، فكانوا لا ينظرون إلى امرأة إلا اشتهاها أن يواقعوها، وقصّتهم إلى آخره، فلما نظرت الملائكة إلى ما ابتليت به الثلاثة، قالت الملائكة بعضهم لبعض: هلمّوا فلنستغفر لمن في الأرض، فاستغفروا لهم، فأوحى الله تعالى إليهم أن استغفركم هذا في أرض لعبادي، وإن منهم من لا يوحدوني، فنهاهم أن يستغفروا للمشركين، فنسخت هذه الآية بالآية التي في حم المؤمن: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٧)، فصار استغفارهم للمؤمنين خاصة.

ثم قال ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٨).

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ من الأصنام والملائكة ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ شهيد ورقيب ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد ﴿بِوَكِيلٍ﴾^(٩) حفيظ ولا مُسَلِّط.

وهذه الحرف منسوخ بآية السيف^(١).

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ليفهموه ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة، وأم الشيء: أصله، والأرض جميعاً دُحِيتْ من مكة فُسِّمَتْ أُمًّا ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ولتنذر بالقرآن سائر الخلق ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ أي: نخوفهم بالقيامة يجتمع فيه الأولون والآخرون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ عند من آمن به ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾ في الجنة السعداء وفي السعير الأشقياء.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مجمعين على الإسلام، ولكن لم يشأ ذلك لأنه علم أنه لو فُوض الأمر إلى اختيارهم لا يختارون ذلك، بل يختارون ضده ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أخبر أن من أعطاه الله ذلك أعطاه بفضله ورحمته ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ من المشركين وغيرهم ﴿مَا لَهُمْ﴾ في الأرض ﴿مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٨﴾.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ معناه: بل عبدوا من دون الله أرباباً من الملائكة والأصنام رجاء أن يشفعوا لهم ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ الرب لهم ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ لا الأصنام ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٩﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ﴾ أي: في الدين ﴿مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ﴾ أي: بيانه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وعلمه عند الله وفي كتابه، كقوله: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه^(٢).

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ ربكم لا شريك له ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَالِيهِ أُنِيبُ﴾ ﴿١٠﴾ أرجع إليه في الآخرة.

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٧.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٥٠٦.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾
ذكرًا وأنثى ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ يكثر كم بالتزويج^(١).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف: زائدة لأنه ليس له مثل، عن الزجاج وأبي سهل^(٢).

وقيل: معناه ليس كهو شيء، والعرب تقيم المثل مقام النفس، يقولون: لا يقال هذا المثلي يريدون به أنفسهم^(٣).

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقالة خلقه ﴿الْبَصِيرُ﴾^(٤) العالم بأعمالهم
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: مفاتيح الرزق: المطر والنبات
والثمار.

(١) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤ / ٣٩٥، وفي تفسير الطبري ٢١ / ٥٠٨ أن بعض المفسرين قال: يخلقكم فيه، وبعضهم قال: يعيشكم فيه، ثم قال ابن جرير: وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائلتهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا.

(٢) نص عبارة الزجاج في معاني القرآن ٤ / ٣٩٥: هذه الكاف مؤكدة والمعنى: ليس مثله شيء. وهذا هو الوجه الثاني في الآية عند ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١ / ٥٠٩، وقال: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، كقول الراجز: «وصاليات ككما يؤثنين» فأدخل على الكاف كافًا توكيدا للتشبيه.. (وجوز الزمخشري هذا الوجه في الكشف ٤ / ٢١٣).

(٣) ويكون المثل هنا توكيدا، وهو الوجه الأول عند ابن جرير في تفسيره ٢١ / ٥٠٩ حيث قال: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل: «ما إن نديت بشيء أنت تكرهه» فأدخل على ما؛ وهي حرف جحد: إن، وهي أيضا حرف جحد، لاختلاف اللفظ بهما، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام.. (وانظر: الكشف والبيان ٢٣ / ٣٣٥، الكشف ٤ / ٢١٣).

وقيل: مفاتيح خزائن السماوات والأرض، واحد المقاليد: مِقلاد^(١).

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُوسِّعُ على من يشاء ويقتَرَّ على من يشاء ﴿لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من البسط والتقدير ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] ﴿وَالَّذِينَ﴾ اسم لما يعتقد به، وأراد به دين الإسلام ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل ﴿وَمُوسَى﴾ الكليم ﴿وَعِيسَى﴾ النجي ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ استقيموا على الإسلام ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي: عليكم أن تألفوا ولا تختلفوا ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: عَظُمَ على مشركي مكة دعوتك إياهم إلى التوحيد ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يستخلص لدينه الإسلام بمشيئته وعلمه الأزلي مَنْ كان أهلاً لذلك ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿٢٣﴾ أي: يُرشد إلى الإسلام بمشيئته من يرجع إلى التوبة عن الشرك.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: علم الإسلام في كتابهم ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني به اليهود ﴿بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسداً بينهم ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم ﴿إِلَّا أَجَلَ مُسَمًّى﴾ إلى انقضاء آجالهم ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بما سألوا من العذاب ﴿وَالَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد أنبيائهم ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ ﴿٢٤﴾ من أمر محمد يعني به أهل الكتاب.

قوله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ يعني: إلى ذلك الكتاب والذين فادع المتفرقين ﴿وَأَسْتَقِمَّ﴾ على الدين ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أن تترك دعاءهم إلى التوحيد ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ عليّ وعلى الأنبياء قبلي

﴿وَأْمَرْتُ لِعَلِيلٍ بَيْنَكُمْ﴾ بالدعوة إلى الإسلام ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ لنا الإسلام ولكم الكفر، كما في آية أخرى: ﴿وَأَن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي
عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لا يؤاخذ أحد بعمل صاحبه^(١).

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لا احتجاج ولا خصومة بيننا يوم القيامة،
وقيل: لم يبق حجة على ما دعوتكم إليه إلا وقد أقمتها^(٢).

﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في الآخرة للمجازاة ﴿وَالِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ فيجزينا
بأعمالنا.

ثم قال ﴿وَالَّذِينَ يَحْجُوتُ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ﴾ والمُحَاجَّةُ:
المنازعة والمخالفة.

أراد به اليهود نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إِنَّ دِينَنَا أَقْدَمُ،
وكتابنا أكثر، من بعد ما استجاب له بعض الناس إلى التوحيد^(٣).

وقيل: بعدما أقرؤا به يوم الميثاق^(٤).

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: خصومتهم في دين الله باطلة ﴿وَعَلَيْهِمْ
عَذَابٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(٥).

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ وأنزل الميزان للعدل فيما بينه
وبين خلقه، وقيل: الميزان الذي يُوزَن به^(٥).

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٠.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٥١٧.

(٣) وهي رواية العوفي عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري ٢١/ ٥١٨، وروى عن مجاهد أنه
قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية.

(٤) المعروف أن المعنى: من بعد ما استجاب له الناس (الكشف والبيان ٢٣/ ٣٣٩).

(٥) تفسير الطبري ٢١/ ٥٢٠.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: ما تدري يا محمد ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿١٧﴾.

ولم يقل: قريبة؛ لأن تأنيث الساعة ليس بحقيقي، لأن المراد منه البعث^(١).

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: لا يُقَرُّون ولا يستيقنون ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي: خائفون منها لما يعلمون من أهوالها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أي: الصدق ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ في البعث ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿١٨﴾ أي: في جهل وحيرة أبداً.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ اللطيف: الرفيق بعباده رفقا لا يُحاط بوصفه، إذ كلف عباده دون الطاقة، ورزقهم فوق الكفاية، عن المفسر الكبير^(٢).

وقيل: اللطيف الذي يُنصف ولا يتنصف.

وقيل: اللطيف الذي ينشر المناقب، ويظهرها، ويستر المثالب، ويكتمها^(٣)، وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا من أظهر الجميل وستر على القبيح»^(٤).

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٤، ونص عبارته: وهو بمعنى لعل البعث قريب ويجوز أن يكون على معنى لعل مجيء الساعة قريب.

(٢) نقل الثعلبي عن ابن عباس قال: حفي بهم، وعن عكرمة: بار بهم، وعن السدي: رفيق بهم، (الكشف والبيان ٢٣/٣٤٠).

(٣) الكشف والبيان ٢٣/٣٤١.

(٤) روي من حديث أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فقال: يا محمد، أتيتك بكلمات لم آت بها أحداً قبلك، قل: يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، ولم يأخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر، ويا عظيم العفو، ويا كريم المن، ويا عظيم الصفح، ويا صاحب كل نجوى، ويا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها، ويا منتهى كل شكوى، ويا رباه، ويا سيده، ويا مناه، ويا غاية رغبته، أسالك أن لا تشوه وجهي بالنار.

وقيل: اللطيف هو العالم بمصلحة العباد، من عَلِمَ أن صلاحه في فقره أفقره، ومن كان صلاحه في غناه أغناه، ومن كان صلاحه في سقمه أسقمه، ومن كان صلاحه في صحة جسمه صحَّه.

﴿بَرَزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ كيف يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ القوي على ترزيق العباد، العزيز بالانتقام عمن خالفه.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: مَنْ أراد بطاعته ثواب الآخرة نزل له بالواحد عشرة إلى سبع مائة إلى الألف.

﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ وهم الفجار، يريد بعمله رياء الناس ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قدر له من وفق مراده في الدنيا ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي: حظ وثواب.

ثم ذكر أهل الشرك فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ أي: سنُّوا وبيَّنوا ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ وليس كذلك ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ الذي سبقت بتأخير العذاب عن هذه الأمة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أهلكهم بالعذاب كما عذب غيرهم ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ثم بيَّن حالهم فقال ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي: خائفين من جزاء كفرهم في الآخرة ﴿وَهُوَ وَقَعَ بِهِمْ﴾ واجب عليهم ولازم لهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من أداء الفرائض ﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾

رواه العقيلي في الضعفاء ٩٢/٢، وفيه زهد بن الحارث تفرد فيه، وهو متكلم فيه، قال العقيلي: لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به.

وقد توبع عند البيهقي في الأسماء والصفات ١٤٥/١ لكن من جهة شديدة الضعف.

ورواه الحاكم في المستدرک ٧٢٩/١ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفيه أحمد الصنعاني اتهمه الذهبي بهذا الحديث (میزان الاعتدال ١/١٣٦).

مجتمع الماء في المكان المطمئن، الذي ينبت فيه أنواع الكلاء والعُشب، وفي الجنة: أمكنة موفقة معجبة ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من التُّحف ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٢٢﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ الفضل ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ يُفَرِّحُهُمْ في الدنيا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ على ما دعوتكم ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ إِلَّا أَنْ تَنْصُرُونِي وَتَعْضُدُونِي بِقَرَابَتِي مِنْكُمْ، حتى أبلغ رسالات ربي، ثم نسختها قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ من النُصرة والحيطة أي: لا أطلبكم به^(١).

وقال الحسن: إِلَّا أَنْ تَوَدُّوا أَقَارِبِي مِنْ أَجْلِي، وَلَا تَوَذُّهُمْ، فقالوا: لَا تَوَذُّوا أَقَارِبَهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَعِيبُ آلَهُتَهُمْ، فقالوا: سَأَلْنَا أَنْ لَا نُؤْذِيَ أَقَارِبَهُ فَفَعَلْنَا، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَعِيبُ آلَهُتَنَا، فنزلت: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٢).

﴿وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ يكتسب طاعة لوجه الله ﴿تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: إحسانًا بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الأضعاف ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب العباد ﴿شَكُورٌ﴾^(٣) قابلٌ لحساناتهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: القرآن، وليس من الله، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّتْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ حتى لا تدخله المشقة من تكذيبهم إياك ﴿وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ المشقة من قلبك.

وقيل: فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ تعالى يُنْسِيكَ القرآن حتى لا تحفظ ولكن لم يشأ الله ذلك^(٤).

(١) لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة، فقال لهم: يا قوم إذ أبيتم اتباعي فاحفظوا قرابتي فيكم (تفسير الطبري ٥٢٥/٢١).

(٢) وممن قال بهذا القول سعيد بن جبير (تفسير الطبري ٥٢٨/٢١). وهذا الذي نقله عن الحسن لم أجده، لكن نقله ابن الجوزي دون نسبة للحسن بل لبعض التفاسير: زاد المسير ٧٤/٥.

(٣) وهو قول قتادة (تفسير الطبري ٥٣٢/٢١، زاد المسير ٧٥/٥).

﴿وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: يظهر أهل الحق على أهل الباطل بظفره ويقر الدين بآياته ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٤﴾ بما في قلبك من الحزن. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ بالتوبة ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: يجيبهم الله إذا دعوه ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أكثر مما سألوه وأملوه ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢٦﴾. ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طغوا على الله فيها ﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ كيف يشاء ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٧﴾ بمصالحهم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ أي: المطر من السماء ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا﴾ من المطر ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ على عباده ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ لمن أطاعه ﴿الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٨﴾ في فعّاله. ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ وهو الملائكة وبنو آدم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ في الآخرة بعد البلى ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾.

﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قال الضحاك: ما حفظ رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ونسيان القرآن من أعظم المصائب^(١). وروى عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس من التواء عرق، ولا نكتة حجر، ولا عثرة قدم، ولا خدشة عود، إلا بذنب»^(٢) وهو معنى الآية، ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٠﴾ أي: ما يعفو الله أكثر.

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٨٣/٢٣.

(٢) بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف، رواه الثعلبي عن الحسن البصري مرسلًا (الكشف والبيان ٣٧٧/٢٣). وروى الثعلبي حديثًا عن علي بن أبي طالب معناه قريب ولفظه مختلف، وإسناده ضعيف.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لستم يا أهل مكة بفائتين الله هرباً في الأرض ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣١).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٢) أي: من علامات توحيده: السفن تجري في البحر على وجه الماء، كالجبال، والأعلام: الجبال^(١).

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ التي تجري بها السفن ﴿فَيُظِلِّلَنَّ رَوَاكِدَ﴾ سواكن على ظهره، والظلول: البقاء على حالة واحدة نهاراً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ السفن إذا ركدن وجرين ﴿لَايَتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على طاعة الله ﴿شَكُورٍ﴾ (٣٣) لنعمة الله.

﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ يعني: وإن يشاء يهلك أهل السفينة بكسبهم، أي: بمعصيتهم ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٤) من كسبهم الخبيث ولا يجازيهم به.

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ قال أبو سهل: نصب على ضمير اللام، معناه: وليعلم الذين يجادلون^(٢).

وقيل: هو نصب على الصرف، لأنه صرف الكلام من حال الجزم إلى النصب كراهة لتوالي الجزمات، والأفعال الأولى كلها مجزومة، نسقاً على قوله ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ (٣٥).

وقرئ: «ويعلم»، بالرفع، معطوف على قوله: «ويعف»^(٤).

ثم قال ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحْيٍ﴾ (٣٥) أي: منجى ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أعطيتم يا أهل

(١) تفسير الطبري ٢١ / ٥٤٠.

(٢) الكشف ٤ / ٢٢٧، وانتقد هذا الوجه. ويرى الزجاج أنه نصب على إضمار أن لأن قبلها جزاء (معاني القرآن ٤ / ٣٩٩).

(٣) الدر المصون ٩ / ٥٥٩ ونسبه للزجاج.

(٤) وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر (النشر ٢ / ٣٦٧).

مكة ﴿فَتَمَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ مما يفنى ولا يبقى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وأدوم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانَ رَبُّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦).

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ أي: عظام الذنوب والفواحش.

قيل: ما دون الكبائر، وقيل: الكبائر الشرك، والفواحش ما دونه (١).

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا﴾ أي: سخطوا ﴿هُمْ يَعْفِرُونَ﴾ (٣٧) أي: يعفون لمن ظلمهم.

﴿وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يستبدون برأيهم إلا بوحى من الله.

وقيل: إلا المشاورة فيما بينهم في الأمور الواقعة (٢).

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٨) في طاعة الله.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩) يتصرفون بالقصاص لا بالمكابرة.

ابن عباس: نزلت في الجراحات خاصة (٣).

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ مكافأة للجراح قصاص المجروح: سنّا بسنٍّ، وعينّا بعين، وأذنّا بأذن، ولو كسر العظم فلائنه (٤) ليس لها حد ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ الجراح ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل، لأن العفو من العمل الصالح ﴿فَلَجْرُهُ﴾ أي: ثواب عفوهِ ﴿عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠) المعتدين في الجراحات.

(١) وقيل: الفواحش: الزنى (تفسير الطبري ٢١/ ٥٤٥).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٦.

(٣) وهو من رواية مقاتل فيما يظهر، الكشف والبيان ٢٣/ ٣٨٨، والكلبي كما في تنوير المقباس

٤١٠.

(٤) لعلها هكذا فإنها غير واضحة.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَقُومُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ لَدُنْهِ عِنْدَ اللَّهِ يَدٌ، فَتَقُولُ الْخَلَائِقُ: سُبْحَانَكَ، بَلْ لَكَ الْيَدُ، فيقول ذلك مراراً، فيقول الله تعالى: بَلْ مِنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الْقُدْرَةِ»^(١).

ثم قال: «وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ» أي: انتصف من ظالمه بعد مظلّمته «فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ»^(٢) أي: حُجَّةٌ، وقيل: مأثم^(٣).

«إِنَّمَا السَّبِيلُ» الإثم في العقوبة «عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» يستطيّلون على عباد الله بالباطل «أُولَئِكَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٤) وَلَمَنْ صَبَرَ عَلَى ظُلْمِ الْعِبَادِ «وَعَفَرَ إِنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورُ»^(٥) أي خير الأمور. قال الكلبي: هذه الآيات الأربع مديّنات^(٦).

«وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ» أي: ومن يخذله الله «فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ» أي: ما للمخذول من قريب بعد خذلان الله إيّاه «وَتَرَى الظَّالِمِينَ»^(٧) المشركين في الآخرة «لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ»^(٨) هل من رجوع في الدنيا فنصدّق بما كذبنا.

«وَتَرَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا» أي: على النار، وهذا قبل دخول الكفار النار وهم على الصراط «خَلَّعِينَ مِنَ الدُّلِّ»^(٩) والخزي الذي نزل بهم «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ»^(١٠) يعني: مسارقة النظر.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧٩٧٧، وهو حديث منكر، تفرد به عمر بن راشد، منكر الحديث (لسان الميزان ٩٧/٦). وله شاهد عن ابن عباس عند الثعلبي في الكشف والبيان ٣٩١/٢٣ بإسناد حسن.

(٢) زاد المسير ٦٨/٤.

(٣) وزعم أن عمرو بن غزية الأنصاري شتم أبا بكر فنزلت (تنوير المقباس ٤١٠).

وقيل: هو النظر بالقلب لأنهم يُحشرون على وجوههم عُمياً وبُكماً وُصماً.

وقيل: إذا سمعوا حساً وقفوا عادة العُميان في الاستماع والنظر^(١).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث صاروا إلى النار وحُرموا الجنة ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: خسروا أهلهم وخدمهم من الجنة ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين في الآخرة ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾^(٢٥).

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: للمشركين أعوان تمنعهم من عذاب الله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ له في الدنيا ﴿فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٢٦) إلى الهدى.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ بالتوحيد^(٢) ﴿مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: قبل قيام الساعة، لا مانع له إذا جاءنا من الله ﴿مَا لَكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿مِّنْ مَّلَاجٍ﴾ أي: حرز ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تلجئون إليه ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ تَكْوِيرٍ﴾^(٢٧) أي: مالكم من قدرة على إنكار ما حلَّ بكم.

ثم قال لرسوله: ﴿فَإِنَّ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة إلى الهدى، أي: التوحيد والتصديق ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ أي: رقيقاً.

وهذا الحرف منسوخ بآية السيف^(٣).

(١) الكشف والبيان ٢٣ / ٣٩١.

(٢) في الأصل تصحيف وغلط في كتابة الآية، ففيه: استجيبوا إلى ربكم: وقرئ لربكم بالتوحيد، وهذا غلط في الآية ثم صحف إلى كلمة: وقرئ، وليس في هذا الحرف قراءة. وهذا الذي اثبتته يطبق عليه المفسرون.

(٣) تفسير أبي الليث ٣ / ٢٤٩.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَعُ﴾ عن الله والإنذار من عذابه ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمه ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصْبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ فقر ومرض ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ﴿٤٨﴾ نِعَمَ اللهُ.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ في الرحم، كيف يشاء، ذكرًا أو أنثى، والخلق منه: إحداث شيء وإيجاد عينه.

﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتَاهُ﴾ بناتًا ﴿وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ﴿٤٩﴾ البنين.
﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتَاهُ﴾ يخلطهم ذكرانًا وإنثاءً، بنين وبنات، وكل شيء يقرن فقد ازدوج وصار زوجًا^(١).

﴿وَجَعَلَ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لا يلد ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾ على الهبة والإمساك.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ أي: ليس لأدمي أن يكلمه الله إلا وحيا في المنام، أو من وراء حجاب كما كلم موسى ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي: جبريل إليه ﴿فَيُوحِي بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بأمره ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ ﴿٥١﴾ بإرسال الرسل ومواترة الكتب.

قال الضحاك: كلم الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم من وراء حجابين، حجاب من فراش ذهب، وفراش من لؤلؤ، ما بين الحجاب إلى الحجاب مسيرة سبعين سنة^(٢).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٤٠٢.

(٢) لم أجده، وفي الدر المثلث عن الزهري قال: نزلت هذه الآية تعم من أوحى الله إليه من النبيين، فالكلام كلام الله الذي كلم به موسى من وراء حجاب، والوحي ما يوحى الله به إلى نبي من أنبيائه، فيثبت الله ما أراد من وحيه في قلب النبي، فيتكلم به النبي ويعيه، وهو كلام الله ووحيه، ومنه ما يكون بين الله ورسله، لا يكلم به أحدا من الأنبياء ولكنه سر غيب بين الله

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: وصفنا لك إليك ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ أي: ملكًا بأمرنا حتى أَدَّى إِلَيْكَ رسالتنا.

قيل: الروح النبوة والكتاب، عن الكلبي^(١).

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ﴾ قبل الوحي ﴿وَلَا الْإِيمَنُ﴾ أي: لم تكن تدري عبارة الإيمان قبل الوحي، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنًا قبل الوحي.

وقيل: «ولا الإيمان»، أي: ما كنت تدري كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، وعلى أي لفظ ولغة تدعوهم.

وقيل: إنه أراد في صغره^(٢).

﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ ولم يقل: جعلناهما، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ عَآيَةً﴾ لأن الآية فيهما واحدة، وهاهنا النور منهما واحد.

ويحتمل: أنه أراد محمدًا، يعني: جعلنا محمدًا نورًا، والقرآن نورًا ﴿لِنَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ نُرْشِدُ ونُوَفِّقُ بالقرآن والكتاب من نشاء من عبادنا، مَن كَانَ أَهْلًا ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يا محمد يعني الإسلام.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ خفض على البدل^(٣) ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

ورسله، ومنه ما يتكلم به الأنبياء عليهم السلام ولا يكتبونه لأحد، ولا يأمرون بكتابتها، ولكنهم يحدثون به الناس حديثًا، ويبينون لهم أن الله أمرهم أن يبينوه للناس، ويلغوهم ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء من اصطفى من ملائكته فيكلمون أنبياءه، ومن الوحي ما يرسل به إلى من يشاء فيوحون به وحيا في قلوب من يشاء من رسله.

(١) وفي تنوير المقباس ٤١١: الروح جبريل، والكتاب القرآن.

(٢) حكاة السمعاني في تفسيره ٨٨/٥، وهو بعيد.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١١٣٦/٢.

أَلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ لأنه مبتدأ كل شيء، وإليه منتهى كل شيء.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الشريعة كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣ / ٣٢٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٩.

سورة الزخرف

مكية^(١)، وهي ثمانون وتسع آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۖ أَقْسَمُ اللَّهُ بِهِ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ، وهو القرآن الذي أبان طريق الهدى من الضلالة، أنه جعل القرآن عربياً، أي: بلغة العرب على قوم يفهمونه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ أي: تفهمون.

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والأُمُّ: هو الأصل^(٣) ﴿لَعَلِّي حَكِيمٌ ۝٤﴾ رفيع شريف، محكم بالحلال والحرام.

المعنى: وإنه لعلي حكيم في أم الكتاب لدينا.

قال ابن عباس: خلق الله اللوح المحفوظ من درة بيضاء، مسيرة خمسمائة عام، وعلّقه بحجاب النور، وأنزل القرآن منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة، وأول ما بُدئ به في شهر ربيع الأول، وفيه وُلِدَ، وفيه توفي صلى الله عليه وسلم^(٤).

﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ وهذا الكلام من فصاحة القرآن، تقول العرب: ضرب الذكر عن فلان صفحاً؛ إذا أعرض عنه وتركه، وهذه على وجه

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٣/٤٠٣، زاد المسير ٧٢/٤.

(٢) وثمان آيات في الشامي، البيان في عد آي القرآن ٢٢٣.

(٣) معاني القرآن ٤/٤٠٥.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/١٨٨ بإسناد منكر. وهو من تفسير مقاتل ٣/٣٢٥.

الاستفهام، والمعنى: أفتركم مُهملاً بلا أمر ولا نهي.

وقال الزجاج: أفنمهلكم ونهملكم ولا نعرفكم ما يجب عليكم معرفته^(١).

وصفحاً: مصدر جاء على خلاف صدره، واختصاره: أفعرض عنكم إعراضاً^(٢).

﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ بالكسر والفتح جميعاً^(٣)، يعني: إسرافكم لا يوجب الإعراض عن تذكيركم.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ في الأمم الماضية ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: أشد من أهل مكة.

وبطشاً: نصب على التمييز^(٤).

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جرت سنة الله بالعذاب عند تكذيبهم الرسل. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ لأنهم كانوا يقرؤون بحدوث العالم.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ ومعناه: نعم خلقهما الله الذي جعل ﴿لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾^(٥) فراشاً وقراراً ومناماً.

(١) معاني القرآن ٤/٤٠٦.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/١١٣٧.

(٣) قرأ أبو جعفر ونافع وحزمة والكسائي وخلف: إن، بكسر الهزة، وقأ الباقون بفتحها (النشر ٣٦٨/٢).

(٤) التبيان ٢/١١٣٧.

(٥) في الأصل: مهاداً، وهي قراءة الجمهور سوى الكوفيين، فإنهم قرؤوا كما أثبت (النشر ٣٢٠/٢).

﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١) بالسُّبُلِ إلى مقاصدكم.
 ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾ وزن معلوم وعدد معلوم ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾ أحيينا بالمطر ﴿بَلَدَةً مَّيْتًا﴾ أي: مكانًا يابسًا لا نبات فيه ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ﴾^(١١) من قبوركم بماء الحيوان^(١).

قال الضحاك: إذا أراد الله تعالى إحياء الموتى أوحى إلى بحر السماء العليا؛ فتمطر على الأرض؛ فتنبُت الأموات من ذلك كنبات الأرض بالمطر.
 ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الأصناف ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(١٢) أي: سحر لكم.

﴿لَتَسْتَورُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ الأنعام، ولم يقل: ظهورها، لأنَّه رده إلى الجنس، والجنس مذكر، ولم يقل: ظهره؛ لأن كل جنس بمعناه جمع^(٢).

وقيل: الهاء راجع إلى كلمة «ما» في قوله: «من [الفلك و] الأنعام تركبون»^(٣).

﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على الظهر ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَحَّرَ لَنَا هَذَا﴾ أي: ذلل لنا ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(١٣) أي: مطيقين، يقال: فلان لفلان مقرن، أي: يطيق عليه، أقرن الرجل إذا صار ذا قرن في الحرب^(٤).

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(١٤) أي: راجعون فيجزينا بأعمالنا.

(١) الكشف والبيان ٢٣/٤١٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٨/٣، تفسير أبي الليث ٢٥٢/٣.

(٣) تفسير الطبري ٥٧٥/٢١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٨/٣، معاني القرآن للزجاج ٤٠٦/٤.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد من أمتي استوى على ظهر دابته، فيقول كما أمره الله إلا غفر الله له، وينبغي للرجل إذا ركب دابته أن يقول: الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر، ورزقنا من الطيبات، وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً، ومن علينا بالإيمان والقرآن، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾» (١).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ وجزء الشيء بعضه، يعني: يقولون للملائكة بنات الله بعد إقرارهم أنه خالق السماوات والأرض.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) جاحد لوحداية ربه، ظاهر الجحود.
﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ استفهام بمعنى الإنكار ﴿وَأَصْفَكَم بِالْبَنِينَ﴾ (١٦) أي: خصكم بالأبناء.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ أي: أخبر ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: وصف له من البنات ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ﴾ أي: صار وجهه ﴿مُسْوَدًّا﴾ عليه الكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (١٧) محزون تردد الحزن في قلبه.

﴿وَمَنْ يُنَشَّؤْ فِي الْحِلْيَةِ﴾ يُرَبَّى وَيُعَدَّى في حلي الذهب والفضة، يعني: الجارية ﴿وَهُوَ فِي الْحِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١٨) لأن الأنثى لا تكاد تقدر على إقامة حُجَّتْها لضعف عقلها (٢).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ٢٦٩٧ من حديث علي.

(٢) وقيل: المقصود الأصنام التي كانوا يعبدون، وهو قول ابن زيد، ورجح الطبري قول الجمهور (تفسير الطبري ٥٧٩/٢١).

وإنما قال: «هو» ولم يقل: «هي» لأنه يرجع إلى كلمة «مَنْ»، والمعنى: جعلتم لله البنات اللاتي تترين في الحلي، ولأنفسكم البنين^(١).

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي: حضروا، وقرئ: «أشهدوا»، على ما لم يُسم فاعله^(٢).

﴿سَتَكُنَّ شُهَدَاءُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾^(٣) ثم يُجازون بها.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ يعني: إن شاء الله أن لا نعبد الأصنام ما عبدناهم، وإنما عبدناهم بمشيئته وأمرنا بذلك.

﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بما يقولون ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٤) يكذبون.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾^(٥) عاملون بما فيه، ملتزمون له ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ ليس لهم حجة ولا كتاب، فنحن فاعلون ما فعلوا، وقائلون ما قالوا.

والأمة هي الملة، والإمة: الطريقة بالكسر^(٦).

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٧) والافتداء طلب الثاني لمتابعة الأول في فعله.

﴿قُلْ أُولَٰؤِ جِنَّكُمْ بِأَهْدَىٰ﴾ أي: بأصوب ﴿مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾^(٨) اتقبلون ذلك مني؟ ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٩) فانتقمنا منهم^(١٠) رجع إلى ذكر الأمم الماضية ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(١١).

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٥٤.

(٢) قرأ أبو جعفر ونافع: أأشهدوا، بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة (النشر ٢/ ٣٦٨).

(٣) وبالكسر قرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٢٣/ ٤٢٣).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: ذو براء منهم، أقيم مقام الفاعل، وقيل: هو اسم لا يُثنى ولا يُجمع، يقال: رجل براء ورجلان براء ورجال براء، ورجل بريء أيضاً، وقوم براء^(١).

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾﴾ الصواب، ويحفظني على دينه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً ﴿٦٨﴾﴾ أي: كلمة التوحيد، وقيل: كلمة البراءة من قومه ﴿بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ يعني: إبراهيم أوصى بها أولاده ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي: رجاء أن يرجعوا عن كفرهم، يعني به العرب لأنهم من أولاده.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ ﴿٧٠﴾﴾ يعني: أهل مكة ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴿٧١﴾﴾ أي: القرآن والإسلام ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٧٢﴾﴾. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴿٧٣﴾﴾ يعني: الكتاب ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَاهِرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ جاحدون.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٧٥﴾﴾ أي: على رجل عظيم من القريتين مكة والطائف، والقائل: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، عنى به نفسه وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف^(٢).

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٧٦﴾﴾ أي: نبوة ربك فيعطون من شأؤوا ﴿نَحْنُ فَسَمَنَّا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴿٧٧﴾﴾ أي: ما يعيشون به ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴿٧٨﴾﴾ مراتب في الرزق، ولا حظر للأرزاق عندي، فكيف يقسمون النبوة من عندهم. وقوله ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ﴿٧٩﴾﴾ فيما فُضِّلُوا من الرزق يتخذ بعضهم

(١) البسيط ٢٠ / ٣٠.

(٢) وقيل: بدل عروة: حبيب بن عمرو الثقفي، روي ذلك عن ابن عباس من طريق العوفي، وفيه أقوال أخرى (تفسير الطبري ٢١ / ٥٩٣، الكشف والبيان ٢٣ / ٤٢٨، البسيط ٢٠ / ٣٣).

بَعْضًا خَدَمًا وَعَبِيدًا، وَيَسْتَعْمَلُونَهُمْ لِأَجْلِ الرِّزْقِ ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢) أي: النبوة والإسلام خير مما يجمعون من الأموال.

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه: لولا أن يجتمع الخلق على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ لهوان الدنيا على الله ﴿وَمَعَارِجَ﴾ أي: سلالم ومدارج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) يصعدون. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ﴾ أبوابًا من فضة ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضة على السُرُرِ ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ (٣٤) يجلسون وينامون.

﴿وَرُحُرَفًا﴾ يعني: الذهب، أي: جعلنا هذه الأشياء فضة وذهبًا، وقيل: الزخرف هو متاع البيت وهي الزينة في اللغة^(١).

﴿وَأَنْ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ﴾ أي: كل ذلك إلا^(٢) متاع الحياة الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥) يعني: الجنة للموحدين.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: يُعرض عن ذكر الرحمن فلا يقبله.

وقيل: يعمى بصره عن القرآن، نزلت في أبي جهل لعنه الله^(٣).

﴿يُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا﴾ أي: نُسلط عليه شيطانًا لعينًا ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) يُزيّن له الضلالة.

﴿وَأَنَّهُمْ لَصُدُودُهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: الشياطين يمنعونهم عن اتباع الدين

(١) تفسير الطبري ٢١/٦٠٢.

(٢) ضبطها في الأصل: لما بالتخفيف، وبالتخفيف بمعنى: إلا، وهي قراءة الجمهور، إلا عاصما وحمزة وابن جمار، فقد قرؤوا بالتشديد (النشر ٢/٢٩١).

(٣) وأصل العشو: النظر بغير ثب لعله في العين، يقال منه: عشا فلان يعيشو عشوا وعشوا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة (تفسير الطبري ٢١/٦٠٣).

المستقيم ﴿وَيَحْسِبُونَ﴾ يعني: الكفار يظنون ﴿أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ إلى الصواب.
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ يعني: الكافر.

وقرئ: «جاءنا»، على التثنية، وهو الكافر والشيطان^(١).

﴿قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ قيل: مشرق الشتاء والصيف،
وقيل: بُعد ما بين المشرق إلى المغرب، فغلب المشرق على المغرب، كما
يقال: عدل العمرين؛ يُراد أبو بكر وعمر، والقمران؛ يُراد الشمس والقمر^(٢)، قال
الشاعر:

لنا قمرها والنجوم الطوالع^(٣)

﴿فَيْسَسَ الْقَرَيْنُ﴾ والصاحب أنت يا شيطان.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أشركتم في الدنيا.

﴿أَنْتُمْ﴾ اليوم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿٣٨﴾.

﴿أَفَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الذي قد فقد سمع القبول ﴿أَوْ تَهْدِي

الْعُمَى﴾ الذين فقدوا البصائر ولا يبصرون الطريق ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٩﴾
أي: خطأ بين، وفي علم الله أنهم يموتون على الضلالة.

﴿فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي: نُميتك ﴿فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ لجحودهم،

من بعد ذهابك.

(١) وعلى التثنية قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وشعبة (النشر ٢/ ٣٦٩).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٠٦، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٢، وعنه صدر، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٤١، البسيط ٢٠/ ٤٦.

(٣) البيت للفرزدق كما في ديوانه ٥١٩، وأوله: أخذنا بأفاق السماء عليكم.

﴿أَوْ تُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ ٤٢ قادرون.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي: تمسك بالقرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٤٣ أي: طريق قيم.

﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أي: شرف لك ﴿وَلَقَوْمٌ﴾ إن آمنوا، وقيل: لأمتك ﴿وَسَوْفَ نُسْأَلُونَ﴾ ٤٤ عن جحودكم لنبیکم، وقيل: تسألون عن هذا الشرف أدیتم شكره أم لا.

﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ قال الكلبي: سأل من أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا وهم مؤمنو أهل الكتاب^(١).

﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ٤٥ هل جاءهم نبي يدعوهم إلى عبادة الأصنام، فكيف يعبدونها هؤلاء، الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد به جهال مكة.

وقيل: سل يا محمد ليلة المعراج من الرسل هل دعا نبي إلى عبادة الأصنام، ولم يشك رسول الله في ذلك، ولم يسأل، ولكن يراد به سؤال تقرير لا

(١) الكشف والبيان ٢٣/٤٥٣، وفيه قول آخر، وهو: هم الأنبياء الذين جمعوا له في الإسراء. ورجح ابن جرير الأول، وقال: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل، فيكون معناه: سل المؤمنين بهم وبكتابتهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبتهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنى خبرهم، والمسألة عما جاءوا به بمعنى مسألته إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه إيانا برد ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول، يقول: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩] ومعلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله، لأن الرد إلى ذلك رد إلى الله والرسول..

سؤال استعلام، كقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ .

وقيل: معناه سلنا مَنْ أرسلنا مِنْ قبلك مِنْ رسلنا نخبرك بأسمائهم وسيرهم، ثم ابتداء فقال: أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ﴾ لهم ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿وقالوا: يا موسى أما﴾ ^(١) ﴿وجد ربك في كسائك وعباءتك غيرك، يستهزئون بها﴾ ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من الآيات التسع ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي أُرِينَاهُمْ من قبل ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] ﴿يعني: الجوع، إذ سلَّط الله عليهم الجراد حتى أكلت زرعهم، فلما اشتدَّ عليهم البلاء أي اشتدَّ عليهم الأمر بعذاب الله، والأمر بالعذاب قالوا لموسى: ﴿يَأْتِيَهُ السَّاحِرُ﴾ على وجه التعظيم، لأنَّ الساحر كان في زمانهم كالعالم يُعظم في زماننا ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يعني: لأجلنا ﴿يَمَّا عَهْدَ عِنْدِكَ﴾ ليكشف عَنَّا العذاب ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿أي: إن كشف العذاب عَنَّا نؤمن بك.﴾

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ صرفنا ﴿عَنَّهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ينقضون العهد.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ فقال ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ أربعين فرسخاً في أربعين فرسخ ﴿وَهَٰذَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ في مملكتي وبين يدي ﴿أَفَلَا بُصُرُونَ﴾ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ قيل: بل أنا خير.

وقيل: الميم زائدة، معناه: أنا خير من هذا الذي هو مهين أم لا، فترك أم لا

لعلم السامع بمعناه^(١).

وقيل: معطوف على قوله الأول، يعني: أفلا تبصرون، أم تبصرون أنا خير من هذا الذي هو مهين^(٢).

والمهين: الحقير الضعيف، وقيل: الفقير^(٣).

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي: لا يكاد لا يقدر أن يبين كلامه، وقيم حُجَّتَه، للثَغَةِ أَوْ رُتَّةً فِي لِسَانِهِ^(٤).

وهذا كذب، كذب عليه فرعون لأن موسى صلوات الله عليه سأل ربه حل العقدة من لسانه، وأجابه ربه إلى ذلك، حيث قال تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾^(٥)، ولكن العدو لا يقول في العدو إلا عيباً، لاسيما إذا كان غير متدين.

﴿فَلَوْلَا أَلْفَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ استفهام، لأنَّ الرجل إذا كان رفيعاً عندهم يُسَوَّرُ^(٥) ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِيكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾^(٥) متعاونين يعينونه على الأمر الذي بُعِثَ له^(٦).

قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ أي: استزلهم واستفززهم، يعني: عمل فيهم كلامه لفسقهم فأطاعوه في الكفر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٥).

(١) تفسير الطبري ٦١٨/٢١.

(٢) وهو قول سيبويه والخليل (معاني القرآن للزجاج ٤/٤١٥).

(٣) وبينهما تلازم لأنه ضعيف لقلة ماله (تفسير الطبري ٦١٨/٢١).

(٤) اللثغة -بضم اللام- تحويل بعض الحروف إلى بعض، من السين إلى التاء، أو من الراء إلى الغين (تاج العروس ٥٥٧/٢٢).

الرُتَّة -بضم الراء- عجلة في الكلام وقلة أناة، وقيل: أن يقلب اللام ياء (تاج العروس ٥٢٤/٤).

(٥) روي هذا عن مجاهد (الكشف والبيان ٢٣/٤٦٠).

(٦) أي: أن هذا من صلة كلام فرعون، والمراد به موسى (تفسير الطبري ٦١٩/٢١).

﴿قَلَمَاءَ اسْفُونًا﴾ قال الكلبي: أغضبونا^(١).

والإيساف: فعل يقع على خلاف المحبة، فإن كان ممن فوقه إلى من دونه -ولا يمكنه رده- فهو: حزن.

وإن كان ممن دونه إلى من فوقه ويمكن رده، فهو غضب.

﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَاعْرِفْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في البحر ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا﴾ جمع سالف، بمعنى: متقدمين لمن استن سنتهم السيئة^(٢) ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ أي: عبرة لمن بعدهم.

وقرئ: «سُلَفًا»^(٣)، بضم السين واللام، جمع سليف، وقرئ: «سُلَفًا»^(٤)، بضم السين وفتح اللام، جمع سلفة أي فرقة^(٥).

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد^(٦): يضجون فرحًا، بأن النصارى عبدوا عيسى كما هم عبدوا الأوثان.

وذلك حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ فقال عبد الله بن الزبعرى: هذا عيسى تعبد النصارى، وعزير تعبد اليهود، رضينا أن نكون معهما في النار، وضجوا بذلك فرحًا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ

(١) وهو قول عامة أهل التفسير (تفسير الطبري ٢١/٦٢٢).

(٢) أي: إلى النار (تفسير أبي الليث ٣/٢٦١).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون كما أثبت في الآية (النشر ٢/٣٦٩).

(٤) وهي شاذة، تنسب لعلي وابن مسعود (الكشف والبيان ٢٣/٤٦٣).

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/٤١٦.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وعاصم بكسر الصاد، وقرأ الباقون بالضم فيها (النشر ٢/٣٦٩).

مِّنَّا الْحَسَنَى ﴿١﴾ الآية، أي: الملائكة وعيسى وعزير من النار مُبْعَدُونَ^(١).

وقرئ: «يُصْدُونَ»، بضم الصاد، أي: يعرضون^(٢).

﴿وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعني: آلهتنا خير من عيسى عندك، قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾] أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلا ليجادلوك بالباطل، لأنَّ عيسى وعزير هما مخاطبان مجازيان بأعمالهما، لا بفعل الغير، والأصنام لا حساب لها ولا جزاء، فتلقي في النار رغماً لعابديها، واستهانةً بها، فأين الشبه هاهنا سوى الجدال بالباطل^(٣).

ثم مدح عيسى فقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: عبرة ليعتبروا به إن أرادوا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي: بدلاً منكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾^(٤) بعد هلاككم.

ثم رجع إلى ذكر عيسى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ﴾ إذا نزل دَلٌّ بنزوله قيام الساعة^(٥).

وقرئ: «عَلَّمَ للسَّاعَةِ»^(٥)، ينزل عيسى على صخرة بيت المقدس، ويكون إماماً عدلاً، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وتكون السجدة لرب العالمين،

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٤٢٤، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٦١.

(٢) الكشف والبيان ٢٣/ ٤٦٦ حيث ذكر أقوالاً أخرى.

(٣) البسيط ٢٠/ ٦٨.

(٤) الكشف والبيان ٢٣/ ٤٧١، البسيط ٢٠/ ٧٠.

(٥) وهي قراءة شاذة نسبت لجماعة من المتقدمين (الكشف والبيان ٢٣/ ٤٧٢).

ولا يبقى بيت شعر ولا مدر إلا دخله شهادة: أن لا إله إلا الله بعز أو بذل، فنزوله من أشرار الساعة.

﴿فَلَا تَمَتَّرَنَّ بِهَا﴾ أي: لا تشكَّن في أمر القيامة، وقيل: في تلك الآية^(١).

﴿وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يعني الإسلام.

﴿وَلَا يَصَدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ عن عبادة الرحمن ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من إحياء الموتى وغيره ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ أي: الموعظة، وقيل: النبوة، وقيل: بالإنجيل، عن مقاتل^(٢).

﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ﴾ بالحكمة التي أنزلت عليّ ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من الحلال والحرام ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فأختلف الأحزاب من بينهم أي: اختلف كفار النصارى فيما بينهم من الدين بعد عيسى بثلاثمائة سنة، فصاروا ثلاث فرق: النسطورية والماريعقوبية والملكانية.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من هؤلاء الفرق ﴿مَنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾ في يوم، وليس الأليم في صفة اليوم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: لا ينظرون في كفرهم إلا قيام الساعة ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بقيامها.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الموحدين.

(١) والأول هو المذكور (تفسير الطبري ٦٣٣/٢١).

(٢) البسيط ٧١/٢٠.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأخلاء أربعة، مؤمنان وكافران، مات أحد المؤمنين فسُئِلَ عن خليله، فقال: ما علمتُه إلا أَمَّارًا بالمعروف، نَهَاءً عن المنكر، اللهم اهدِه كما هديتني وأَمَّتْهُ عَلَيَّ ما أَمَّتَنِي، وسُئِلَ الكافر عن خليله فقال: ما أَعْرَفُه إلا أَمَّارًا بالمنكر، نَهَاءً عن المعروف، اللهم أضلِّله كما أضللتني، وأَمَّتْهُ عَلَيَّ ما أَمَّتَنِي، فإذا كان يوم القيامة أثنى كل واحد منهما - أي الكافِرَيْن - على صاحبه شراً إلا المتقين»^(١).

﴿يَعْبَادُ﴾ يقول الله تعالى يوم القيامة: يا عبيدي المؤمنين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ﴾ ممَّا يخاف أهل النار ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٢) حزنهم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ الذين في موضع النصب، لأنه صفة عبادي، و«يا عبادي» نداء مضاف^(٣).

قال مقاتل: لما قال الله تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ رفعوا كلهم رؤوسهم، فلما قال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بمحمد والقرآن، نكس الكفار رؤوسهم، ورفع المقرون رؤوسهم، فلما قال: ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٤) مخلصين، نكس أهل الكبائر رؤوسهم غير المخلصين^(٥).

وقيل: إذا نودي الذين آمنوا بآياتنا وكانوا يتقون المعاصي؛ لا يبقى صاحب كبيرة إلا نكس رأسه.

ثم قال لأهل التوحيد ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾^(٦) تُكْرَمُونَ وتنعَّمُونَ بالتحف.

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢١/٦٣٨، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/٤٧٦، عن علي موقوفاً، وإسناده حسن.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤١٩.

(٣) تفسير مقاتل ٣/١٩٦. وهو قول عامة أهل التفسير (تفسير الطبري ٢١/٦٣٩).

وقال الأخفش: تحبرون تُسْرُونَ بالسماع والجنة.

والحبرة: السرور، وقيل: كل حبرة تتبعها عبرة^(١).

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ يعني: بقصاع من ذهب ﴿وَأَكْوَابُ﴾ كيزان لا عُرى لها، ولا خراطيم، تطاف عليهم بأيدي الغلمان، اكتفى بذكر الصِّحَافِ والأَكْوَابِ عن ذكر الطعام والشراب.

قال ابن عباس: يُطَافُ بسبعين ألف ألف صحيفة من ذهب، في كل صحيفة سبعون ألف لون، كل لون له طعم آخر، وهذا لأسفلهم درجة، ومن كان أعلا في الجنة يؤتى بسبعمائة ألف صحيفة^(٢).

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ من فنون الملاذ والنعم ﴿وَتَكَلُّدُ الْأَعْيُنِ﴾ أي: ما تستلذه الأعين من المناظر البهيّة.

وقيل: وتلذ الأعين بالنظر إلى الله عز وجل^(٣).

ثم خاطب وقال ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ دائمون.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ أي: جعلتها ميراثاً لكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ وهي غير مقطوعة عنكم ولا

(١) تفسير السمعاني ١١٦/٥.

(٢) نقل أبو الليث في تفسيره ٢٦٤/٣ عن كعب نحوه مختصراً.

(٣) قال أبو الفرج ابن الجوزي: يقال: لذت الشيء، واستلذذته، والمعنى: ما من شيء اشتتهه نفس أو استلذته عين إلا وهو في الجنة، وقد جمع الله تعالى جميع نعيم الجنة في هذين الوصفين، فإنه ما من نعمة إلا وهي نصيب النفس أو العين، وتام النعيم الخلود، لأنه لو انقطع لم تطب (زاد المسير ٨٣/٤).

ممنوعة.

قيل: إِنَّ الرجل من أهل الجنة يجتني ثمرة فيشتهي أن يكون غيره، فيقلبه الله في يده ما أراد وتمناه، ولو وضع في فيه فيتمنى أن يكون غيره يقلبه الله في فيه إلى ذلك الذي تمناه.

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ﴾ أي: لا يخفف عنهم العذاب ساعة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ آيسون من الفرج. والمُبْلَس: الآيس والقانط ^(١).

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ في الخلود ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بشركهم ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: لِيُؤْتِنَا.

قيل: إنهم ينادون مالكا ألف سنة حتى يجيبهم، ويقول: ما الذي تريدون يا معشر الأشقياء؟ فيقولون: ليقض علينا ربك، أي: ادع لنا ربك لِيُؤْتِنَا حتى نستريح، قال مالك: ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾﴾ دائمون أبداً، وهذا دعاء أهل النار، ثم آيسوا من الخروج ^(٢).

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: أنزلنا إليكم جبريل بالقرآن ﴿وَلَكِنْ أَشْرَكُوا لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ جاحدون.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْ فَإِنَّا مَبْرُمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أم أحكموا أمرهم في شرهم وكيدهم لينجيهم من عذابنا؛ فإننا مبرمون أمرهم في التعذيب ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ فالسر ما أسروا في أنفسهم، والنجوى فيما تناجوا فيما بينهم، وقيل: هما واحد ^(٣).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٤١٩.

(٢) وهو مروي عن اب نعباس وغيره، وقيل: يناونه مائة سنة (تفسير الطبري ٢١/٦٤٥).

(٣) البسيط ٢٠/٧٩.

﴿كَلَّا﴾ نسمع ﴿وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ سَرَّهم ونجواهم.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ على زعمكم ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ وذلك لأنَّ النضر بن الحارث قال: الملائكة بنات الله، فلما نزلت الآية قال النضر: إنَّ محمداً صدَّقني، فقال له الوليد: بل كذَّبك^(١).

وقيل: معنى قوله أنا أول العابدين أي الآنفين^(٢)، مِنْ: عَبْدٌ يَعْبُدُ إِذَا أَنْفَ، وقال الشاعر:

أولئك أقوامي فجئني بمثلهم وأعبدُ أنْ تُهَجِّيَ تميماً بدارم^(٣)

ويحتمل: أنَّ معناه: قل إنَّ كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين من جملةكم، فلو كان له ولد لكنَّ علمته، فكيف تزعمون ذلك وأنتم لم تعبدوه^(٤).

ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن فيهما ولا شريك له في ملكه ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٨٢﴾.

﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ أي: يخوضوا في الباطل ويستهزئوا ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ أضاف اليوم إليهم لأنه يوم تعذيبهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ قال الشيخ أبو سهل: وهو الذي

(١) وهو قول مقاتل في تفسيره ١٩٨/٣، تفسير أبي الليث ٢٦٥/٣.

(٢) وهو قول الكلبي وأصحاب المعاني (تفسير الطبري ٦٥٠/٢١، تفسير أبي الليث ٢٦٥/٣، الكشف والبيان ٤٩١/٢٣، البسيط ٨٢/٢٠).

(٣) البيت للفرزدق، وهو على روايات مختلفة، انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٢٠.

(٤) أي: أول الموحدين، وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤/٤٢٠. وعامة أهل التأويل على أن المعنى: فأنا أول الموحدين المؤمنين بالله الجاحدين لقولكم، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد (تفسير الطبري ٦٤٨/٢١، الكشف والبيان ٢٣/٤٩٠).

في دعاء أهل السماء إليه، وفي دعاء أهل الأرض إليه، لأنهم جميعاً يدعون إلهاً ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٤﴾ بخلقه^(١).

ثم مجّد نفسه فقال ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ولم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ في الآخرة.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ لأنفسهم ولا لغيرهم ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: لا يقدر أن يشفعوا لأجل أحد إلا من شهد بالتوحيد من بني آدم.

وقيل: لا يملك الذين تدعون من دونه إلهاً أن يشفعوا لأحد؛ إلا من شهد بالحق؛ وهم الملائكة وعيسى وعُزير^(٢).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ أن الله تعالى واحد لا شريك له.

ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني: كفّار مكة ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاِنَّ يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ أي: من أين تكذبون وأنتم مقرّون بأن الله خالق هذه الأشياء وخالقكم.

﴿وَقِيلَهُ يَذْرَبُ﴾ كان رسول الله دعا وقال: «يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً»، فسمع الله مقالته وأنزل: «وقيله يا رب». وفيه ثلاث قراءات: بالنصب والرفع والخفض^(٣).

(١) أي: هو المعبود في السماء والأرض (تفسير الطبري ٢١/ ٦٥٢).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٥٤.

(٣) قرأ حمزة وعاصم بالخفض، كما أثبت الآية، وقرأ الباقر: بنصب اللام وضم الهاء: وقيله (النشر ٢/ ٣٧٠).

فالنصب له وجهان:

أحدهما: أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب.

والثاني: على تقدير: قال قيله يا رب^(١).

والرفع: أن يقول وقيله يا رب، كما يقال: نداؤه أن هذه الكلمة وكلامه هذه

اللفظ^(٢).

وأما الكسر فمبني على قوله: وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض

وما بينهما وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب^(٣).

﴿إِن هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن أنه من عند الله، ولا بالرسول أنه

رسول الله.

ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم وعن

مجازاتهم وادعهم إلى التوحيد ﴿وَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وقيل: عليكم مضمرفيه، وسلام رُفِعَ على الحكاية^(٤).

﴿فَسَوْفَ يَعْمَوْنَ﴾ إذا نزل العذاب بهم ببدر، وقيل في القيامة، والآية

نسخت بآية السيف^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٤٢١، الكشف ٤/٢٦٨.

(٢) القراءة بالرفع شاذة، وقد ذكرها أبو الليث في تفسيره ٣/٢٦٦، ونسبها الثعلبي للأعرج (الكشف والبيان ٢٣/٤٩٥).

(٣) تفسير الطبري ٢١/٦٥٦، التبيان في إعراب القرآن ٢/١١٤٢، الدر المصون ٩/٦١١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/٣٨، ورده النحاس في إعراب القرآن ٤/٨٢.

(٥) الكشف والبيان ٢٣/٤٩٦.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الزخرف كان ممن يُقال له في القيامة: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٦٨)، إلى قوله: ﴿تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠)»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/٤٠٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٠.

سورة الدخان

مكية^(١)، وهي خمسون وسبع^(٢) آيات في البصري، وست في المدني^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾ وقد سبق تفسيره.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ والضمير راجع إلى الكتاب، والليلة المباركة

هي ليلة القدر، وهي في شهر رمضان.

وقد قال في آية أخرى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝﴾، وهذا الكلام يدلُّ

على أن سنة الله تعالى جدّه إنزال الكتب على الأنبياء في هذه الليلة في شهر رمضان، لأنّه قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝﴾ للعباد على السنة الرسل.

والإنذار: هو الإخبار بالمكروه، كما أن الإخبار وهو الإخبار بالمحسوب.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ يعني: في هذه الليلة في هذا الشهر يُفْرَقُ،

والفرق والفصل والإظهار واحد^(٤).

والأمر الحكيم: هو ما يأمر الله به، ولا شيء أحكم من دين شرعه، وكتاب

أنزله، ونبي إلى عباده يرسله.

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٣ / ٥٠١، زاد المسير ٨٧ / ٤.

(٢) في الأصل: تسع، وهو تصحيف، والتصويب من المصادر.

(٣) وتسع في الكوفي، والباقون كالمدني (البيان في عد أي القرآن ٢٢٥).

(٤) البسيط ٩٥ / ٢٠.

وقيل: يُفَرِّقُ أَي يُقْضَى^(١).

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ وَ«رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» هما منصوبان على الحال، عن الأخفش^(٢)، المعنى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ أَمْرَيْنِ أَمْرًا وَرَاحِمِينَ رَحْمَةً.

وقيل: نصب على المصدر، وعلى المدح، وعلى التعظيم^(٣).

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إِلَى الْعِبَاد.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: سميع لأقوال بني آدم عليم بخلقه.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ إِن أَرَدْتُمْ الْيَقِينَ مِنَ الْأَمْرِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَا مَعْبُودَ لِلْخَلْقِ سِوَاهُ ﴿يُحْيِ﴾ لِلْبَعْثِ ﴿وَيُمِيتُ﴾ فِي الدُّنْيَا.

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

ثم قال لرسوله ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ من أمر البعث يشتغلون بما لا فائدة فيه، لا هون.

﴿فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: القحط الذي نزل بهم بدعاء رسول الله حين دعا على مُضَرٍّ: «اللهم اشدّد وطأتك عليهم، واجعل سنيهم كسني يوسف»، فأمسك المطر، ووقع الجذب، حتى أكلوا الجيف، وكانوا يرون الدخان ينزل عليهم من السماء، ولا يُبصر أحدهم سقف بيته من الجوع، فذهب [أبو] سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفر من أهل

(١) تفسير أبي الليث ٣/٢٦٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٤٢٤.

(٣) الدر المصون ٩/٦١٦.

مكة- وقالوا: عادت الرجال فما بال الأطفال والنساء، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ودعا: «اللهم اسقنا غيثاً»، إلى آخره^(١).

وقيل: إن الدخان من أشراط الساعة، يدخل في مسامع الكفار والمنافقين فتنتفخ أجوافهم ووجوههم^(٢).

﴿يَعِشَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١١) ويقولون عند ذلك: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾^(١٢) وقيل: إنهم عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بعد كشف العذاب، فكشف فأبوا عن الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾^(١٣) مفقَّة فكفروا به ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾^(١٤) يُعَلِّمُهُ أَبُو فَكِيهَةَ وجبر ويسار^(٣). وقال قوم آخر: مجنون.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: صارفوا الجوع عنكم أياماً يسيرة ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾^(١٥) إلى كفركم وضلاتكم، فكشف القحط، ورجعوا إلى الكفر، فأهلكهم الله ببدر.

وقيل: إنكم عائدون إلى عذاب الآخرة.

(١) رواه البخاري ١٠٠٧، ومسلم ٢٩٧٨.

(٢) دليله حديث مسلم ٢٩٠١ عن حذيفة بن أسيد، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا، فقال: ما تذكرون؟ قلنا: الساعة، قال: إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعره عدن ترحل الناس.

ورجح ابن جرير القول الأول.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/٢٠، الكشف والبيان ٢٣/٥١٨.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يعني الآخذة بشدة، قيل: هو قتل يوم بدر، وقيل: عذاب القيامة^(١).

﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ بما صنعتم برسولنا.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: قبل كفار مكة قوم فرعون ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ على ربه شريف عنده.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ قال موسى ذلك: سلّموا إليّ بني إسرائيل ولا تستعبدوهم فإنهم أحرار ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٨﴾ على الرسالة ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا تترفعوا على الله ولا تستكبروا، أي: جئكم^(٢) بأن لا تكبروا على وحدانية الله ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٩﴾ بحُجَّة واضحة على صدق نبوتي.

﴿وَإِنِّي عَذْتُ﴾ أي: لُذْتُ ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ ﴿٢٠﴾ أن تقتلوني رجماً ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ أي: لم تؤمنوا بي ﴿فَاعْتَرِلُونِ﴾ ﴿٢١﴾ يعني: لا تكونوا لي ولا عليّ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَلْؤَلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ أي: مشركون ﴿فَأَسْرَ بَعَادِي﴾ أي: أمرناه بالوحي: أسر عبادي ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ يتبعكم فرعون بجنوده.

والفاء في قوله «فأسر» موضع الجواب، لأنه قال: فدعا ربه فأجيب به^(٣).

﴿وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكنًا وقيل: يابسًا^(٤).

﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعَرِّقُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ في البحر.

(١) الكشف والبيان ٢٣/٥١٨، البسيط ٢٠/١٠١.

(٢) في الأصل: إني جئكم، وهو تصحيف.

(٣) البسيط ٢٠/١٠٥.

(٤) وقيل: منفرجا وقيل: سهلا (تفسير أبي الليث ٣/٢٧٠، الكشف والبيان ٢٣/٥٢٢).

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ﴾ استفهام بمعنى الكثرة، أي: ما أكثر ما تركوا من جنّات وعيون ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ﴾ والمقام الكريم الذي يُعطي اللذة ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۖ﴾ أي: ناعمين معجبين فرحين به، والنعمة: بفتح النون التنعم، وبكسره اليد والمِنَّة^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك، وهو خبر مبتدأ محذوف ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۖ﴾ أي: بني إسرائيل.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ على فرعون وقومه.

قال ابن عباس: أن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلَّاه، وبابه من السماء الذي يصعد إليه عمله، وبابه الذي منه رزقه، والكافر لا يبكي عليه موضع^(٢).

ولأن العرب إذا أرادت تعظيم مُهلِك رجل عظيم الشأن يقولون: أظلمت له الشمس، وبكت عليه الريح، وما في نحوه، وهذا إخبار عن قله خطرهم وحقارتهم.

﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۖ﴾ مؤجّلين بتأخير العذاب.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۖ﴾ أي: أبعدناهم عن الهوان

(١) البسيط ٢٠/١٠٩.

(٢) رواه الطبري في التفسير ٣٤/٢٢. ولفظه: عن سعيد بن جبير، قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۖ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه، وإذا فقد مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض.

والاستخدام، لأنهم كانوا يستعملونهم إلى نصف النهار، ثم يقولون لهم اذهبوا واكتسبوا ما تأكلون.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) أي: مترفعًا عن الحق وكان من المشركين.

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ﴾ أي: اصطفيناهم أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منّا فيهم ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢) أي: عالمي زمانهم ﴿وَوَاعَدْتُهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي: العلامات ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٣) اختبار ظاهر في كل واحد، نحو: الجراد والقمل وغير ذلك.

وقيل: بلاء نعمة حسنة؛ من تضليل الغمام وإنزال المن والسلوى وفلق البحر.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ ﴿فَحَسْبُ﴾ (٣٥) وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿أَي: مبعوثين﴾ ﴿فَأَتَوْا بِعَابِثَةٍ﴾ الذي ماتوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٦) أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ ﴿كان ملكًا يسمي تبّع، لكثرة تبعه، واسمه: أسعد بن ملكي كَرَب﴾^(١)، وإنما خصهم بالذكر لأنهم كانوا أقرب إلى كفار مكة، ووقت هلاكهم كان أقرب، وكانوا من أشرف حمير^(٢).

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي: عذبناهم عند التكذيب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٣٧) مشركين.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (٣٨) مبطلين.

(١) وهذه تسمية الكلبي ومقاتل (البيسط ١١٥/٢٠، زاد المسير ٩٣/٤).

(٢) أخبار تبّع في: تفسير أبي الليث ٢٧٢/٣، الكشف والبيان ٥٣٢/٢٣، البيسط ١١٥/٢٠، زاد المسير ٩٣/٤.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) يعني أهل مكة.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢٦) يعني الأولين والآخرين ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتِي عَنْ مَوْتِي شَيْئًا﴾ أي: ذو قرابة عن قريبه ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٢٧) يُمنعون من عذاب الله ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ من المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨) بالمؤمنين.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ (٢٩) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٣٠) أي: طعام الفاجر، قيل: يعني به الوليد بن المغيرة^(١).

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي﴾ أي: كدُرِ دِرِّي الزيت، وقيل: كالنحاس المذاب^(٢).

﴿فِي الْبُطُونِ﴾ (٣١) بالتاء: راجع إلى الشجرة، وبالياء: راجع إلى الزقوم^(٣).

﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ (٣٢) الماء الحار في حال الغليان، وقيل له: ﴿خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾ ادفعوه بعنف ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٣٣) أي: وسطها ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ (٣٤) قيل: إن الكافر إذا دخل النار يضرب الملك رأسه بمقمعة، فيسيل دماغه على جسده، ثم يصب فوق رأسه الحميم، فيقع في بطنه.

ثم يقول له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٣٥) المتعزز المتكرم في نفسك، وذلك أن أبا جهل قال للنبي عليه السلام: ما بالأبطح رجل أعز ولا أكرم مني، فلا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، فسمّاه الله العزيز الكريم بزعمه، كما قال الكفار لرسول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

(١) في قول الكلبي (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٣، البسيط ٢٠/ ١١٧).

(٢) البسيط ٢٠/ ١١٨.

(٣) قرأ ابن كثير وحفص: يغلي، والباقون: تغلي (النشر ٢/ ٣٧١).

لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ وقالوا للشعيب ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ﴿٧﴾^(١).

﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني جهنم ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ تشكُّون، ثم تقول لهم الملائكة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾ الذي يتقون الشرك والكبائر والفواحش ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وهو الديباج الرقيق، عن سعيد بن جبير^(٢).

والاستبرق: الغليظ، فارسي معرب يعني اشتبرة.

﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ في الزيادة والمحبة، غير متدابرين بالغلظة والأحقاد ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ يحار فيه الأبصار، والهور البيض، عن الضحاك^(٣).

والعين: جمع عياء، وهي بلغة أزد.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ من الانقطاع والموت وممَّا يلقى أهل النار ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ ﴿٥٦﴾ قيل: كيف يستثنى من الجنة موت كان في الدنيا، فإنَّ الاستثناء لو صح يجب أن يوجد الموت في الجنة، وإن كان منقطعاً فيجب أن يكون بدله في الجنة، كقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ ﴿٥٧﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ﴿٥٨﴾، معناه: إنما يبتغي وجه ربه الأعلى، فكان الابتغاء في الحال موجوداً، وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ فالسلام في الحال موجود، والموت في الجنة لا يوجد، فكيف يجوز استثناءه؟.

(١) وهو من رواية الكلبي، الكشف والبيان ٢٣/ ٥٤٢، البسيط ٢٠/ ١٢٠.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٥١، الكشف والبيان ٢٣/ ٥٤٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢.

والجواب عنه: أَنَّ الله تعالى ذكر هذا الاستثناء^(١) مِنْ قصة أخرى، والموتة الأولى في القصة مذكورة لأنه تعالى ذكر عن بعض أهل الجنة يقول: ﴿إِنِّي كَانَتْ لِي قَرِينٌ ۖ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْذَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ۖ ﴿٥٢﴾ أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ أَهَذَا لِمَدِينُونَ ۖ ﴿٥٣﴾﴾ ذكر الموت هاهنا، ثم ذكر القصة واطلاع أهل الجنة على أهل النار، ثم يقول ذلك الرجل على وجه التعجب بآمنه من الموت: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۖ ﴿٥٤﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ۖ أَوَّلَىٰ﴾ التي جرى ذكرها في أول القصة، فالله تعالى آمَنَ أهل الجنة من الموت، وأجابَ ذلك السائل في كلام واحد^(٢).

وقيل: معنى قوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ أي: في الآخرة، والموتة الأولى في الآخرة، لأنَّ الموت من أحوال الآخرة، فصَحَّ الاستثناء، والله أعلم.

﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ ﴿٥٦﴾﴾ أي: دفع عنهم ذلك.

﴿فَضَلَا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ ﴿٥٧﴾﴾ النجاة الوافرة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي: هَوَّنَا عليك قراءة القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۖ ﴿٥٨﴾﴾ أي: يتعظون به.

﴿فَأَرْقَبَ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ۖ ﴿٥٩﴾﴾ انتظر هلاكهم يوم بدر إنهم منتظرون هلاكك، فأهلكهم الله يوم بدر.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أبي بن كعب أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر الله تعالى له»^(٣).

(١) في الأصل: هذه الأشياء، وهو تصحيف يفسد المعنى.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٤٢٨، البسيط ٢٠/١٢٦، تفسير السمعاني ٥/١٣٢.

(٣) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢١١. وروي بأسانيد أصح من حديث أبي، رواه المستغفري في فضائل القرآن من حديث أبي هريرة وأنس (٨٩٢)(٨٩٣).

سورة الجاثية

مكية^(١)، وهي ثلاثون وسبع آيات، وعند الكوفي آية واحدة^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حَمَّ ۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ حم مبتدأ وتنزيل خبره.

قال معاذ بن جبل: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً، وقال لهم: «ليكن شعاركم حم تُنصرون، فإنَّ حم اسم من أسماء الله تعالى»^(٣).

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في تخليقهما ﴿لَآيَاتٍ﴾ أي: عبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ بتوحيد الله.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ على اختلاف ألوانكم، وفيما: ﴿وَمَا يَبْتُ مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: يفرق في البلاد من الدواب لمنافع الخلائق ﴿[ءَايَاتٍ] لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ أنه واحد.

﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ وهو المطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قحطها ويُبسها؛ فتنبت ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ﴾

(١) الكشف والبيان ٧/٢٤، زاد المسير ٩٦/٤.

(٢) كذا في الأصل، وهو تصحف، والذي في البيان للداني ص ٢٢٦: ثلاثون وسبع آيات في الكوفي وست في عدد الباقيين.

(٣) كذا في الأصل: حم تنصرون، ولم أجده من حديث معاذ، والمشهور في هذا الباب حديث المهلب بن أبي صفرة، قال: أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنْ يَتِمَّ فليكن شعاركم حم لا ينصرون» رواه أبو داود ٢٥٩٧، والترمذي ١٦٨٢، وقال: وروي عن المهلب مرسلًا. وللحديث طرق ذكرها السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٧٠.

(٤) فصل بين الواو وما ب: فيما، ولا يتهيأ مثل هذا في برنامج مصحف المدينة.

مرة رحمةً ومرة عذاباً، مرة جنوباً ومرة شمالاً، ودبوراً وقبولاً وهي الصَّبا ﴿ءَايَتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٥ أن لهم ربّاً.

﴿تِلْكَ ءَايَتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: القرآن ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: بعد كتاب الله ﴿وَأَيَّتُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦.

﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ٧ أي: كذاب فاجر، وهو النضر بن الحارث ﴿يَسْمَعُ ءَايَتِ اللَّهِ تَنْزِيلًا عَلَيْهِ﴾ أي: تُعَرِّضُ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على الشرك ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متعظماً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٨ ﴿فَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَبْرًا﴾ ٩.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ وكان يعارض القرآن بقصة الأعاجم، ويقول: هو مثله، ويسخر بالقرآن ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ١٠ له ولأصحابه.

﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ وكل ما توارى عنك فهو وراءك ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي: ما جمعوا من المال ﴿[وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ] وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١ لون بعد لون، أوعده بثلاثة ألوان العذب: بعذاب أليم عند الموت، ومهين في القبر، وعظيم في الآخرة في جهنم.

﴿هَذَا هُدًى﴾ يعني القرآن بيان أمر آمن به من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٍ﴾ ١٢ أي: عذاب من عذاب أليم من رجز.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي: ذلك لتجري السفن فيه بأمره ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بركوبكم السفن، أي: رزقه بالنجاة والمكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٣ النعمة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ يعني جميع ما سخر لكم هو من الله، بقوله: كن فكان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٤

ويستدلون بالآيات أنها مصنوعة.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ الآية نزلت في عمر بن الخطاب، وكان ينازع المشركين قبل الهجرة، ويضربهم ويقتلهم قبل أن يؤذن بالقتال، وكان رجل من بني عفان^(١) شتمه، فهمَّ عمر أن يبطش به، فأمره الله بتركه^(٢).

قوله: لا يرجون أيام الله، أي: لا يخافون عذاب الله، وقيل: لا يرجون ثواب الله والبعث^(٣).

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في الدنيا ببدر، وفي الآخرة بالنار.

قال قتادة: إنَّ الله تعالى أمرنا بالصفح والتجاوز عن الكفار، وهم شر قوم وأخبثهم، فكيف لا نتجاوز عن المؤمنين وهم إخواننا^(٤).

وقوله: «يغفروا» لفظه حكاية ومعناه أمر، أي: اغفروا^(٥).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

سبق تفسيره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ يعني: العلم والنبوة، فكان منهم

أنبياء ﴿وَوَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات، وقيل: المن والسلوى في التيه^(٦)

(١) كذا في الأصل: عفان، وفي تفسير الثعلبي: الكشف والبيان ١٤ / ٢٤: من بني غفار، والله أعلم بالصواب.

(٢) وهو قول مقاتل والكلبي (تفسير أبي الليث ٢٧٧ / ٣).

(٣) وهما بمعنى، لأن من لا يخاف عذاب الله لا يرجو ثوابه.

(٤) وقال كذلك: ثم نسختها آية القتال (تفسير الطبري ٦٧ / ٢٢، تفسير أبي الليث ٢٧٧ / ٣).

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٥ / ٣.

(٦) الكشف والبيان ١٧ / ٢٤.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [١٦].

﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ [فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ] ﴿بَأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿بَعِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسداً.

وقيل: اختلفوا في دينهم بعدما جاءهم العلم والبيان في كتابهم، من بعد يوشع بن نون، فأمن بعضهم وكفر الآخرون، حسداً فيما بينهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [١٧] ﴿فِي الدِّينِ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ واستقم عليها ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٨] ﴿تَوْحِيدَ اللَّهِ.

وذلك حين دعا أهل مكة رسول الله إلى دينهم، إلى دين آبائهم، ليجعلوا له شطراً من مالهم^(١).

﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لن يدفعوا عنك عذاب الله قليلاً ولا كثيراً ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يعني: المشركين ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [١٩] ناصرهم.

وقوله: ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: منهاج مَنْ كان قبلك من الأنبياء، لأنهم كانوا على منهاج الهدى.

والشريعة: وهو الشارع الممتد إلى طريق النجاة^(٢).

وقوله: ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّ مَنْ استغنى بغير الله

(١) الكشف والبيان ١٧/٢٤.

(٢) وعرفها ابن جرير بقوله: الفرائض والحدود والأمر والنهي (تفسير الطبري ٧٠/٢٢).

فبغناه افتقر، وَمَنْ تَعَزَّزَ بغيره فبعزه ذلٌّ، ألا تراه كيف يقول ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

قوله ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: بيان للمؤمنين المصدقين بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم، وهو^(١) ﴿وَهْدَى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحَّمَهُ﴾ من العذاب ﴿لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالقرآن.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ معناه: أحسب، والميم زائدة، الذين كسبوا الشرك ﴿أَنْ تَجْعَلَهُمْ﴾ في الثواب ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ والآية نزلت في ستة نفر، ثلاثة من المسلمين، مثل: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، بارزهم ثلاثة من الكفار، مثل: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، فاقتتلوا، فقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الآية إلى قوله: ﴿سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾^(٢).

يعني: أن الكافر يعيش كافرًا، ويموت كافرًا، وَيُبْعَثُ من القبر كافرًا، والمؤمن يعيش مؤمنًا، ويموت مؤمنًا، وَيُبْعَثُ من القبر مؤمنًا، فأني يستوي محياهم ومماتهم.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لم يخلقهما باطلاً ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ في دار الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

(١) فصل بين الواو وهدى ب: هو.

(٢) وهذا قول الكلبي (تنوير المقباس ٤٢١، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٩).

وفيه نظر شديد، لأن السورة مكية - كما ذكر المصنف وغيره - وغزوة بدر مدنية، ولذا ذهب أهل التأويل إلى أن المراد عموم المؤمنين والكافرين، لا مؤمنًا بعينه ولا كافرًا بعينه، قال مجاهد والليث وغيرهما: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا والآخرة كافر (رواه الطبري في التفسير ٢٢/ ٧٣، ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ١٩: للمفسرين).

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ والآية نزلت في الحارث بن نوفل، كان يتجر نحو الشام، بذهب^(١) من مكة، وكلما رأى في بلاد الشام من حجر الرُّخام حجراً حسناً يشتره ويحمله إلى مكة فيعبده، ثم إذا رجع ووجد حجراً آخر أحسن منه يأتي به ويعبده، فكان ينتقل من عبادة حجر إلى حجر آخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢): ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ فكلما يهواه يعبده.

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ به أنه مستحق الضلالة إذ^(٣) كان في صلب آدم ﴿وَوَخَّعَ عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾ فلا يسمع الهدى ﴿وَوَقَّلَهُ﴾ فلا يعقل الهدى ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً﴾ أي: غطاءً لا يُبْصِر الهدى ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ إذا أضله الله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ في صنعه الله.

ثم حكى عن الدهرية مقالهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نحى ونموت بعده ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ لا يميتنا إلا طول العمر، وممر الأيا من وحوادث الدهر، الذي يصيبنا بقوارعه.

قال الله تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ويقين ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يقولون بالشك غير مستيقنين.

قال ابن عباس: كل ظن من الكافر فهو شك، وكل ظن من المؤمن فهو يقين.

(١) في الأصل: أهمل الحرف الأول، فاحتمل أن يكون: بذهب، أو: يذهب.

(٢) وهذا من تنمة كلام الكلبي والضحاك ومقاتل (كما في تفسير مقاتل ٣/٢١٤، والنكت والعيون ٥/٢٦٥)، والمفسرون على أن المراد به جنس المشركين، قال ابن جرير: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوى من شيء دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء (تفسير الطبري ٧٦/٢٢، الكشف والبيان ٢٤/٢٣).

(٣) في الأصل: إذا، وهو تصحيف.

والآية نزلت في بني عبد الدار.

﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ بالأمر والنهي ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٥﴾ كما كان عيسى يحيي الأموات ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: هو الذي أحياكم بعدما كنتم نطفًا، نفخ فيكم الروح ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ في البرزخ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ عند المؤمنين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ من المنكرين للبعث ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾.

ثم قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وجميع ما فيهما عبيد له ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ أي: في ذلك اليوم يتبين خسران المبطلين. ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ﴾ على الرُّكْب، أي: جالسة مستوفزة على ركبها ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي: قراءة كتابها التي فيه حسناتها وسيئاتها.

قال الضحاك: كل أمة جائية مع نبيها على الرُّكْب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي أمته بحذاء بطنان العرش، ينتظرون فصل القضاء، فيشفع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقضي الله بينهم، فأول من يُدعى: أين النبي العربي الحرمي التَّهامي، وأين أمته الغرَّ المحجلون، فيقضي الله بينهم، ثم يُدعى بنبي نبي، وبأمة أمة، حتى يفرغ من الحساب، فالمؤمن يُعطى كتابه بيمينه [والكافر يعطى كتابه] ^(١) من شماله ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ في الدنيا من خير أو شر.

(١) سقط هذا على الناسخ، ولا بد منه لتصحيح الخبر، ولم أجده فيما بين يدي من مصادر التفسير المأثور، ونحوه جاء عن الكلبي (تنوير المقباس ٤٢٢).

وقال سهل: وترى كل أمة جاثية على رُكَبِها، تجادل عن نفسها، الصادق يجتهد في تحقيق صدقه، والجاحد يجتهد في الدفع عن نفسه، وكل محكوم عليه بالكتاب الذي أملاه، مداده ريقه، وقلمه أسنانه، وقرطاسه جوارحه^(١).

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: يشهد بالصدق ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ في دار الدنيا ونستكتب الحَفَظَةَ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقال الزجاج: الاستنساخ هو أن يُنسخ كتاب من كتاب^(٢)، قيل: إنه يُكتب من ما يكتبه الحفظة ويثبت ذلك عند الله عز وجل.

وقال ابن عباس: إنما النسخة من اللوح المحفوظ، وذلك أن الملكين أَهْبَطَا إِلَى الْعَبْدِ نَهَارًا، أَلْقِيَا إِلَيْهِمَا كِتَابَ مَخْتُومٍ، لَا يُؤْذَنُ لَهُمَا فِي فَضْلِ الْخَاتَمِ حَتَّى يُمَسِّي الْعَبْدُ، فَإِذَا أَمْسَى قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ - وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ -: فَكُ الْكِتَابِ حَتَّى نَنْظُرَ مَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لَمْ يَخْطِئْ فِيهِ لَامٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا حَرْفٌ آخَرٌ، ثُمَّ أَهْبَطَ مَلَكَا اللَّيْلِ وَصَعِدَا مَلَكَا النَّهَارِ، وَرَمِيَا إِلَيْهِمَا كِتَابَ مَخْتُومٍ كَذَلِكَ، وَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُمَا بِفَكِّهِ، فَإِذَا أَصْبَحَا فَكَّا^(٣) خْتَمَهُ، فَاطَّلَعَا فِيهِ عَلَى جَمِيعِ مَا عَمِلَهُ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

ثم قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: جَنَّتْهُ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ فازوا بالجنة، ونجوا من النار.

(١) في الأصل: جوارسه.

(٢) نحوه في معاني القرآن ٤/ ٤٣٥.

(٣) كذا في الأصل، وكتب فوّه: لعله فضا.

(٤) لم أجده، وفي تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧٥ نحوه، وهذه الروايات الغريبة مما يغلب على الظن أنها من رواية الكلبي أو مقاتل ونحوهما.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالبعث ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يقال لهم: ألم يُقرأ القرآن عليكم ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكُنتُمْ﴾ في دار الدنيا ﴿قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: إذا قال لهم الرسول ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وهو البعث ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ﴾ فيها ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ لا نستيقن بوجودها، ولكن ربما نظن لكثرة ما سمعنا منكم، يقولون ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ أنها كائنة.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا من الشرك حين تشهد عليهم الجوارح ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ بالرسل والكتب، يعني: جزاؤها.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسْفِكُ﴾ هذه مقالة خزنة النار للمشركين، أي: نترككم في النار كما تركتم الإيمان ﴿كَمَا سَيِّئْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ الذي استقبلكم ﴿وَمَا أَوْكُرُ النَّارُ﴾ أي: مسكنكم ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ ينجونكم من العذاب.

﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: هذا العذاب الذي لكم ﴿يَأْتِكُمْ أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: اغترتم بها وبزهرتها ونعيمها عن الاستعداد لحياة الآخرة، ثم ترك الخطاب، وقال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أي: لا يطلب منهم العُتْبَى، وهو الإرضاء، والاستعتاب الاسترضاء^(١).

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ أي: له الحمد والشكر والثناء، لأنه خالق الكونين، وموجد العالمين، وهو أصناف الخلائق أجمعين.

﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: له العلو والعظم والسلطان والقدرة على أهل السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانه وعظمته

وَمُلْكُهُ ﴿الْحَكِيمُ ٢٧﴾ فِي أَمْرِهِ، مَنْ اعْتَصِمَ بِهِ أَيْدِهِ بِحَوْلِهِ وَقَوَّتِهِ، وَمَنْ اعْتَمَدَ عَلَى نَفْسِهِ وَكَلَّهَ إِلَيْهَا.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الجاثية أُعطي من الأجر بعدد كل رمل^(١) في الدنيا عشر حسنات»^(٢).



(١) في الأصل: رجل، وهو تصحيف.

(٢) هكذا ورد عنده حديث الجاثية، وهو انتقال نظر منه، فإن هذا الحديث ورد في الأحقاف، وسيعيده في سورة الأحقاف، والوارد في سورة الجاثية: «من قرأ سورة حم الجاثية سكن الله روعته وستر عورته» وهو حديث موضوع كما نبهنا مرارا، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٢.

سورة الأحقاف

مكيّة، إلا قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي لَمَكَأَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿خَيْرِينَ﴾ (١٨) فإنها مدنيّات^(١)، وهي خمس وثلاثون آية في الكوفي وأربع في البصري^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ هذا قسم أقسم الله تعالى به.

وقال: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: لإقامة الحق والعدل، لأنّ إنشاء السماوات والأرض حكمة وليس بعث ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة، وقيل: أجل مسمّى للسماوات والأرض والخلائق، لكل منها أجل معلوم^(٣).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ يعني: من وحي القرآن.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ ما تقولون أيها الكفار ﴿مَا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام: هل خلقوا شيئاً؟ ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ من نباته أو دوابه ليستحقّوا به العبادة ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَبِّئُ بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ فيه ذكر الأمم، وذكر الأنبياء، من قبل هذا القرآن ﴿أَوْ أَثَرَةٍ﴾ يعني: رواية ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ تأثرونها عن بعض الأنبياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤) بأنّ اللات والعزى شركاء الله.

(١) الكشف والبيان ٢٤/٥٥، زاد المسير ١٠٢/٤.

(٢) والباقون كالْبصري (البيان في عد آي القرآن ٢٢٧).

(٣) زاد المسير ١٠٢/٤.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ يعني: أكفر ﴿مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ أي: لا يجيب دعاءه البتة في خير أو شر ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ ولم يقل: هُنَّ، ولا: غافلات؛ لأنَّ الكفار جعلوها بمنزلة مَنْ يميِّز، فخطبوا على ما تعارفوا^(١).

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: كانت الأصنام أعداء لعابديها، وقيل: يعني به الملائكة ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي: تبرأت الأصنام والملائكة من عبادتهم إيَّاهم.

﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ أي: مبيِّنات بالحلال والحرام ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَلْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ على لسان محمد ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ﴾ الميم زائدة، معناه: أيقولون تقوله محمد، في معنى التعظيم والتفخيم ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرون على صرف عذاب الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تتحاورونه بينكم من التكذيب، و ﴿كَفَى بِهِ﴾ أي: بالله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأني رسوله ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿الرَّحِيمُ﴾ حيث رخص بالتوبة^(٢).

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: لست بأوّل رسول بُعث ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ أي: لا أدري أيرحمني ربي وإياكم أو يعذّبنا، ثم صارت منسوخة بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٣).

(١) معاني القرآن للفراء ٤٩/٣.

(٢) تفسير أبي الليث ٢٨٥/٣.

(٣) وهو رواية الوالبي عن ابن عباس، وقول عكرمة والحسن وقتادة، (تفسير الطبري ٩٩/٢٢).

﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾ يعني ما أؤمر به ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١﴾ مُفَقَّه لکم بلغة تعرفونها.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أيها المشركون وأهل الكتاب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يعني: يامين بن يامين على مثل شهادة، فآمن يامين واستكبرتم يا معشر اليهود^(١).

وقيل: شاهد من بني إسرائيل: عبد الله بن سلام.

﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: مثل شهادة بن يامين، لأن يامين بن يامين أسلم قبل عبد الله بن سلام.

وقيل: الشاهد الأصلي هو عبد الله بن سلام.

﴿فَقَامَنَ﴾ هو ﴿وَأَسْتَكَبَرُوا﴾ وكفرتم أنتم^(٢).

(١) ذكر يامين بن يامين من أخبار مقاتل، وقد كرره كثيرا مقارنة مع عبد الله بن سلام، وذلك في تفسيره (تفسير مقاتل ٣/ ٢٢١)، ولعله لا يعرف من غير طريق مقاتل والكلبي، وقد تفردا بذكر بعض مؤمني أهل الكتاب، ولا يعرفون إلا من خلالهم (انظر: ترجمة سلمة بن سلام الإسرائيلي من الإصابة ٣/ ١٢٤) والله أعلم.

(٢) وقد أنكر بعض المفسرين ذلك لأن السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة، وأن الآية على المحاجة، وأن الشاهد هو موسى بن عمران النبي، قال مسروق: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما أنزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه، قال: فنزلت ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَأَسْتَكَبَرُوا﴾ قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتم (تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٣).

إلا أن البخاري روى في صحيحه (٣٨١٢) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ ورواه مسلم في الصحيح ٢٤٨٣.

وهو محذوف الجواب، وجوابه: فمن أضل منكم.

ثم قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠) ﴿إِلَى الْإِسْلَامِ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ يعني: قال

كفار مكة: لو كان دين محمد حقًا لم يسبق هؤلاء الفقراء رؤساءهم، يعنون: بلالًا وصهيبًا وسلمان وعمرًا وغيرهم^(١).

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ كما اهتدى سلمان وصهيب وبلال وعمر ﴿فَسَيَقُولُونَ

هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (١١) أي: كذب قديم، لأنهم كانوا ينكرون جمع الأنبياء.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ كِتَابُ مُوسَى ﴿وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: هَاتَانِ الْآيَتَانِ مَدِينَتَانِ، نَزَلَتْ فِي

إِسْلَامِ جُهَيْنَةَ وَغِفَارٍ وَأَسْلَمَ، وَإِنَّمَا عِيَرَهُمُ بَنُو عَامِرٍ وَأَسَدٌ وَغُظْفَانٌ^(٢).

ثم قال: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ كِتَابُ مُوسَى ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ يعني: أنزلناه قبل

قال ابن جرير بعد أن رواه: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل، لأن قوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجًا عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وشهد عبد الله بن سلام -وهو الشاهد من بني إسرائيل- على مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمدًا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبًا عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي.

(١) البسيط ١٧١/٢٠.

(٢) قال الكلبي ذلك في الآية السابقة، كما في البسيط ١٧١/٢٠.

القرآن، يعني: إماماً لمن يقتدي به ورحمة لمن آمن به ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لما بين يديه ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حتى يعقلونه، وذكر لساناً توكيداً؛ كما يقال: جاءني زيد رجلاً صالحاً.

﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا ﴿وَلِيُشْرِيَ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ أي: هو بشرى للموحدين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا﴾ على التوحيد والمعرفة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ من الموت.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ يعني: جزاء توحيدهم.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ نزلت في أبي بكر الصديق، عن الضحاك والكلبي ومقاتل^(١).

يعني: أمرناه بأن يُحسِنَ إليها، وأبوه أبو قحافة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن عمرو بن تيم بن مرة^(٢).

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ [وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا] ﴿١٥﴾ أي: على مشقة ووضعته على مشقة.

﴿وَحَمَلُهُ﴾ يعني: حمل أبي بكر وفطامه من اللبن كلها ثلاثون شهراً.

قال ابن عباس: حملته أمه ستة أشهر، وأرضعته ستين^(٣).

وقيل: حملته تسعة أشهر، وأرضعته إحدى وعشرين شهراً، والله أعلم.

(١) الكشف والبيان ٨٢/٢٤، البسيط ١٧٨/٢٠، وهو قول ضعيف.

(٢) تأخرت وفاة والديه بعده، وقد أسلما وحسن إسلامهما.

(٣) وهذا من تنمة رواية الكلبي.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ قال الكلبي: الأشدُّ ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين^(١).

وبلغ أربعين سنة: أي تكامل في شبابه، دعا ربه وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ وفَّقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالإسلام ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ ألهمني أن أصلي وأصوم، وأؤدي الفرائض، فأسلم أبو بكر وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة، وأسلم أبوه وجميع أولاده إلاَّ عبد الرحمن، بقي كافرًا إلى قريب من فتح مكة^(٢).

ثم قال ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي﴾ اجعلهم مؤمنين ﴿إِنِّي نُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من الشرك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ من الخيرات ﴿وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ التي سلفت في الشرك ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي: مع أصحاب الجنة ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^(٤) أي: وعدًا صدقًا من الله، لا يخلف الله وعده الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل.

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ﴾ نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وأم رومان، حين دعياه إلى الإسلام وأوعدها بالبعث والقيامة^(٥).

(١) وعن ابن عباس: أشده ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه أربعون سنة، والعذر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون (تفسير الطبري ١١٣/٢٢).

(٢) وأسلم قبل الفتح.

(٣) وهو رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ١١٨/٢٢). وأنكرت عائشة أن يكون نزل في آل أبي بكر شيء سوى براءتها (صحيح البخاري: ٤٨٢٧).

وقائل هذه المقولة -أن هذه الآية أنزلت في عبد الرحمن والتي قبلها أنزلت في أبي بكر- قد تناقض، لأن في الآية التي نزلت في أبي بكر أن الله تقبل دعاءه، وفي هذه إصرار الابن على الكفر، وقد نبه الزجاج إلى هذا في معاني القرآن ٤/٤٤٣.

﴿أَفِي لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: معناه ما أقدر كلامكما.

والأف: في الأصل هو الوسخ الذي يكون في الأظفار^(١).

وقال الأخفش: معناه ما غلظ من الكلام وقبح.

﴿تَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أتخوفانني أن أبعث من قبري حياً ﴿وَقَدْ حَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ وما بعث منهم أحد ﴿وَهُمَا﴾ أبواه ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ أي: يتضرعان إلى الله، ويقولان له ﴿وَيْلَكَ ءَامِنٌ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ يَقُولُ﴾ يعني: الابن ﴿مَا هَذَا﴾ الذي قلت ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره في كتبهم غروراً، وكذب الأمم الماضين.

ثم قال: وإن كنتم صادقين فيما تقولان فابعثا أحداً من أجدادي، حتى يخبرني بما تقولان، وليكن من يُبعث جُدهان بن عمرو، فإنه كان شيخاً صدوقاً^(٢).

قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَطْلُبُهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب ﴿فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ من كفار الجن والإنس ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ بترك الإيمان واختيار الكفر.

والآية نزلت في الكافر العاق^(٣).

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ مع الشرك ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي لأهل الجنة فضائل بما عملوا، ولأهل الشرك عذاب بما عملوا، أي لكلا الفريقين للمؤمن

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٢) الكشف والبيان ٨٧/٢٤ من رواية الكلبي.

(٣) وهذا القول هو الصحيح، لا ما قدمه في شأن عبد الرحمن بن أبي بكر.

درجات وللكافر دَرَكَات ﴿وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ﴾ ١٩: أي: لا يُنْقَص من حسنات المؤمن ولا يُزَاد في سيئات الكافرين.

﴿يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: يكشف الغطاء عنهم فينظرون إلى النار، خوْفهم الله بذلك اليوم، إذ قيل لهم: ﴿أَذْهَبَتْ﴾ وأفنيتم ﴿طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ يعني: نشاطكم وصحتكم وفراغكم في الدنيا، وأنفقتموها في الشهوات وطلبها ﴿وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ وانتفعتم بها في الدنيا، وتركتم الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان ﴿[فِي الْأَرْضِ] بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ في فرحكم وفراغكم ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تخرجون من الطاعة.

قال أبو سهل: نزلت فيمن زنا ولاط وأنفق ماله في هاتين ^(١) المعصيتين.

وقيل: هو في اتباع الهوى بأي وجه كان، حتى: قيل إنَّ من ركب هذه المراكب فقد ركب الإعراض عن الله عز وجل.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ أي: هود النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ وهو منزلهم الذي كانوا به نزولاً، وهو جمع حقف، وهو الرمل العظيم الذي لا يبلغ جبلاً ^(٢).

قيل: رمل ما بين عمان وحضرموت ^(٣).

﴿وَقَدْ خَلَّتِ اللَّذْدُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ آدم وشيث ونوح ﴿وَمِنْ حَافِيَةٍ﴾ صالح وإبراهيم ولوط ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١١: أي: كل

(١) في الأصل: هذين.

(٢) وهو قول ابن زيد، كما في تفسير الطبري ٢٢/٢٥.

في الأصل: جبلا، وهو تصحيف. وانظر: تاج العروس ٢٣/١٥٨ فقد أحسن في ذكر الأقوال والجمع بينها.

(٣) وهو قول ابن إسحاق وجماعة، تفسير الطبري ٢٢/١٢٣، الكشف والبيان ٢٤/١٠٦.

واحد من هؤلاء قال ذلك لقومه.

﴿قَالُوا﴾ يعني: قوم هود ﴿أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا﴾ أي: لتصرفنا عن آلهتنا ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ في وعدك.

قال هود: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: علم نزول العذاب عند الله، أنزله إذا شاء ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ يعني: الوحي بأني رسوله، والعذاب نازل بالجاحدين ﴿وَلَكِنِّي أَرَدُّكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ عن الله أمره.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ يعني: رأوا العذاب كهيئة العارض، وهو السحاب، ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ وكانت السحابة إذا جاءت من قبل ذلك الوادي مُطْرُوا ﴿قَالُوا﴾ يا هود ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: ممطر إيانا فيكون صفة النكرة بلفظ المعرفة، ويحتمل أنهم ذكروا لفظ المعرفة لأنهما رأوا في ذلك الوادي سُحْبًا ممطرة، أجابهم هود.

وقيل: ناداهم ملك من السحاب ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: تهلك كل شيء بإذن ربها ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسْكَنَهُمْ﴾ أي: لم يبق منهم إلا آثار دُورهم ومنازلهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ يعني: أهل مكة^(١).

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ﴾ يعني: قوم هود وهم عاد ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّكُمْ فِيهِ﴾ يعني: فيما لم نمكنكم فيه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ فلم يستعملوها في حق ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأنهم لم يُعْمَلُوا في طاعة ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ أي: نزلت بهم عقوبة كفرهم حتى هلكوا.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ﴾ وهم: قوم هود وصالح ولوط، وإنها

(١) انظر قصتهم في الكشف والبيان ٢٤/١١٢.

بين المدينة ومكة والشام، وقوم هود كانوا باليمن^(١).

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ مع كل نبي إلى أمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٧) من الكفر فلم يتوبوا فأهلكناهم وأنجينا المؤمنين.

﴿فَلَوْلَا﴾ يعني فهلاً ﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان ﴿فُرَبَانَا إِلَهَةً﴾ مقدّم ومؤخّر، يعني: اتخذوا آلهة يتقربون به، فأين نصرتهم.

﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي: عن الآلهة في الآخرة ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٢٨) يعني: افتراؤهم على الله بأن عبادتنا إياهم تقربنا إلى الله^(٢).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ واذكر حين وجّهنا إليك نفرًا من جنّ نصيبين، الذين بعثهم إبليس في طلب خبر^(٣) الأرض، حين مُنِعت الشياطين من السماء بالشهب الثواقب، فعلم أنّه كان لحادثة، فوقع جماعة من الجن إلى بطن نخلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان منصرفاً من عكاظ، وهو يصلي الفجر بأصحابه، ويقرأ القرآن، وجماعة الجن سبعة، وقيل: تسعة^(٤).

﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ وكانوا مقرّين بالتورية ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ لقراءته كي نفهمها ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: فرغ النبي عن القراءة ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩) أي: رجعوا إليهم يخوفونهم على ما هم عليه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم بهم، ولم يرجعوا إلى إبليس^(٥).

(١) تفسير الطبري ٢٢/١٣٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٢٩٢.

(٣) في الأصل: حفر، وهو تصحيف.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/١٣٤، تفسير أبي الليث ٣/٢٩٣، الكشف والبيان ٢٤/١٢١.

(٥) الكشف والبيان ٢٤/١٣٦، البسيط ٢٠/٢٠٠ حيث سماهم ابن جريج بأسمائهم وهذا من

﴿قَالُوا﴾ لقومهم ﴿يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يرشد من اتبعه إلى طريق الحق، أي: الصواب ﴿وَالِىٰ طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠) أي: دين الحق.

﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ محمداً وصدقوه، فإنه ببطن نخلة يدعو إلى الله ﴿وَأَمِنُوا بِهِ﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿من زائدة﴾ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ يؤمنكم من عذاب مؤلم.

﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ يعني: محمداً بالآيمان به ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا يسبق الله ولا يفوته هرباً ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: أقرباء يمنعونه من عقابه ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا داعي الله ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٢) هذا كله كلام الجن.

ثم قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ يَرَوْا﴾ ألم يخبروا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ﴾ (١) أي: لم يشرك في خلقهما أحداً ﴿بِقَدَرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ في الآخرة، ثم قال لنفسه: ﴿بَلَىٰ﴾ يقدر على ذلك ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣).

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ يكشف عنهم الغطاء فيرونها؛ قبل أن يدخلوها، يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ ولم يقل: هذه، لأنه قصد إلى الشيء المشار لا حقيقة النار، ويحتمل: أنه راجع إلى العذاب (٢).

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أفروا وأقسموا، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٤) بالعذاب أنه غير كائن.

ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْسِ مِنَ

(١) وقع في الأصل خلل، فكتب: أن الله خالق السماوات والأرض ولم يعي..

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ١٤٤.

الرُّسُلِ ﴿ وأولي العزم هم: إبراهيم وموسى وأيوب ويوسف وداود وسليمان وعيسى، وهو قول الضحاك.

وقال الزجاج وعطاء الخراساني: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام^(١).

وقال مقاتل: إبراهيم صبر على النار، وإسحق على الذبح، ويعقوب صبر على فقد يوسف، ويوسف صبر في السجن، وأيوب صبر على ضرّه، ونوح صبر على أذى قومه^(٢).

وقيل: يونس ليس فيهم لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾. قال مقاتل: نزلت الآية يوم أحد، وأمره أن يصبر على قتل عمه وكسر رباعيته، ولا يدعو على قومه^(٣).

وقيل: هم اثنا عشر نبياً، أوحى الله تعالى إليهم أني منتقم من بني إسرائيل بما صنعوا بيوسف، فإن شئتم أن تختاروا أن أنزل تلك النعمة بكم وأنجيت بقية بني إسرائيل، وإن كرهتم أنزلت تلك العقوبة بهم وأنجيتكم، فاجتمع رأيهم على أن تنزل بهم العقوبة وينجو قومهم، فسلب الله عليهم ملوك أهل الأرض، فمنهم من نُشِرَ بالمنشار، ومنهم من شدخ رأسه، ومنهم من صلب، ومنهم من أُحرق بالنار، فأمر الله نبيه أن يصبر صبرهم^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٧، الكشف والبيان ٢٤/ ١٤٧.

(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ١٥١.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٢٣١.

(٤) وهو قول ابن حبش المقرئ، رواه عن بعض أهل العلم، رواه عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ١٥٠.

ثم قال: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: لا تستبطن نصرنا وعذابهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾ أي^(١): ذلك بلاغ، يعني: مدة اللبث، وهو رفع لمعنى الاستئناف^(٢).

والبلاغ: البلغة والكفاية، وقيل: هو لذة ساعة^(٣).

﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤) الخارجون عن الطاعة، يعني: لا يهلك غيرهم.

قال عبد الحميد الحاکمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الأحقاف أُعطي من الأجر بعدد كل رمل^(٥) في الدنيا عشر حسنات»^(٥).



(١) في الأصل: أو، وهو تصحيف.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٤٤٨، إعراب القرآن للنحاس ٤/١١٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٢٩٥، البسيط ٢٠/٢٠، زاد المسير ٤/١١٤.

(٤) في الأصل: رجل، وهو تصحيف.

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/٥٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٣.

سورة محمد عليه السلام

مدنية^(١)، وهي أربعون آية في البصري، وتسع وثلاثون آية في المدني، وثمان وثلاثون في الكوفي^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: منعوا عنها، وسبيل الله: كل ما يقصد به طاعته، والمعنى: الذين كفروا بتوحيد الله ومنعوا الناس عن دينه^(٣).

﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ① يعني: أضلَّ الله أعمالهم أبطلها، يعني به: أبا جهل وأخاه الحارث^(٤).

ثم ذكر المؤمنين وثوابهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من أداء الفرائض ﴿وَوَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لاشك فيه ﴿كَفَرَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ محاها ﴿وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ﴾ ② أمرهم وشأنهم بتكفير السيئات، وقيل: بالنصرة على الأعداء والتمكن في الأرض.

﴿ذَلِكَ﴾ يعني: إبطال أعمال الذين كفروا وإصلاح أحوال المؤمنين ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ عبادة الشياطين، والكفر بالرحمن ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا

(١) الكشف والبيان ٢٤/١٦٣، زاد المسير، وشذ الضحاك والسدي فقالوا: مدنية.

(٢) والمكي والشامي كالمدي (البيان ٢٢٨).

(٣) تفسير الطبري ٢٢/١٥١.

(٤) وهو قول الكلبي، لأنهما كانا من المطعمين في بدر (تفسير أبي الليث ٣/٢٩٦) وهو عام في كل كافر.

الْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿القرآن ودين محمد﴾ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ أي: يصف أمثالهم من إبطال أعمال الشرك، وكفارة ذنوب المؤمنين بالتصديق.

ثم علمهم جرأة^(١) الكفار فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أمر خرج مخرج المصدر^(٢)، والمعنى: اضربوا رقابهم^(٣).

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ أي: قهرتموهم وأسرتموهم ﴿فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ﴾ للمأسورين ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ أي: بعد الأسر كان الاختيار إليكم، أن تمنوا عليهم وترسلوهم بلا فداء وتعقوهم ﴿وَأَمَّا فِدَاءٌ﴾ تأخذونه منهم ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يعني: حتى يترك أهل الشرك الشرك ويوحّدوا الله عز وجل.

قال سعيد بن جبير: يعني به نزول عيسى ينزل من السماء فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يبقى بين الاثنين عداوة^(٤).

ثم نسخت بآية السيف^(٥).

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: أهلك المشركين جميعاً ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ لكنه أراد أن يبلو بعضكم ببعض، يأمر المؤمنين بحرب الكفار ليختبرهم، يعني: المؤمن بالمشرك، فهذا الابتلاء لتمحيص ذنوب المؤمنين، ومحق الكافرين، فالمؤمن بين حستين؛ إن عاش في الدنيا نُصِرَ على عدوه، وإن

(١) كذا في الأصل، والمعنى عليه: أنه علمهم أن يتجرؤوا على الكفار، وعبارة الكلبي: ثم حرص المؤمنين على القتال (تنوير المقباس ٤٢٧).

(٢) في الأصل: هم المصدر، ولا معنى لكلمة هم.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٦/٥، البسيط ٢٠/٢١٥.

(٤) تفسير السمعاني ١٦٩/٥.

(٥) ينظر في بحث النسخ: الكشف والبيان ١٦٧/٢٤ فقد أطل في ذلك.

مات صار إلى أمر ربه في الجنة، والكافر إن عاش غلب وأهلك، وإن قُتل يصير إلى السعير، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقرئ: «قُتِلُوا» بالتشديد، و«قاتلوا» بالالف^(١).

﴿فَإِنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: لن يبطل الله أعمالهم وثوابهم في الجهاد.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ أي: يوفقهم في الدنيا للطاعات ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ

عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ طابت لهم الجنة وطابوا لها.

وقيل: يعرف الواحد منزله كما يرجع المرء من الجمعة في الدنيا إلى

منزله^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَصْرُوهَا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ﴾ إِنْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللَّهِ يَنْصُرْكُمْ

الله، ويثبت أقدامكم بالجُرْأَةِ التي خلقها في قلوبكم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ

دخلت الفاء على معنى جواب الشرط^(٣)، ثم إِنَّ الرجل إذا قال: الذي يأتيني فله

درهم، كلام حسن.

أتعسهم: والتعس الخيبة^(٤).

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٨ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ من الحق ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ

﴿٩﴾ ثم قال في كفار مكة:

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص كما أثبت في رسم الآية، وقرأ الباقر: قاتلوا (النشر

٣٧٤ / ٢). وقرأ الحسن: قُتِلُوا بالتشديد، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٢٤ / ١٧٤).

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ١٦٠ حيث روى هذا المعنى عن طائفة من السلف.

(٣) وهو قول صاحب النظم، وقال: لأنه منسوق على قوله: ﴿إِنْ تَصْرُوهَا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ﴾ أه من

البيسط ٢٠ / ٢٢٨، وقيل: دخول الفاء للتنبيه على الخبر، معاني القرآن للزجاج ٨ / ٥،

الكشاف ٤ / ٣١٨، التبيان ٢ / ١١٦٢.

(٤) البسيط ٢٠ / ٢٢٦.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ بعد السير ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكهم الله ﴿وَالْكَافِرِينَ أَمْثَلَهُمَا﴾ (١٠) من العذاب.

﴿ذَلِكَ﴾ الدمار للكفار والنصرة للأبرار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ناصرهم ووليهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (١١) ولا معين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا نصيب لهم من الجنة، بل هم ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ أي: يعيشون في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢) مُنزِلهم.

﴿وَكُلَّ مَن قَوِيَّةٍ﴾ أي: مدينة فيما خلا ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ منها، يعني: أهل مكة ﴿أَهْلَكَاهُمْ﴾ بالعذاب حين كذبوا الرسل ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (١٣) من العذاب الذي نزل بهم من كذلك نفعل بهؤلاء الكفار.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ بيان وبرهان من الله، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كُنْ زَيْنًا﴾ أي: حَسُنَ له في عينه قُبْحُ كُفْرِهِ، يعني: أبا جهل وغيره ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٤) عبادة الأصنام ومخالفة رسول الله.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ الموحِّدون، أي: صفتها أنَّ فيها ﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي: صافٍ ليس فيها كدر ولا نتن، والآسن: المتغيَّر الريح (١) ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي: ليس بقارص (٢) ولا حامض، ولم يخرج من ضروع الماشية (٣).

(١) البسيط ٢٠/٢٣٤.

(٢) القارص: الحامض من ألبان الإبل خاصة (لسان العرب ٧/٧٨).

(٣) البسيط ٢٠/٢٣٤.

﴿وَأَنْهَرُ مَنْ خَمِرَ لَذَّةٌ﴾ أي: لذيد، يقال طعام لذٌ ولذيدٌ كما يقال: رجل طبٌ وطبيب، ومعنى اللذة: أي لا يُسْكِر ولا يُصْدِع ولا مرارة فيها ولا ملوحة.
﴿وَأَنْهَرُ مَنْ عَسَلَ مُصَنَّى﴾ من الشمع وغيره مما يشوبه في الدنيا، وهذه الأنهار الأربعة تفجر من الكوثر^(١).

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قبل دخولها ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ أفمن كان حاله في الجنة كما وصفنا كمن هو دائم في النار ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ يُصْهَر به ما في بطونهم ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ وهي مجاري الطعام والشراب من المعدة، واحدها: معى مقصور^(٢)، أي: ليسا بسواء.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي: إلى قراءتك، وهم المنافقون.

مقاتل: هو رفاعه بن زيد والحارث بن عمرو، قيل: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر وقال: من المنافقين، فلما خرجوا من المسجد ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهو عبد الله بن مسعود ﴿مَاذَا قَالَ إِنْفَ﴾ أي: الساعة، فإننا لم نفهم^(٣).

والآنف: الوقت الذي أنت فيه^(٤).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ختم الله ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني النفاق.

ثم ذكر حال المخلصين ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ من الضلالة إلى الإسلام، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: بصيرة و يقيناً.

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٢٣٧.

(٤) الكشف والبيان ٢٤/ ١٨٤.

وقيل: معناه والذين اهتدوا بالمنسوخ زادهم هُدًى بالناسخ^(١).

﴿وَأَتَاهُمُ تَقْوَاهُمْ ۝﴾ أي: ألهمهم توحيدهم، كقوله: ﴿وَأَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

ثم خوف أهل مكة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: لا ينتظرون في كفرهم إلا القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ مقاتل: هو خروج رسول الله وانشقاق القمر والدخان^(٢).

﴿فَأَنذَرُ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ۝﴾ أي: من أين لهم الموعظة إذا جاءتهم. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال مجاهد: اعلم أن أطف الذكر وأفضله وأعلاه لا إله إلا الله.

أبو سهل: هذا خطاب للمنافقين، يعني: اترك أيها المنافق نفاقك واعلم أنه لا إله إلا الله.

قال الواسطي: من قال لا إله إلا الله على العادة فهو أحق، ومن قالها تعجباً فهو مصروف عن الحق، ومن قالها على الحقيقة والإخلاص فقد تبطل عن الشواهد.

ثم قال ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لنفسه ثم للمؤمنين وللمؤمنات، وقال: «لا أدع الاستغفار لأمتي في كل يوم خمسا وعشرين مرة»^(٣).

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ أي: متشركم بالنهار ومأواكم بالليل.

(١) وهو رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٢ / ١٧١).

(٢) تفسير مقاتل ١ / ٣٧١.

(٣) غريب، ولعله من رواية الكلبي.

ابن عباس: متقلبكم في أصلاب الآباء، ومثواكم حيث تأوون إليه^(١).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من المخلصين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلَا ﴿نُزِلَتْ سُورَةٌ﴾ اشتياقاً منهم إلى الوحي ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ ناسخة غير منسوخة ﴿وَذُكِّرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ الجهاد فيها ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: نفاق ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: حالهم كحال من هو في غشيان الموت، يكره ذلك كما يكره الموت.

﴿فَأَوَّلَىٰ لَهُمْ﴾ قال الزجاج: هو وعيد وتهديد، المعنى: وليهم المكروه، أي: العذاب^(٢).

ثم ابتداء فقال ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ يخاطب المؤمنين، أي: الذي يجب عليكم طاعة وقول معروف^(٣).

وقيل: إنَّ هذا الكلام متصل بالأول، معناه: طاعة وقول معروف أمثل لهم، وهو قول الخليل وسيبويه^(٤).

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جدَّ الأمر، محذوف الجواب، وجوابه: كرهوا ذلك.

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٩٢/٢٤ عن عكرمة.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٢/٥.

(٣) وهذا مروى عن ابن عباس من طريق الكلبي، قال ابن جرير: وروى عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى أنه قال: قال الله تعالى ﴿فَأَوَّلَىٰ لَهُمْ﴾ ثم قال للذين آمنوا منهم ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ فعلى هذا القول تمام الوعيد فأولى، ثم يستأنف بعد، فيقال: لهم طاعة وقول معروف، فتكون الطاعة مرفوعة بقوله: لهم.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٣/٥. وهذا القول هو الصواب.

ثم ابتداء فقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (٢١) ﴿دِينًا وَدُنْيَا مِنَ الْكُذْبِ﴾.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ معناه: لعلكم إن توليتم من هذه الأمم، وهم فخذ من قريش ﴿أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) ﴿نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ (١).

﴿أُولَئِكَ﴾ المنافقون والفاسقون الذين يتولون عن طاعة الله وطاعة رسوله هم ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم عن رؤية الحق حقاً ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ (٢٣) ﴿عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَرُؤْيَا الْحَقِّ﴾.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يتفكرون ليعرفوا الحق من الباطل ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) ﴿بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا، وَهُوَ ظَلَمَاتٍ مَعَاصِيَهُمْ﴾.

ثم ذكر اليهود فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ أي: نكصوا على أعقابهم بعد معرفتهم رسول الله بنعته وصفته أنه خاتم الأنبياء (٢) ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زين لهم ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾ (٢٥) ﴿أي: أبعد لهم في الأمل﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الارتداد والعذاب ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وهم اليهود، وإنما قال لهم أهل النفاق ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في السر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٢٦) ﴿مع اليهود﴾.

(١) والسياق مستمر معهم، وقيل: في أمراء الجور (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٣).

(٢) وهو قول قتادة، وقيل: السياق مستمر مع المنافقين (تفسير الطبري ٢٢/ ١٨٠)، وهو الذي استظهره ابن جرير لأن المذكور من صفات المنافقين أشبه منها بصفة أهل الكتاب.

﴿فَكَيْفَ﴾ يحتالون ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند قبض أرواحهم، يعني: ملك الموت بقبض أرواحهم وسائر الملائكة ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ ﴿٧﴾ بالمقامع.

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ من الكفر برسول الله ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: تركوا الإيمان ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٨﴾ التي عملوا في غير إيمان.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك في القرآن ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ ﴿٩﴾ أي: لن يظهر الله الحقد الذي في قلوبهم للذين آمنوا؛ حتى يعرفهم المؤمنون.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَأَرْسَلْنَاكَهُمْ﴾ أي: لأعلمناكم، يقول: سأريك ما أصنع بك أي أبين لك وأظهر.

قال الضحاك: أعلم الله رسوله بهم^(١).

ثم قال: ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ﴾ قيل: إن الله تعالى جعل لهم علامة في جباههم كهية الوشم، ينظر رسول الله إليها^(٢)، ولا يعلم أحد غيره إلا حذيفة بن اليمان، كان يعرف المنافقين.

وسبب ذلك - والله أعلم - يقال: بأن جبريل أتى رسول الله يوماً وقال: يا محمد، اخرج إلى وادي كذا، فخرج رسول الله وحذيفة خلفه، بحيث لم يعلم به

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ١٨٤.

(٢) في الأصل: إليه، والضمير للعلامة. وقد ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤ / ٢٠٥ أنهم ناموا فأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب: هذا منافق، وهذا القول غريب، ولا يعرف له إسناد، وقد ذكره الزمخشري والقرطبي على نحو ما ذكره الثعلبي، والآية تأباه، فإن العلامة التي وضعها الله له هي لحن القول، وسيماهم الخبيث.

رسول الله، وإنما تبعه لما يخاف عليه من قصد اليهود والمنافقين، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوادي إذا قد اجتمع فيه المنافقون كلهم، لحديث كان لهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المنافقون ورب الكعبة، فرآهم وعرفهم، ثم ذهب رسول الله، ثم أتاهم حذيفة وكلّمهم وجلس فيما بينهم، وكتب أسماءهم، قال حذيفة: ثم أتيت رسول الله وعرضت عليه أساميهم، فقال: نعم^(١).

ثم قال ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ يعني: الفضاضة في الكلام والرد لما جاء به محمد ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ من الخير والشر فيجزيكم بها.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: نبلونكم بالقتال مع الكفار حتى نعلم المجاهدين منكم يا معشر المؤمنين، والصابرين على أمر الله. ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ بالفعال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا [وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] وَمَنَعُوا النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ أنه رسول الله ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بكفرهم ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ التي عملوها في اليهودية^(٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بالمعصية لله ولرسوله، وقيل: بالسُّمعة والرياء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن دينه والحج والطواف حول الكعبة ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ شركهم أبداً.

(١) غريب بهذا السياق، ولم أجد هذا اللفظ، والمشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إليه بأسماء المنافقين (انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٤).

(٢) بناء على ما ذكره من أن الآيات نزلت في اليهود، وإلا فإن المراد العموم.

ثم حثهم على الجهاد فقال: ﴿فَلَا يَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ أي: لا تضعفوا وتبدوا الصلح والمُوادعة ﴿وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ﴾ أي: غالبون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالتصبر ودفع بأس العدو ﴿وَلَنْ يَتْرِكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: لا يبطل ثواب جهادكم.

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل واشتغال عن طاعة الله ﴿وَإِنْ تَوَمَّنَا﴾ فيما وعدكم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾ ثواب طاعاتكم ولا ينقصكم شيئاً ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ كلها في الصدقة.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْهَا﴾ كلها ﴿فِيْ حِفْظِكُمْ تَبَخَّلُوا﴾ أي: يلح عليكم تبخلوا بالصدقة ﴿وَيُخْرِجُ أَصْغَرَكُمْ﴾ أي: بخلكم، وقيل: يُخرج ذلك البخل أضغانكم، أي: عداوتكم الكامنة في صدوركم^(١).

﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآ﴾ كلاتهما تنبيه ﴿تُدْعَوْنَ﴾ أي: تؤمرون ﴿لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لكي تصدقوا في طاعة الله وسبيل الخير ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ﴾ بالصدقة ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بثوابها، ويبخس عن حق نفسه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عن صدقاتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إلى الله في طلب الرزق والمغفرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن النفقة والإيمان ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فتولوا واستبدل الله قوماً غيرهم من كندة^(٢)، والذين تولوا: حنظلة وأسد وغطفان وبنو حنيفة^(٣).

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ يعني: المستبدلين لا يكونوا أمثالكم، بل يكونوا أطوع منكم.

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ١٩١.

(٢) وهم أهل اليمن، كما روى ذلك ابن جرير عن بعض المفسرين (تفسير الطبري ٢٢ / ١٩٤).

(٣) زاد المسير ٤ / ١٢٤.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين إن تولينا يُسْتَبَدُّوا بنا، وكان عنده سلمان، فوضع عليه يده وقال: لو كان الدين مُعَلَّقًا بالثُرَيَّا لتناوله رجال من فارس^(١).

قال: وبلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقًّا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة»^(٢).



(١) رواه الطبري في التفسير ١٩٤ / ٢٢ من حديث أبي هريرة.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٦٤ / ٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٤.

سورة الفتح

مدنية^(١)، وهي تسع وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ قال مجاهد وقتادة: هو فتح خيبر^(٣)، وذلك لما صده المشركون عن دخول الحرم، فبشره الله بفتح خيبر.

وقيل: بشارة بفتح مكة بعد ما رجع من الحديبية^(٤).

وقيل: أراد به صلح الحديبية، لأنه كان سبباً لفتح مكة وفتح خيبر.

ومعناه: إنا قضينا لك قضاء بيناً، وهو الرجوع من الحديبية، سمي الحاكم والقاضي فتاحاً، والفتح المبين: ما كان من غير قتال^(٥).

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ قبل الوحي ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعد الوحي.

وقيل: قبل الفتح وبعده.

وقد يقال: بأنَّ الفتح من فعل الله تعالى، فكيف يستحق الرسول به المغفرة؟

قيل: معناه فتحنا لك فتحاً مبيناً لتشكر الله على ما أنعم عليك وتحمده

(١) إجماعاً، الكشف والبيان ٢٤/٢١٩، زاد المسير ٤/١٢٥.

(٢) بلا خلاف (البيان ٢٢٩).

(٣) الكشف والبيان ٢٤/٢٢٤.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/١٩٧.

(٥) وهو قول الكلبي، كما في البسيط ٢٠/٢٧٩.

وتستغفره، فيغفر ذنوبك، ومصدقه قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾ أمره بالاستغفار عند فتح مكة، ثم وعد له الغفران في هذه الآية بحرف اللام، يعني: استغفره ليغفر لك^(١).

وفيه دليل على جواز الصغائر على الأنبياء، لأن الأمر بالاستغفار للذنوب مُحَالٌ إذا لم يكن ذنب، وقد صرح بالذنب في آية أخرى، قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

ثم قال ﴿وَيُتِمَّرَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ﴾ لإظهار دينك على الأديان ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿يُثَبِّتُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ﴾. ﴿وَيُضَرِّكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ منيعًا بلا ذل.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يوم الحديبية.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة معتمرًا، وسمعت قريش، فبعثوا خالد بن الوليد ليأخذ الطريق على رسول الله، فأخذ رسول الله من طريق آخر حتى نزل بالحديبية، فسمعت قريش بذلك، وفرعوا منه، فبعثوا عروة بن مسعود مستخبرًا عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمع من العُمرار خبره، ورجع وأخبرهم بذلك، فلم يُصدِّقوه، ثم بعثوا بُدَيْل بن ورقاء مع نفر، فجاءوا وسمعوا أصوات التلبية، ورأوا القلائد والهذي، فرجعوا إلى قريش وأخبروهم، ورسول الله قد بعث عثمان بن عفان إليهم رسولاً، بإجارة سعيد بن عاصم ليخبرهم أنه يأتي للعمرة لا للحرب، فبعث أهل مكة سهيل بن عمرو، ليوادع رسول الله على أن يرجع هذه السنة، ويأتي السنة القابلة، حتى يخلوا له

مكة ثلاث ليالٍ ليعتمر، فكتبوا على ذلك كتابًا، وشرطوا في الكتاب أن من لحق من المؤمنين بالكفار لا يردُّونه إلى المؤمنين، ومن لحق من الكفار بأصحاب رسول الله يردُّونه إليهم، فشقَّ هذا الشرط على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله، كيف نعطيهم الدنية، فقال رسول الله: «من لحق منا إليهم فأبعده الله، ومن لحق منهم بنا فردَّه عليهم، وسيجعل الله له مخرجًا فاطمأنوا بذلك، وهي السكينة^(١).

وكما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا في دخول مكة بعد ذلك، وقصَّ الرؤيا مع أصحابه، فسكنوا، وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ الآية.

وقوله: ﴿لِيَرْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ أي: علمًا وتصديقًا ويقينًا مع إيمانهم بالله ورسوله، ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يُسَلِّطُ جنوده على من يشاء من عباده وأعدائه، وينصر بهم دينه ونبيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يصنع بك من الفتح والمغفرة والنصرة ﴿حَكِيمًا﴾ فيما صنع.

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني: فتحنا لك فتحًا ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يُغْطِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: إدخال المؤمنين الجنة وتكفير ذنوبهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ قَوْزًا عَظِيمًا﴾ نَجَاةً وافرَةً.

ثم ذكر حال المنافقين والمشركين ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَرْبَ السَّوْءِ﴾ وذلك

(١) انظر حديث الحديبية الطويل في صحيح البخاري ٢٧٣١، حيث ساقه البخاري من حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان، وهو سياق تام.

أَنَّ أَسَدَ وَغُظْفَانَ ظَنُّوا أَنَّ لَا يَرْجِعُ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا أَنْ يُهْزَمَ أَوْ يُقْتَلَ^(١)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ وَهُوَ الْفَسَادُ وَالْهَلَاكُ يَقَعُ بِهِمْ، وَيَدُورُ عَلَيْهِمْ ﴿وَعُذِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بِمَقَالَتِهِمْ ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ وَاللَّعْنَةُ هَاهُنَا الْعَذَابُ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢) بِئْسَ الْقَرَارُ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣) فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ لِأَمْتِكَ بِالْبَلَاغِ، وَقِيلَ: مُزَكِّيًّا لَهُمْ حِينَ شَهِدُوا لِلرَّسْلِ بِالْبَلَاغِ عَلَى أَمَمِهِمْ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَجَابَكَ ﴿وَنَذِيرًا﴾^(٤) مَخُوفًا لِمَنْ لَا يَجِيبُكَ بِالنَّارِ.

﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: بِالْيَأَى^(٥) ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾^(٦) يَعِينُوهُ وَيَنْصُرُوهُ ﴿وَتُوقِرُوهُ﴾ يُعَظِّمُوهُ.

وَالْتَعْزِيرُ وَالتَّوْقِيرُ لِرَسُولِ اللَّهِ: أَنْ يَحْمُوهُ وَيَكُونُوا لَهُ لَا عَلَيْهِ، وَالْعَزْرُ: هُوَ الْمَنْعُ^(٧).

وَهَذِهِ كُلُّهَا بِالْيَأَى عَلَى الْحِكَايَةِ عِنْدَهُمَا، وَعِنْدَ الْبَاقِينَ بِالتَّاءِ عَلَى الْمُخَاطَبَةِ^(٨).

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٢.

(٢) الأفعال الأربعة: لتؤمنوا، وتعزروه، وتوقروه، وتسيحوه، قرأها ابن كثير وأبو عمرو بالغيبة، أي: الياء، وهكذا ضبطها في الأصل، وقرأ الباقر بالخطاب، أي: بالتاء (النشر ٢/ ٣٧٥).

(٣) في الأصل بالياء، وعليه جاء التفسير، وكذا فيما بعده.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١.

(٥) الكشف والبيان ٢٤/ ٢٣٧، البسيط ٢٠/ ٢٨٩.

ثم ذكر المخاطبة الجامعة بين رسول الله وأمته، وهو قوله: ﴿وَتَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ بالغداة والعشي.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ تحت الشجرة، على أن ينصروا دين الله، وهي بيعة الرضوان ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ يعني: كانت بيعتهم لله عز وجل ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالوفاء لهم ما وعدهم من الخير.

وقيل: فيه معنى التحذير والتبشير:

أما التحذير: فمعناه احذروا عن مناقضة هذه البيعة، فإنها مع الله، وإن نقضتم نقضتم عهد الله.

ومعنى التبشير: أيها الموحدون، إذا بايعتم فاعلموا أي مبايعكم، قال لهم ذلك ليفرحوا ويقيموا على وفاء البيعة.

قال عبد الله بن عمر: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيث ما كان، وأن لا نخاف في الله لومة لائم.

وكانوا ألف وسبعمائة رجل، وقيل: ألف وخمسمائة، بايعوا رسول الله، وإنما بايعوا لأن رسول الله أخبره بعض الناس أن أهل مكة قتلوا عثمان بن عفان، فبايعوه على أن ينصروه ويعينوه^(١).

قال الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لأنهم عاهدوا أن ينصروا رسول الله، والله تعالى عاهدهم أن يدخلهم الجنة، فید الله بالمنة في إدخال الجنة فوق

(١) في حديث جابر المتفق عليه: كنا ألفا وأربعمائة (صحيح البخاري ٤١٥٤، صحيح مسلم ١٨٥٦). وفي حديث البراء: كانوا ألفا وأربعمائة أو أكثر (رواه البخاري ٤١٥١). وفي حديث ابن أبي أوفى (في صحيح البخاري ٤١٥٥، ومسلم ١٨٥٧): ألفا وثلاثمائة.

أيديهم بطاعة الله وطاعة رسوله^(١).

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ يعني: جنى بنقض العهد على نفسه
﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: أتمَّ العهد ﴿يَمَّا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْلُ آبَائِهِ عَظِيمًا﴾ في
الآخرة، أي: ثوابًا وافراً.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لرجل من الأنصار: «أوصيك بثلاث، وأنهاك عن ثلاث، أكثر ذكر الموت فإنه
يسليك عن أمر الدنيا، وأكثر من الدعاء فإنك لا تدري متى يُستجاب لك،
وعليك بالشكر، فإن الله تعالى يقول ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وإياك
والمكر، فإن الله يقول ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وإياك والبغي لأنَّ
الله يقول ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ وإياك والنكث فإنَّ الله يقول ﴿فَمَنْ نَكَثَ
فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾^(٢).

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ وهم الذين تخلفوا عن غزوة
الحديبية، سوف يقولون لك: يا محمد عند ما رأوا علة^(٣) بالباطل حين خذلوك،
فلما وعدك الله فتح خيبر طمعوا في الغنيمة، يقولون لك ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا
وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج، وخفنا على دورنا وأهاليها من العدو، ولو اتبعناك لتسبى

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢١٠، تفسير السمعاني ٥/ ١٩٤.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي من قوله (تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٨٧)،
وعن الزهري مرسلًا ببعضه.

ورواه ابن مردويه عن عبد الله بن نفيل الكناني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه،
ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٢).

ويروى هذا الكلام عن رجاء بن حيوة ومكحول، وهو بمواعظ أشبه به من حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم (الدر المنثور ٤/ ٣٥٣).

(٣) كذا في الأصل.

ذرائعنا، وهم: مُزَيِّنَةٌ وَجُهِينَةٌ وَأَسْلَمٌ وَغُطْفَانٌ، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة^(١).

﴿فَاسْتَعِظْ لَنَا﴾ بتخلُّفنا عن اتِّباعك، ثم أخبر الله تعالى أنهم ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنِّهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ تصديق ذلك العذر ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: من يقدر على رد قضاء الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ أي: عذابًا ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ يعني: هداية، وقيل: عافية ونصرة ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ﴾ وهو ردُّ لكلامهم واعتذارهم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ ﴿١١﴾ من تخلفكم وكذبكم.

ثم أعلم الله تعالى ما الذي منعهم عن الخروج فقال: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من غزوة الحديبية ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أنه لا يرجع محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ﴿وَوَظَنْتُمْ﴾ به ﴿ظَنَّ السَّوءِ﴾ أن يهزم أو يقتل ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿١٢﴾ صرتم هالكين بما أسررتهم في قلوبكم من النفاق، وأظهرتم الانقياد.

﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ صدقًا من قلبه ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ نارًا.

﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائنه وما فيها من الخلق والعجائب ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لمن تاب من الشرك واستوجب المغفرة ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من أقام على الشرك ويستوجب العقوبة ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب إليه من معاصيه ﴿رَحِيمًا﴾ ﴿١٤﴾ إذ جعل لهم سبيلًا إلى التوبة.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَايِرَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ وهم الذين تخلَّفوا عن غزوة الحديبية، فإذا خرجتم إلى خير ووعدكم الله في تلك الغزوة

مغانم سوف يقولون: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ ونخرج معكم إلى الغزوة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ لأن الله تعالى جده وعد نبيه أن مغانم خير لأهل الحديبية خاصة، لا يشركهم في الغنيمة أحد، ولا يذهب معهم إلى القتال أحد؛ إلا متبرعاً لا يطلب الغنيمة^(١).

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خير ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ غزوة خير ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين لم يقل الله ذلك ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ في أخذ الغنيمة معكم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم الذين لم ينافقوا.

وقيل: القليل راجع إلى الفقه، يعني قليلاً من هذا يفقهون، كما يقال: فلان قليل العقل وقليل الفهم^(٢).

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ مخافة القتل عن غزوة الحديبية ﴿سُدُّوعَنَ﴾ إلى قتال ﴿إِلَى قَوْمٍ﴾ بعد وفاة رسول الله في زمن أبي بكر ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، أهل اليمامة، وهم أربعة آلاف رجل مقاتل^(٣).

﴿تُقَتِّلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ ويرجعون عن الكفر ﴿فَإِن تَطِيعُوا﴾ الولي حينئذ، وهو أبو بكر، وتخرجون إلى القتال بأمره ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ثواباً جزيلاً في الآخرة، وهو الجنة والغنيمة في الدنيا ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن القتال وتخالفوا الولي ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن طاعة رسول الله ﴿مِّن قَبْلُ﴾ حين لم يخرجوا إلى الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآية دلالة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه^(٤).

(١) تفسير الطبري ٢٢/٢١٦.

(٢) وهذا الذي ذكره الطبري في تفسيره ٢٢/٢١٨، وأبو الليث في تفسيره ٣/٣١٦.

(٣) وقيل: فارس والروم (تفسير أبي الليث ٣/٣١٦، الكشف والبيان ٢٤/٢٤٧).

(٤) لأن أبا بكر هو من قاتلهم.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ أن لا يغزو، لأنه لا يُبصر من يقاتل ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ﴾ وهو المُقْعَد، لأنه لا يستطيع المشي ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ لأنه لا يطيق الجهاد ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في باب الجهاد ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ عَنْ الْجِهَادِ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٧﴾ ثم أثنى على الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة فقال:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وهي شجرة السمرة في الحديبية، لصدقهم وإخلاصهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والكرامة ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ والطمأنينة والرحمة ﴿وَأَثْبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ أي: جازاهم على الصبر والإخلاص فتح خيبر.

﴿وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ سوى فئ خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٩﴾ حكم بالقتل والسبي على أهل خيبر.

ثم قال ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ يا أصحاب محمد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني: غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ يعني به أهل مكة في غزوة الحديبية، عن الضحاك^(١).

وقيل: إن بني أسد وغطفان جاءوا لنصرة أهل خيبر، فوقع في قلوبهم الرعب، فانصرفوا بلا قتال بمئة الله ومشيتته^(٢).

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عبرة، وهي فتح خيبر على أيديهم وقد وعد الله لهم ذلك قبل الفتح ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢٠﴾ ولizardادوا تصديقاً

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٢٣١.

(٢) وعن قتادة: كف أيدي الناس عن بيوتهم وعيالهم بالمدينة، حين ساروا إلى الحديبية وخيبر، وكانت خيبر في ذلك الوجه، ورجحه ابن جرير (تفسير الطبري ٢٢ / ٢٣١).

بالإسلام لَمَّا رَأَوْا إِنْجَازَ وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ أي: غنائم بعد غنيمة خيبر وعدكم أيضًا، لم تقدروا عليها، أي: لم يظفروا بها بعد، ولكن أحاط الله بها بأنها ستكون.

ابن عباس: هي رومية وعمورية وقسطنطية ومدائن فارس ومدائن الشام^(١).

وقال الضحاك: هي مكة^(٢).

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من فتح المدائن وغيرها ﴿قَدِيرًا﴾^(٣).

﴿وَلَوْ قَتَلْتَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عام الحديبية أو بعده ﴿لَوَلُّوا الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين، يعني: أسد أو غطفان، وقيل: أهل مكة^(٤) ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوتَ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيًّا﴾ بعد توليهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾^(٥) ينصرهم من القتل والعذاب.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ نصب على المصدر، أي: سنَّ الله سُنَّةَ هزيمة الكفار ونُصرة الأنبياء على الأعداء، إلا ما شاء الله^(٦) ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٧) وتغيرًا.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالأبطح في طريق المدينة، يعني الحديبية ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا جماعة من أهل الحرم في عام الحديبية، فمنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وأرسلهم.

(١) رواه الطبري ٢٢/٢٣٢.

(٢) وهو قول قتادة، كما في تفسير الطبري ٢٢/٢٣٢، ورجحه على سائر الأقوال.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٣١٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/٢٦.

وعن قتادة: أَنَّ رجلاً من المسلمين اطلع على ثنية الحديبية فرماه المشركون وقتلوه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساناً حتى أخذوا منهم اثني عشر رجلاً، ثم أرسلهم رسول الله^(١).

وقيل: كانوا خرجوا إلى قتال رسول الله فهزمهم المؤمنون بالنبل حتى أدخلوهم بيوت مكة.

ثم بين الله تعالى السبب الذي كف أيدي المؤمنين عن الكافرين بعد التمكين منهم، بقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾ الآية.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصلح وغيره ﴿بَصِيرًا﴾^(٢).

ثم قال: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا به ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ أي: صدّوا الهدي أن يبلغ مذبحه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى في تلك العمرة في ذي القعدة مائة بدنة، فمنعوه أن يبلغ امذبح، فحرهن بالحدبية، وبين الله علة في تجويزه الصلح معهم فقال: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ﴾ بمكة، كانوا يكتمون إيمانهم من كفار مكة ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي: لم تعرفوهم، وفي الآية تقديم وتأخير، المعنى: ولولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات لم تعلموهم فتطؤوهم بغير علم، أي: تقتلوهم، وجوابه محذوف، معناه: لنصرناكم، وقيل: لأدخلناكم بغير علم^(٣).

﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَمُضِيكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: دية بسبب قتلهم^(٣).

(١) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٢٢/٢٣٦، والكشف والبيان ٢٤/٢٧٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥٨٢٧.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٣١٨، الكشف والبيان ٢٤/٣٠١.

وقيل: تعيير الكفار، لأنهم يقولون: قتلوا أهل دينهم وغير أهل دينهم^(١).

والمسلمون بمكة كثير، وأشهرهم: الوليد بن الوليد، ومسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، وأبو جندل بن سهل، وأسلم من أهل مكة إلى العام القابل اثنان وسبعون نفساً؛ من بين رجل وامرأة، فذلك قوله: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: في دينه إلى العام المقبل.

ثم قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ معناه: لو تميز المؤمنون منهم؛ ولم يكونوا مختلطين ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢) يعني السيف.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ يعني: الكبر ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني: حمية الجهلاء لا حمية العقلاء، وهو منع رسول الله عن دخول مكة؛ لأنهم قالوا: إن دخل محمد مكة عنوة يكون لنا سبة^(٣).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى اطمأنوا بها ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ ألهمهم كلمة أن لا إله إلا الله ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ في اللوح المحفوظ.

وقيل: هو بسم الله الرحمن الرحيم، لأنه اختص به هذه الأمة، فكانوا أحق بها وأهلها^(٣).

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور العباد ومصالحهم ﴿عَلِيمًا﴾^(٤).

(١) حكاه ابن الجوزي نقلاً عن جماعة من المفسرين (زاد المسير ٤/ ١٣٦).

(٢) وقيل: حميتهم أنهم لم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، وطلبوا أن يكتب: بسمك اللهم (تفسير الطبري ٢٢/ ٢٥٢).

(٣) وهو قول الزهري (تفسير الطبري ٢٢/ ٢٥٥)، والأكثر على أن كلمة التقوى هي كلمة التوحيد.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ معناه: لقد حقق الله رسوله رؤياه التي رآها بالمدينة حقًا، لأنَّه رأى في المنام أنه دخل مكة مع أصحابه مقصِّرين ومُحلِّقين، ففرحوا برؤياه، فلما مُنع عن دخول مكة قالوا: يا رسول الله، ألم نخبرنا أنك رأيت في المنام كذا وكذا؟ فقال: نعم، ولكن ما قلتُ لكم في هذا العام، إن لم يكن في هذا العام يكون في عام آخر^(١)، فكانوا ينتظرون ذلك، والمنافقون يرتابون، والمؤمنون دخل في أنفسهم شيء أيضًا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ من القتل تسكينًا لقلوب المؤمنين.

فلما كان العام القابل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمره القضاء، وأخلى أهل مكة دُورهم ومنازلهم ثلاثة أيام، وفتحوا البيت لهم، فدخلوا مكة وطاقوا بالبيت محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين، لا يخافون أحدًا من المشركين.

وقوله ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: علم الله ما لم تعلموا لأنكم جادلتم الرسول في رؤياه، ولم تعلموا أنه متى يكون ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي: قبل عمرة القضاء فتحًا قريبًا، وهو فتح خيبر، وقد مكث رسول الله

(١) في حديث المسور ومروان الطويل: قال عمر: «أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرت أنك أنا تأتيه العام»، قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بعرزته، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به» (لفظ البخاري في صحيحه ٢٧٣١).

صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من الحديبية خمسة عشر ليلة، ثم سار إلى خيبر.

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﴿بِالْهُدَى﴾ التوحيد ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ يعني: الإسلام، لأن كل دين غير الإسلام باطل ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ بالبرهان، والذي جاء معه من الله عز وجل، لأن الله تعالى قضى له أن يكون غالباً على من خالفه.

وقال مجاهد: هذا عند نزول عيسى، لأنه لم يبق هناك في الأرض دين سوى دين الإسلام.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ على ذلك، ولا شاهد أفضل.

ثم قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ فمحمد مبتدأ ورسول الله نعت له، والذين معه: معطوف على محمد ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ خبر المبتدأ، فجعل نبيه وأصحابه كلهم أشداء على الكفار، فيهم الغلظة والعنف في أمر الكفار.

﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متواددين فيما بينهم، يدعو الصالح على الفاسق والفاسق على الصالح ﴿تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سُجَّدًا﴾ في أداء الصلاة الخمس ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: يطلبون برأفتهم بعضهم على بعض، وغلظتهم على الكفار؛ رضا الله وطلب ثوابه يوم الجزاء ﴿سَيِّمَاهُمْ﴾ أي: علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ ابن عباس: هو الحِلم والعفاف، واللين في الكلام، وحسن السميت من كثرة الصلاة بالليل.

إذا رأيتهم يا محمد عرفت أنهم من أهل الصلاة، وهذا كما قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار»^(١).

وقيل: يُرى أثر السجود والعلامة في وجوههم يوم القيامة^(٢).

وقال عكرمة: سيماهم في وجوههم أنهم غُرَّ محجَّلون في القيامة^(٣).

﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر حليتهم و﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ وهاهنا وقف تام، ثم ابتداء وقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ أي: كمثل زرع ﴿أَخْرَجَ شَطْطَهُ﴾ أي: سُنبله.

وقيل: هو فراخ الزرع، فكان الزرع أول ما يخرج دقيقاً ضعيفاً، ثم يتقوى بفراخه، ويغلظ ساقه، فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم خرج فريداً، ثم لحق به الرجل والرجلان والثلاثة، حتى صاروا جيشاً، يُفتتح بهم البلاد، وكان بمثل الزرع يخرج ضعيفاً دقيقاً.

﴿فَازَرَهُ﴾ أي: أعانه وقوّاه بالشطأ الذي يخرج من جوانبه^(٤).

وقيل: شاطئ الوادي أي جوانبه^(٥).

﴿فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ والسُّوق: جمع ساق، أي: على قضيبه، وهو قضيب الزرع.

(١) رواه ابن ماجه في السنن ١٣٣٣، وهو حديث لا أصل له، إنما هو من قول شريك قاله لثابت بن موسى الزاهد لما دخل عليه، فظنه حديثاً فرواه، وقد بين ذلك أبو عبد الله الحاكم في المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل، وهو مطبوع بتحقيقنا، والحمد لله.

(٢) الكشف والبيان ٣١٧/٢٤.

(٣) هذا مروي عن ابن عباس وغيره كما في تفسير الطبري، والذي رواه ابن جرير عن عكرمة: قال هو أثر التراب (تفسير الطبري ٢٢/٢٦٤).

(٤) تفسير الطبري ٢٢/٢٦٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٩/٥.

﴿يُعْجِبُ الزَّاعِ﴾ يُفْرَحُ الْحُرَّاتُ حِينَ رَأَاهُ قَائِمًا عَلَى سَاقِهِ، كَذَلِكَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ كَانُوا قَلِيلًا فَكَثَرَهُمُ اللَّهُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ يَفْرَحُ بِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ مُجْتَمِعِينَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَأَدُّوا الطَّاعَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ ﴿مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ١٩ أَي: ثَوَابًا جَزِيلًا، وَهِيَ الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْحَاكِمِيُّ: بَلَّغْنَا عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْفَتْحِ كَانَ مِمَّنْ بَايَعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(١).



(١) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢١٥.

سورة الحجرات

مدنية^(١)، وهي ثمان عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ معنى التقديم بين يدي الله ورسوله: العمل بغير أمر الله في شيء من أمر الدين قبل أن يأتي أمر من الله تعالى^(٣).

وقال الأخفش سعيد بن مسعدة: يقال فلان تقدّم بين يدي الأمير إذا تعجّل بالأمر والنهي دونه، وتقدير الآية: لا تفعلوا فعلاً قبل أن يأمركم الله ورسوله به^(٤).

قال الحسن: سبب نزول الآية أن قومًا ذبحوا يوم الأضحى فأُمِرُوا بالإعادة^(٥).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ﴾ بأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾^(٦) بأعمالكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ قال مقاتل: نزلت في

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٤/ ٣٣٣، زاد المسير ٤/ ١٤١.

(٢) بإجماعهم (البيان ٢٣٠).

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٧٢، وقال: يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكي عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه.

(٤) البسيط ٢٠/ ٣٣٩.

(٥) وهو مروي عن جابر بن عبد الله كذلك (الكشف والبيان ٢٤/ ٣٣٦).

ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقرًا، وكان إذا تكلم عند رسول الله رفع صوته، فنهاه الله عن ذلك^(١).

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا تدعوه باسمه يا محمد ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ كما يدعوا الرجل منكم غيره باسمه: يا فلان، ويا فلان، ولكن عظموه ووقروه، وسمّوه باسم النبوة، وقولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله^(٢) ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ معناه: أن لا يحبط أعمالكم وحسناتكم بجهركم له القول ورفع الصوت عنده

(١) تفسير مقاتل ٢٥٨/٣.

والصحيح أنه ليس سبب النزول، لكن حصلت له قصة بعد النزول، فروى الطبري في تفسيره ٢٧٨/٢٢: عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن شماس، عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ قال: فقد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية، أتخوف أن تكون نزلت في، وأنا صيت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وغلبه البكاء، قال: فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي، فشدي على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره، فقال: اذهب فادعه لي، فجاء عاصم إلى المكان، فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك، فقال: اكسر الضبة، قال: فخرجا فأتيا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: أنا صيت، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبدا على رسول الله، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ الآية.

(٢) تفسير الطبري ٢٧٧/٢٢.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢) بطلانها، هذا خطاب المنافقين كما قال في آية أخرى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قال الكلبي: لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ بكى ثابت بن قيس، وقال: يا رسول الله، لا أخاطبك إلا سرا، فمدحه الله تعالى وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ في الكلام.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ﴾ أي: أخلص الله ﴿قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ للطاعة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) ثواب وافر في الجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ نزلت في بني العنبر^(١)، من خزاعة^(٢) وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، أميرهم عيينة بن حصن^(٣) بن بدر الفزاري، فانهزم بنو العنبر، وأخذت السرية ذرايرهم وعيالاتهم وحملوهم إلى المدينة، فأتى رجالهم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الهاجرة في القيلولة، فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات، أي: خلف الحجرات: يا محمد اخرج إلينا، وفادنا عيالاتنا، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج إليهم، وهو يمسح عينيه، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤) لا يفهمون عن الله نبيه.

(١) في الأصل: بني العزى، وهو تصحيف، وسيأتي على الصواب.

(٢) كذا في الأصل، وهو تفسير الكلبي، وأن بني العنبر من خزاعة (تنوير المقباس ٤٣٥).

والعجب منه مع علمه في الأنساب، فإن بني العنبر المرادين هنا هم من تميم (تفسير أبي

الليث ٣/ ٣٢٤).

(٣) في الأصل: حصين، وهو تصحيف.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ ولم يبهوك عن النوم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾
 قيل: معناه أعتقتهم كلهم ولم تفادوا منهم شيئاً، ففادى نصفهم وأعتق نصفهم
 ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لهم لما فعلوا جهلاً لأنهم أعراب، ورحمهم
 حين لم يعجل بعقوبتهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ نزلت في الوليد بن عقبة، بعثه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقاً، وهم حي من خزاعة،
 فسار إليهم وسمع في الطريق أنهم خرجوا إليه ليقتلوه، فخاف، ورجع لعداوة
 كانت بينه وبينهم في الجاهلية، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أنهم
 منعوا الزكاة، وقصدوا قتلي، فغضب رسول الله غضباً شديداً، وهم أن يغزوهم،
 فبينما هم كذلك إذ قدموا وقالوا: يا رسول الله، سمعنا بإتيان الوليد إلينا فخرجنا
 نلتقه، فبلغنا أنه رجع، ولا نعرف له سبباً، فخشينا أن رجوعه لغضب غضبت
 علينا يا رسول الله، فنعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ولم
 يُصدّقهم، فنزلت الآية^(١).

﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ أي: خبر عن قوم فتبينوا، أي: تعرّفوا وتوقفوا ولا
 تعجلوا بتصديق خبره.

﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾ كيلا تهلكوا قوماً بجهل منكم ﴿فَتَصِيحُوا﴾ أي:
 تصيروا ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرٌ﴾ من قتلهم.

(١) رواه ابن جرير من عدة طرق (تفسير الطبري ٢٢/٢٨٦)، وقال الشيخ ابن كثير: وقد ذكر
 كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق. وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما
 رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار، والد
 جويرية بنت الحارث أم المؤمنين.

﴿وَأَعْمَوْا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ حين حرّضتموه على قتال بني المصطلق ﴿لَعَنَتْكُمْ﴾ أي: أثمتم، والعنت الفساد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: في هذه الآية وجوه شبهة وإشكال: إحداها: أنه قال: ﴿فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنَتْكُمْ﴾ فالرسول هو المُطَاع، فكيف يكون مُطِيعًا لأَمَّتِهِ؟.

والثانية: أنه أضاف العنت إليهم، والعنت الإثم، فكيف يأثمون بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظاهر الحكم أن الفاعل أولى بالإثم من الأمر إذا لم يكن مجبرًا.

والثالثة: أنه قال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ﴾ فكيف يستقيم نظام هذا الكلام مع الكلام الأول، فهذه شبهة.

وقد تأملت فيها طويلاً، وطلبتُ لدرك معناها مخرجاً وسبيلاً، وشاهدت الأصول، وطالعتُ الفصول، فلم ينكشف لي معنى الآية على أوجز العبارة ما يطمئن قلبي عليه، وقد اتضح لي مقدار ما أوردته، وصدري مع ذلك متخلج، ونوع من الشبهة كأنها باقية.

أمّا مطاوعة الرسول لأَمَّتِهِ [ف]هو الإجابة إلى ملتسمهم، على سبيل التواضع وحُسن الخلق، الذي هو من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإضافة العنت إليهم بفعل رسول الله لأن ذلك الفعل بناء على سبب تحقق من جهتهم، ولم يعلم رسول الله بتحقيق ذلك السبب وعدمه قطعاً، لأن الوليد بن عقبة أخبره بعصيان بني المصطلق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قصد غزوهم بناء على خبره، ولم يكن ذلك الخبر صدقاً.

وجه توقيع الآية بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ ومعناه: لو يطيعكم في كثير من الأمر الذي تلتمسون منه لعنتم وأثمتم ووقعتم في الفساد؛ فلا تطلبوا منه ذلك، ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان وأعزَّكم بالإسلام.

﴿وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ لكي تطيعوا أتم الرسول، ولكن: زائدة في الكلام، وأصله: لا النفي، وكاف الخطاب، وإنَّ المشددة في آخره، وهو ابتداء جيد، لا ليطيعكم رسول الله^(١).

ثم قال ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ﴾ انتقال من المخاطبة إلى المغاية، وقد مرَّ مثله من قريب.

﴿فَضَلَّاهُ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ أي: ذلك كان بفضل الله وبنعمته، فكان نصباً على الظرف أو على نزع الخافض ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ في اختيار من اختاره، وخذلان من خذله.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حماره يوماً فمرَّ على عبد الله بن أبي المنافق، فوقف عنده، فراث حماره، فأخذ عبد الله بن أبي المنافق أنفه، وقال: عليك بحمارك عن وجه الريح فقد أذاني، فقال عبد الله بن رواحة: أَلِحمار رسول الله تقول هذا، والله إنَّ حمار رسول الله أطيب منك عَرَفًا وعَرْضًا، فاستبَّ بهذا السبب واقتتلا، وحضر رهط كل واحد منهم للاقتتال، وهما الأوس والخزرج، وهَمَّ رسول الله أن يحجز بينهم، فلم يقدر، فنزلت الآية^(٢)، وأمر بالصلح، فإنَّ أبوا عن الصلح وبغى أحدهما على الآخر ﴿فَقَاتِلُوا أَلَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: ترجع إلى أمر الله وهو الصلح

(١) وهذا غريب، انظر: البسيط ٢٠ / ٣٣٥٠، الدر المصون ١٠ / ٨.

(٢) رواه البخاري ٢٦٩١ ومسلم ١٧٩٩ عن أنس.

﴿فَإِنْ فَآتَتْ﴾ الباغية إلى الصلح ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ أي: أقسطوا واعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) وكان قوم عبد الله بن رواحة هم الأوس، وقوم عبد الله بن أبي هم الخزرج.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ يعني: عبد الله بن أبي وعبد الله بن رواحة، وإنما سمّاهما أخوين وإن كان أحدهما منافقاً لأنّ المنافق في الظاهر متحلّ بحلّي أهل الإيمان، وكانت الصحابة لا يُسمّون المنافق مشركاً لحُرمة الشهادة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهاكم، وائتمروا بما أمركم ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ (٢) ولا تُعذّبون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ نزلت في ثابت بن قيس، دخل على قوم فوسّعوا له في المجلس، إلا رجل واحد، فغيره ثابت بأمه بشيء ذكره (١).

وقوله: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ قيل: نزلت في عائشة هزأت بأم سلمة من قصرها (٢).

﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ يعني المُسَخَّرَات خيراً من الساخرات، وكذا في الرجال.

﴿وَلَا تَمِرُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، لأنكم كنفس واحدة.

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٧، والكشف والبيان ٢٤/ ٣٧٤، وهو من رواية الكلبي عن ابن عباس فيما يظهر.

(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ٣٧٦، وهو كسابقه.

﴿وَلَا تَبَرُّوا بِاللَّغِبِ﴾ أي: لا يُلقَّب بعضهم بعضًا بالاسم المعيب المنكر، وقيل: لا يُعَيِّر بعضهم بعضًا بالملَّة التي كانت له قبل الإسلام^(١).

﴿يَشْسُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أن يقال لليهودي الذي أسلم: يا يهودي، أو النصراني الذي أسلم: يا نصراني^(٢) ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني جميعه.

وقيل: كثيرًا من الظن أي ظن السوء^(٣).

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فيه دليل على أنه أراد ظن السوء ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا من الأمور في عيوب إخوانكم ما غاب عنكم علمه ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ وهو: أن تذكر من أخيك في غيبته ما لو سمعه يكرهه[٤].

﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ يعني: كما كرهتم ذلك فاكروهوا الغيبة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: انتهوا عما نهاكم وتوبوا إلى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ أي: رؤوس القبائل مثل مضر وربيعة وتميم، وقبائل أي: للأفخاذ مثل بني سعد وبني عامر ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي: ليعرف بعضهم بعضًا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ يعني أخوفكم من الله وأطوعكم.

(١) تفسير الطبري ٢٢/٢٩٩.

(٢) وهو قول عامة المفسرين، كما في تفسير الطبري ٢٢/٣٠٢، البسيط ٢٠/٣٥٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٣٢٨، وفيه: وقال سفيان الثوري: الظن ظنان: ظن فيه إثم، وظن لا إثم فيه؛ فالظن الذي فيه إثم، أن يظن ويتكلم به؛ وأما الظن الذي لا إثم فيه، فهو أن يظن، ولا يتكلم به، لأنه قال: «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» ولم يقل: جميع الظن إثم.

قيل: نزلت في بلال، عَيْرُهُ جماعة من قريش حين أذن على ظهر الكعبة يوم الفتح، والآية نزلت بعد الهجرة بمكة، وهي مدنية^(١).

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس حين عير ذلك الرجل بأُمَّه^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَيْرٌ﴾ ﴿١٣﴾ بما يفسد ذات بينهم فتولّى إرشادهم.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا﴾ قال مقاتل: نزلت في أعراب جُهينة ومُزينة وأسلم وغفار، كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فإذا مرّت بهم سرية من سرايا رسول الله قالوا: نحن آمناء، ليأمنوا على دمائهم وأموالهم، قال الله تعالى: قالت الأعراب من هؤلاء: آمناء وأقررنا بالإيمان والصلاة والزكاة.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَمْ تَزُمُونَا﴾ بقلوبكم ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسَآمَنَا﴾ لنصيب من رزقكم، ونتحرّم بحرمتكم ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وهذه الآية تدل على التفرقة بين المسلم والمؤمن، لأنّ الإسلام: إظهار الخضوع، وقبول ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك يُحقن الدم، فإن كان مع ذلك اعتقاداً وتصديقاً بالقلب فهو إيماناً.

ثم قال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما فرض الله عليه وسنّ رسوله عليكم ﴿لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً، وقُرئ: «لا يلتكم» من لا تيلت، وهما لغتان^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب من نفاقه ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ بهم بعد الإخلاص.

(١) وهي رواية مقاتل (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٩).

(٢) وهي رواية الكلبي (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٩).

(٣) ضبط الآية في الأصل: يَأَلْتَكُمْ، بالهمز، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقر كما أثبت، والتفسير الأول على قراءة البصريين (النشر ٢/ ٣٦٧).

ثم نعت المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَجَاهَدُوا﴾ الكفار ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعزاز دينه ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥).

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الأعراب من جهينة ومزينة، وقيل: من بني الحلاف ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: تخبرونه بما في ضمائركم واعتقادكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الغيب ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٦) من سر أهل السماوات والأرض، وأديان العباد.

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ﴾ بإسلامكم، إنما هو مغفرة لذنوبكم ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾ وعرفكم^(١) ﴿لِلْإِيمَنِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) في إيمانكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: غيب ما يكون بين الملائكة، وغيب ما يكون بين آدميين من التصديق والتكذيب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) من خير أو شر يجزيكم بها.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الحجرات أُعطي من الأجر عشر سنوات بعدد من أطاع الله وبعده من عصاه»^(٢).



(١) في الأصل: وعرفكم الإيمان.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤ / ٣٣٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٦.

سورة ق

مكية^(١)، وهي خمس وأربعون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَ [وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ]﴾ قال ابن عباس: ق جبل أخضر محدد بالدينا، من زبرجدة خضراء، محيط بالعالم، ليس في الأرض بلدة ولا مدينة إلا وفيها عرق من عروقه، ومَلَكٌ موَكَّلٌ واضعٌ كفه عليه، فإذا أراد الله بقوم هلكة أوحى الله إلى ذلك الملك أن يقبض عِرْقاً منه فخشف بهم^(٣).

(١) الكشف والبيان ٢٤/٤١٧، زاد المسير ٤/١٥٦.

(٢) بلا خلاف بينهم (البيان ٢٣١).

(٣) وهو مما لا تصح روايته عن ابن عباس، لأنه أشبه برواية الكلبي ومقاتل عنه، وقد رواه ابن أبي حاتم بإسناد منقطع في أوله، وفي آخره رواية ليث عن مجاهد عن ابن عباس، وهذا إسناد منكر، والظن أن ليثاً تلقفه من رواية الكلبي ومقاتل، فرواه عن مجاهد، فقد كان ليث ضعيف الحديث، وهذا الخبر رواه الكلبي عن ابن عباس والضحاك (انظر: تفسير أبي الليث ٣/٣٣١، زاد المسير ٤/١٥٧).

وقد تقدم مذهب ابن عباس في الحروف المقطعة، وروى عنه الطبري من طريق ابن أبي طلحة أنه قال: ق وَن قسم واسم (تفسير الطبري ٢٢/٣٢٥).

وساق ابن كثير (في تفسيره ٤/٣٩٤) حديث ابن أبي حاتم بإسناده، ثم قال: وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة -مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما بالعهد من قديم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشرهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله:

وقال الزجاج: معنى «ق» قُضي الأمر، كما قيل في «حم»: حُمّ؛ أي: قُدِّر الأمر، وجواب القسم محذوف، ومعناه: ق والقرآن المجيد لتُبْعَثن، عن الزجاج^(١).
وقال علي بن الحسين بن واقد: جوابه أن محمداً رسول الله^(٢).

وقيل: أقسم الله بقوته وقدرته.

ثم ابتداء فقال: ﴿بَلْ يَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: عجبت قريش أن جاءهم رسولٌ من العرب يخوفهم ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ الذي تخوفنا من البعث ﴿شَيْءٌ حَيِّبٌ﴾^(٣) إَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا بعد الموت بُعث ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي: رَدٌّ غير كائن.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: تأكل من لحومهم كل يوم ﴿وَعِنْدَنَا﴾ مع علمنا بذلك ﴿كِتَابٌ حَفِیْظٌ﴾ من الشياطين، وهو اللوح المحفوظ^(٤).

«وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل، وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، والله الحمد والمنة، حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، رحمه الله، أورد هاهنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس - ثم ساق خبر ابن أبي حاتم - ثم قال: فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع، والذي رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: «ق» قال: هو اسم من أسماء الله عز وجل، والذي ثبت عن مجاهد: أنه حرف من حروف الهجاء، كقوله: (ص، ن، حم، طس، الم) ونحو ذلك. فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس.

(١) ملخص من معاني القرآن له ٥ / ٤١، ونحوه في معاني القرآن للفراء ٣ / ٧٥.

(٢) ذكر الثعلبي عدة أجوبة ليس منها هذا (انظر: الكشف والبيان ٢٤ / ٤٢٤، البسيط ٢٠ / ٣٧٨).

(٣) تفسير أبي الليث ٣ / ٣٣٢.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: لم يُقرُّوا بل كذبوا بمحمدٍ والقرآن ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ ﴿٥﴾ مختلط ملتبس عليهم، مرة يقولون: هذا ساحرٌ، ومرة يقولون شاعرٌ وكاهنٌ ومجنونٌ.

ثم دلَّهم بقدرته على البعث^(١) فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ خلقناها ﴿وَرَيَّيْنَاهَا﴾ بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿٦﴾ أي: صدوع وخلل ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ بعدما كانت تنكفي بأهلها كالسفينة تتكفو بركبانها، فصارت الجبال بثقلها أوتادها، أثبتها الله في الأرض كيلا تميد بهم ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٧﴾ أي: من كل لونٍ حسن مبهج سار حسن في العيون.

﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى﴾ نصب على الفعل^(٢)، والمعنى: أنبتنا عبرة للعباد، وذكرى، أي: عظة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿٨﴾ إلى الله تعالى.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾ فيه بركات لأن منه حياة كل شيء ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ بالمطر ﴿جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ﴿٩﴾ هما اسمان أضيف أحدهما إلى الآخر، مثل: جبل الوريد، وحق اليقين.

وحب الحصيد معناه: حب الزرع الحصيد، أي^(٣) الحبوب التي تُحصَد، وهو جميع^(٤) ما يُقْتَات به^(٥).

(١) في الأصل: النعت، وهو تصحيف.

(٢) وهو مصدر، أي: فعلنا ذلك لنبصركم (معاني القرآن للزجاج ٤٣/٥، إعراب القرآن للنحاس ١٤٧/٤).

(٣) في الأصل: أيضا، وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: جمع.

(٥) معاني القرآن للفراء ٧٦/٣، إعراب القرآن للنحاس ١٤٧/٤، البسيط ٣٨٥/٢٠.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أنبتنا بالمطر النخيل الطوال، وبُسوقها طولها^(١).

﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾^(٢) أي: ثمر منضود متراكب بعضها على بعض، مادام في غلافه^(٣)، فإذا خرج فليس بمنضود.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: خلقنا ذلك لرزق العباد ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتَةً﴾ يابسًا لا نبات فيه ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(٤) أي: كما خلقنا هذه الأشياء كذلك خروجكم من القبور يوم النشور.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ كما كذّبك قومك ﴿وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ﴾ قيل: الرّس برّ دون الإمامة، وكان نبيهم حنظلة بن صفوان^(٥).
وقيل: قوم شعيب، وقد سبق تفسيره.

﴿وَقَوْمُ﴾^(٦) قوم صالح.

﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنٌ﴾ وأهله قوم موسى ﴿وَالْحَارُونَ لُوطٌ﴾ قُرَيَّاتِه.
﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ ثُبَّعٍ﴾ بن شراحيل الحميري، وكان مسلمًا ملكًا، واسمه أسعد، سُمي تَبَعًا لكثرة تبعه على عادة ملوك اليمن، أسلم حين غزى المدينة على يدي فتيان من فُذَك، وهم ستة نفر أبناء حَبْر أخبروه بأن يثرب مهاجر نبي آخر الزمان، وقصد مكة، فأخبروه أنّها مولدهن فرجع إلى حمير بعد ما أسلم، وخرج عليه جيشه وقصدوا قتل هؤلاء الفتيان، فجاءت نارٌ فأحرقتهم، فأظهر تَبَّع إسلامه^(٧).

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٣٤.

(٢) وغلافه هو الكُفْرَى (تفسير الطبري ٢٢/ ٣٣٦).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٤، الكشف والبيان ٢٤/ ٤٣٩، وانظر تفسير سورة الفرقان، آية: ٣٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٣٧، تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٤، الكشف والبيان ٢٤/ ٤٤٠، وفي هذا الموضوع يذكر المفسرون -في الغالب- الخلاف في تبع، وهل كان نبيًا أم لا، وانظر: تفسير سورة الدخان، آية: ٣٧.

ثم قال: ﴿كُلُّ كَذَبٍ رُسُلٌ فَقَّ وَعِيدٌ﴾ (١٤) أي: وجب عذابي ونزل بهم.

﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ وهو جواب لقولهم: إذا متنا وكنا ترابًا نُبعث؟ معناه: لم نعجز عن خلق آدم، ولم يك شيئًا، فكيف نعجز عن الخلق الثاني، وهو البعث، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: شك وجهل ﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيدَ﴾ (١٥) وهو البعث، وقيل: الخلق الأول في الأرحام، والآخر البعث (١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ في بطن أمه طورًا بعد طور ﴿وَنَعَلَمَ مَا تُوسْوُسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ أي: تحدثه به نفسه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِّ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) وحبل الوريد: عرق يجري فيه النفس ولا يجري فيه الدم (٢)، وهو مستبطن الصلب تحت العلباوين (٣)، ويقابلهما: الودجان (٤)، وهما عن يمين نُقْرَةِ النَّحْرِ ويسارهن يجري فيهما الدم، ولو أصابهما أدنى شيء يهلك الإنسان، وبعض العروق جداول: كالأكل والابجل والصابن، وهي التي تفصد، والابجل في الفخذ، والصابن في الساق، والأُسَيْلِم (٥) في ظهر الكف (٦)، والباسليق والقيفال فهو لأكلها (٧) جداول (٨).

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٣٤٠.

(٢) البسيط ٢٠ / ٣٩١.

(٣) العلباوان مثني العلباء، وهو عصب العنق، وهما علباوان يمينا وشمالا، وبينهما منبت العنق (لسان العرب ١ / ٦٢٧).

(٤) الودجان مثني ودج، وهما عرقان متصلان من الرأس إلى السحر، والوريدان بجانب الودجين، فالودجان من الجداول التي تجري فيها الدماء، والوريدان النبض والنفس (لسان العرب ٢ / ٣٩٧).

(٥) في الأصل: الإسلیم، وهو تصحيف، انظر: الجمهرة لابن دريد ٢ / ٨٥٩، ولم يأت إلا مصغرا، كما في لسان العرب ١٢ / ٢٩٩، تاج العروس ٢٣ / ٣٨٧.

(٦) الإسلیم والباسليق والقيفال كلها معربة، كما في مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٨١، ١٨٢.

(٧) في الأصل: لأكلها، وهو تصحيف. والأكل هو نهر البدن (تفسير السمعاني ٥ / ٢٣٩).

(٨) تهذيب اللغة ١١ / ٧٠، لسان العرب ٣ / ٤٥٩.

والمعنى: نحن أقرب إليه في المثل من بعض جسده، فلم يغب عنا ظاهره ولا باطنه^(١).

ثم وصف الملكين فقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ قال الزجاج: التلقي هو أخذ الكلام من قائله، كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، يقول: يأخذ الملكان الكلام من صاحبه ويكتبانه^(٢).

ثم وصف قريهما فقال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ولم يقل قعيدان، لأن ذكر اليمين والشمال دليل على أن أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال، فاكتمى بذكر أحدهما عن الثاني لوضوح المعنى^(٣).

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: لا يتكلم بلفظ إلا وعنده رقيب عتيد حاضر، مأخوذ من اعتد يعتد إذا استعد، وهي والعتيد بمعنى المعتد،

(١) تفسير السمعاني ٢٣٩/٥. وفسر الثعلبي والبغوي القرب بالعلم والقدرة، أي نحن أعلم به وأقد عليه (الكشف والبيان ٣٩٨/٧، معالم التنزيل ٣٥٨/٧).

قال الشيخ ابن كثير (في تفسيره ٣٩٨/٧): يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنما فرثا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: «وأنا أقرب إليه من حبل الوريد»، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدُّ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ مِنْ أَيْنَ شَاءَ اللَّهُ وَهُمْ لَا يُفْطِنُونَ﴾ (١٧) [سورة الواقعة: ٨٥] يعني ملائكته. وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٨) [سورة الحجر: ٩]، فالملائكة نزلت بالذكر -وهو القرآن- بإذن الله عز وجل، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله لهم على ذلك، فللملك لمة في الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: مترصد.

(٢) معاني القرآن ٤٥/٥، وليس فيه تعريف التلقي.

(٣) معاني القرآن للفراء ٧٧/٣، تفسير الطبري ٣٤٢/٢٢، الكشف والبيان ٤٥٣/٢٤.

كالحكيم بمعنى المُحَكَّم^(١).

ثم خَوَّفَ العباد بالموت فقال: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: كأنها قد جاءت شدته، لأنه شيء كائن ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفر وتحد منه.

﴿وَفُتِحَ فِي الصُّورِ﴾ أي: سُنِفَخَ ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ بمعنى الموعود ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: سائق يسوقها إلى الموقف، وشهيد يشهد عليها بعملها، وقيل: سائق من الملائكة وشهيد من الأيدي والأرجل^(٢).

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم في الدنيا ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ أي: رفعنا عن عينك العمى، وأزلنا عنك الشك ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: علمك اليوم نافذ، وليس هذا من بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالفقه والنحو، أريد به العلم^(٣).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ أي كاتبه: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ﴾ أي: هذا عندي من عمله حاضر أثبت به قول الله تعالى.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاندين وهو المُعْجَب بما عنده، المقيم عليهن المُعْرِض عن الحق.

قيل: هذا خطاب لملك [خازن] النار، على عادة العرب، خطاب التثنية للواحد^(٤).

وقيل: خطاب للملكين الموكَّلين على ابن آدم، وهو قول الزجاج^(٥).

(١) الكشف والبيان ٢٤ / ٤٦١.

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ٣٤٨، البسيط ٢٠ / ٣٩٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥ / ٤٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٢ / ٣٥٣، البسيط ٢٠ / ٣٩٩.

(٥) معاني القرآن ٥ / ٤٥.

﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ أي: مناع عن الإسلام، يعني به: الوليد بن المغيرة^(١)، وقيل: مناع المال الذي آتاه الله عن الفقير^(٢) ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظلوم على من قدر على ظلمه ﴿مُرِيْبٍ﴾ ذي ريبة وشك.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يعني الأصنام ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾^(٣).

ثم أخبر عن احتجاج بني آدم وبني إبليس ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ وهو الشيطان الذي يُزَيِّن له عمله ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي: ما أجبرته على الكفر ﴿وَلَكِنْ﴾ دعوته فأطاعني ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(٤) عن الحق، وهذا كما قال في آية أخرى حكاية عن إبليس ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ بعد الفراغ من الحساب ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾^(٥) على السنة الرسل.

وقد قيل: قوله ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ هذا لأهل الشرك، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(٦) لأهل الإيمان.

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٧) ولا أعاقب أحد بغير جرم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ أي: هذه المخاصمة في هذا اليوم، نصب على الظرف^(٨)، والله تعالى قد وعد جهنم أن يملأها بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ فسألها: هل امتلأت كما وعدتك؟ ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٩) قال مقاتل: معناه: ليس في من مزيد ولا في من سعة^(٤).

(١) وهو قول مقاتل، والآية عامة لا خاصة (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٦).

(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ٤٧١.

(٣) وذكر الزمخشري وجوها أخرى في انتصاب يوم (الكشاف ٤/ ٣٨٨).

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٢٧٢. في الأصل: فتقول. والآية بالواو ولست بالفاء.

وقيل: إنها تطلب زيادة^(١).

﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِمُتَّقِينَ﴾ أي: قُرِبَتِ الجنة من الموحِّدين لينظروا إليها قبل دخولها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(٢) تأكيد للأول، كقوله: ﴿أَمَوْتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾.

ثم قال: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾^(٣) الأَوَّاب: من يذكر الله في الخلوة، وقيل: هو الذي يُذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب^(٤).

والحفيف: الحافظ لحدود الله، وقيل: هو الذي لا يقوم من مجلس حتى يستغفر الله خيراً كان أو شراً^(٥).

﴿مَنْ حَتَّى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ﴾ في السر حين غاب عن أعين الناس ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾^(٦) مُنِيبٌ، وقيل: راجع إلى الله عن المعاصي.

يُقال لهم: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سلمتم من العذاب الأليم، وغنمتم الفوز العظيم ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾^(٧) أي: يوم البقاء إذا دخلوها خلدوا.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ ما يتمنون علينا ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٨) يستقبلهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قيل: إنَّ الله ينشئ سحاباً يُمطر عليهم الحور العين، فيقلن: نحن ما وعدك الله في الدنيا: «ولدينا مزيد»^(٩).

وقال جماعة من أهل التفسير: هو النظر إلى الله عزَّ وجلَّ^(١٠).

(١) الكشاف ٤/٣٨٩.

(٢) وكلاهما مروي عن السلف (تفسير الطبري ٢٢/٣٦٤).

(٣) تفسير الطبري ٢٢/٣٦٥، الكشف والبيان ٢٤/٤٨٤.

(٤) الكشف والبيان ٢٤/٤٨٨.

(٥) وهو قول أنس (تفسير الطبري ٢٢/٣٦٧).

ثم رجع إلى ترهيب أهل مكة، فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: قوة ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ سافروا فيها، وطوفوا للتجارات، وقرئ^(١): «فَنَقَّبُوا» على معنى الأمر^(٢).

﴿هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ أي: هل نجا من تلك الأمم أحد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: عبرة لمن كان له قلب، لمن كان له لبُّ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ وإلقاء السمع هو الإصغاء إلى الشيء، ووعيه وفهمه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر الفهم لا يغيب قلبه^(٣).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ﴾ أي: التعب والإعياء.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لك بأنك شاعر كاهن كذاب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: عظمه وبجله لعرفان نعمته، وقيل: صلِّ بأمر ربك^(٤).

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَأَذْبَرِ السُّجُودَ﴾ يعني: ركعتين بعد المغرب، وقيل: دُبر كل صلاة^(٥).

قرأ نافع وابن كثير: «إدبار»، بكسر الألف على المصدر، والباقون بفتحها على الجمع^(٦).

(١) في الأصل: وقيل، وهو تصحيف.

(٢) وهي قراءة السلمي ويحيى بن يعمر، كما في الكشف والبيان ٢٤ / ٤٩٠

(٣) تفسير الطبري ٢٢ / ٣٧٣.

(٤) تفسير الطبري ٢٢ / ٣٧٧.

(٥) الكشف والبيان ٢٤ / ٤٩٥.

(٦) قرأ المدنيان وابن كثير وحمزة وخلف: وإدبار، وقرأ الباكون: وأدبار (النشر ٢ / ٣٧٦).

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ استمع صفة ذلك اليوم، وأراد بالمنادي: نفخ الصور ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٤١) إلى السماء، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلاً^(١).

ثم بين متى يكون فقال: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ النفخة الثانية بالصدق ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (٤٢) من القبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ (٤٣) ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا﴾ أي: تتصدع عنهم فيخرجون سراعاً ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (٤٤) وليس كما زعم الكفار أن ذلك رجعٌ بعيدٌ.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من إنكار البعث ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: مسلط لتكرهم على الإيمان، وإنما نزلت السورة بمكة في وقت كان المؤمنون يهربون من الكفار في الغيران، ثم أمر الله بعد ذلك بقتلهم.

﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عِظْ ﴿بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (٤٥) أي: انتقامي من الأعداء.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة ق هَوَّنَ الله عليه سكرات الموت»^(٢).



(١) روي ذلك عن كعب الأحبار وابن بريدة وقتادة (تفسير الطبري ٢٢/٣٨٢، الكشف والبيان

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/٤١٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٧.

سورة الذاريات

مكية^(١)، وهي ستون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾﴾ هي الرياح، عن علي رضي الله عنه^(٣).
﴿فَالْحَمَلَتْ وَفَرَا ﴿٢﴾﴾ هو السحاب ﴿فَالْجَرِيَتْ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ هو الفلك
﴿فَالْمَقْسَمَتْ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ هو الملائكة^(٤).

وإنما دخل الفاءات في هذه الأشياء للترتيب، لأنَّ الأول يكون الرياح، ثم السحاب الحامل، ثم جريان الماء والسفينة، ثم ما تقسمه الملائكة للعباد من مقادير الماء والبرد.

وهو كلها مجرور بالقسم، كأنه قال: ورب الرياح الذاريات، ورب السحب الحاملات، ورب السفن الجاريات، ورب الملائكة المقسمات^(٥).

وهو جبريل يقسم الوحي والقرآن على ما أمر به، وميكائيل يقسم الرزق، وإسرافيل على صُور الخلق يقسم الصور كيف شاء بأمر ربه، ويقسم النسخ من اللوح المحفوظ، وعزرائيل على قبض الأرواح، يقسم الموت، فهذه كلها قسم، وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾ يعني الثواب والعقاب.

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٤/٥٠٧، زاد المسير ٤/١٦٧.

(٢) إجماعاً، البيان في عد آي القرآن ٢٣٢.

(٣) رواه الطبري ٢٢/٣٨٦، الكشف والبيان ٢٢/٣٨٦، ولا خلاف بينهم في ذلك.

(٤) البسيط ٢٠/٤٢٥، زاد المسير ٤/١٦٧.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/٥١.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الحساب والجزاء على الأعمال ﴿لَوْعٌ﴾ (٦) أي: نازل كائن.

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ﴾ (٧) أي: ذات البناء المحكم، والخلق الحسن، كحبك الماء والرمل إذا أصابتها الرياح، ومثل حبك الشعر الجعد وحبك الزرع؛ ولكنها لا ترى لبُعدها منّا^(١)، وهذا قسم ثان.

وجوابه: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ (٨) في محمد، ترمونه بالسحر والشعر والكهانة ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ [مَنْ أْفَكَ]﴾ (٩) أي: يُصرف عن محمد، وقيل: عن القرآن مَنْ صُرِفَ في علم الله عز وجل^(٢).

وقيل: يُكذب عنه من قد كُذِبَ^(٣).

لأنَّ أشراف العرب يبعثون الرسل إلى كفار قريش، ويسألون عن حال محمد، فكانوا يقولون: ساحر كذاب كاهن؛ إن لم تروه خير لكم، فترجع الرسل الذين أرسلوهم فيخبرونهم بما كُذِبوا كَذِبًا عن كُذِب^(٤).

﴿فَقُتِلَ الْخَرِصُونَ﴾ (١٠) يعني: الكذّابون والمرتابون، والخرص: الكذب^(٥).

والقتل في اللغة هو: القهر، ولا قهر أعلى وأشد من لعنة الله ولعنة رسوله^(٦).

(١) الكشف والبيان ٢٤/٥١٢، البسيط ٢٠/٤٢٨.

(٢) وهو الذي رواه الطبري عن طائفة من السلف، تفسير الطبري ٢٢/٣٩٩، البسيط ٢٠/٤٣١.

(٣) وهي رواية الكلبي عن ابن عباس، كما في البسيط ٢٠/٤٣١.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/٣٤١.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/٥٢.

(٦) صدر المصنف غالباً عن تهذيب اللغة، ولم يذكر هذا الأزهري في تهذيب اللغة لا في مادة قتل، ولا مادة قهر ٩/٦٤، ٥/٢٥٧، ولا يكون القتل بمعنى القهر إلا على بُعد. كقول ابن فارس: القتل أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة (معجم المقاييس ٥/٥٦).

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ (١١) أي: في جهالة غافلون عما هو نازل بهم.
 ﴿يَسْعَلُونَ﴾ محمداً والمؤمنين ﴿إِنَّا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٢) استهزاء وسخرية ﴿يَوْمَ
 هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣) أي: يُحرقون وينصبجون^(١).
 ويقول لهم خزنة النار: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ ذوقوا عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ
 تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٤) إنكاراً له.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٥) ءاخِذِينَ أي: قابلين ﴿مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ما
 أعطاهم الله من الكرامة في الجنة^(٢).

وقيل: كانوا عاملين ما أمرهم ربهم من الفرائض^(٣).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١٦) عاملين بالفرائض والنوافل.
 ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾ أي: مثل هذا العباد كانوا قليلاً، وهامنا وقف عند جماعة من
 القراء، ثم ابتداءً فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٧) أي: ما كانوا ينامون بالليل، فكان
 القليل من صفتهم^(٤).

وقيل: القليل صفة الليل، كانوا قليلاً من الليل أي: قلت ليلة ناموا فيها إلى
 الصباح^(٥).

(١) في الأصل: وينصبجون، وهو تصحيف.

(٢) وهو قول ابن عباس والمفسرين، على ما قال الواحدي في البسيط ٤٣٥ / ٢٠، وفيه نظر.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ٤٠٦ / ٢٢ عن ابن عباس، وذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير في
 الكشف والبيان ٥٢٠ / ٢٤، ولم يذكره سواه.

(٤) وتكون ما على معنى الجحد، وهو قول الضحاك، قال: إن المحسنين كانوا قليلاً، ثم ابتداء...،
 وقد تفرد الضحاك بهذا القول، وهو إلى الشذوذ ما هو (تفسير الطبري ٤١١ / ٢٢) وهذا
 التمام هو وقف يعقوب البصري (المكتفَى في الوقف والابتداء ٢٠٤).

(٥) وتكون ما للجحد أيضاً، وعليه الجمهور، أنس وابن عباس وأصحابه، والمراد نفي كثرة النوم
 عنهم لاشتغالهم إما بصلاة العشاء أو قيام الليل أو الصلاة بين العشائين (تفسير الطبري
 ٤٠٧ / ٢٢، الكشف والبيان ٤١١ / ٢٢).

﴿وَالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٨) للذنوب، وقيل: يُصَلُّون، عن الكلبي ومجاهد^(١).

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: حظٌ ونصيبٌ ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (١٩) والمحروم: الذي ذهب ماله فحرم بعد الغناء.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠) يعني: البحار، والأثمار على الأشجار، والثلوج والأمطار ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) يعني: خلقكم من النطف، ثم خروجكم من بطن الأم طفلاً، ثم صبيان ثم شباباً، ثم شيخاً، أفلا يدل ذلك على قدرة الله على البعث.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢) رزقكم المطر، وما توعدون الثواب لمن آمن، والعقاب لمن كفر.

ثم وكّد هذا الحكم بغاية التأكيد، وهو القسم، فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (٢٣) أي: البعث والثواب والعقاب حقٌّ كائنٌ ﴿مِّثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (٢٤) بقول لا إله إلا الله^(٢).

وقيل -وهو قولٌ عجيبٌ بديعٌ-: إنه لحقٌّ مثل ما إنكم تنطقون، يعني: مثل ما إنكم ناطقون؛ لأنه ليس على وجه الأرض خلق ناطق إلا بنو آدم، والمعنى فيه: أن الله تعالى يقول: إن لي عليكم التوحيد، ولكم عليّ الرزق، عملتم أو لم تعملوا، طلبتم أو لم تطلبوا^(٣).

(١) وابن عمر والضحاك (تفسير الطبري ٢٢/٤١٢). وقيل: هو الاستغفار من الذنوب.

(٢) وغيره، وهذا هو المعروف عند المفسرين، كما في تفسير الطبري ٢٢/٤٢٢، معاني القرآن للزجاج ٥/٥٤.

(٣) البسيط ٢٠/٤٤٨.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ ولم يأت خبره إلا بإخبار الله تعالى في القرآن، وقيل: قد آتاك، يعني في سورة هود.

والضيف: أراد به الأضياف، وهو لفظ يقع على الواحد والجماعة، وقيل: الضيف مصدر من ضاف يضيف ضيفاً، فلهذا وحده.

وسمّاهم: مُكرمين؛ لكرامة العجل الحنيد، وقيامهم إبراهيم على رأسهم.
﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ وهم كانوا اثني عشر من الملائكة ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وقرئ: «سِلْمٌ» ^(١) أنا لكم سِلْمٌ ^(٢).

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [٢٥] لا أعرفكم، ولا تشبهون السفر، ولستم من أهل البلدة.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي: إلى سارة، والرَّوْع: الميل والعدول عن القوم بحيث لا يعلمون به ^(٣).

﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ ﴿٢٦﴾ قد شواه ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ فلم يأكلوا منه ف﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ من طعامي، قالوا: لا ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أضمر في نفسه خوفاً، وظنهم لصوصاً ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ منا فنحن ملائكة الله ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٢٨﴾ أي: بولادة ولد عليم في صغره، حليم في كبره.

فلما سمعت امرأة إبراهيم بالبشارة ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَخٍ﴾ أي: أخذت في صيحة كصرير الباب على عادة النساء إذا تعجبن من شيء ﴿فَضَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: جمعت أصابعها الأربع وضربت على وجهها، قيل: على وجتها، وقيل:

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي (التيسير ١٢٥، النشر ٢/ ٢٩٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤.

تعجباً على عادة النساء^(١).

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ كيف تلد؟ أجابتها الملائكة: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ ﴿٤٠﴾ أنك تلدي بعدما كنت عقيماً ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤١﴾ حكم بولادتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾ بما هو كائنٌ منكما، فلا تنكري قدرة الله^(٢).

﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم بعد ذلك ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ سوى بشارتي، وهل لكم أمرٌ آخرٌ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ قوم لوط ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ﴾ ﴿٤٥﴾ ابن عباس: هو الآجر^(٣)، والعرب تُسمي الطين المطبوخ حجراً.

﴿مُسَوَّمَةً﴾ ﴿٤٦﴾ مُعَلَّمَةً ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿٤٧﴾ على كل حجر اسم من به هلاكه، وقيل: معلمة بالسواد والحمرة^(٤).

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ المشركين، وقيل: إسرافهم وضع الماء في غير محله موضعه^(٥).

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ نجيناهم من العذاب ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا﴾ ﴿٥٠﴾ من أهل التوحيد ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ ﴿٥١﴾ أي: أهل بيت ﴿مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ والإيمان والإسلام هنا واحد^(٦).

(١) البسيط ٢٠/٥٤٢.

(٢) الكشف ٤/٤٠٢.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٣٤٥، الكشف والبيان ٢٤/٥٥١.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/٤٢٩.

(٥) كناية عن إتيان الأدبار.

(٦) تفسير السمعي ٥/٢٥٨.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي: في مدائن لوط عبرة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٣٧﴾ حتى ينتهون عن مثل عملهم.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ هو معطوف على قوله ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾، والسلطان المبين: الحُجَّةُ الظاهرة، وهو الآيات التسع. ﴿فَتَوَلَّىٰ بَرْكِيهٖ﴾ أعرض بنفسه وجموعه، وقيل: برهطه، وقيل بجانبه وناحيته عن الإيمان بموسى^(١).

﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٣٩﴾ وهذا الكلام من غاية حمق فرعون، لأنَّ السحر لا يشبه الجنون، لأنَّ نهاية السحر الفطنة والكياسة، ونهاية الجنون فَقْدُ العقل، فكيف يتشابهان.

﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ رميناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ مستحق للملامة.

﴿وَفِي عَادٍ﴾ قوم هود ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ التي ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ لا تحمل شيئاً^(٢) ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: جرت عليه من الأنفس والأنعام ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ﴾ ﴿٤٢﴾ والريم: الورق اليابس المُتَحَطَّم.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: قوم صالح ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٣﴾ انتفعوا بحياتكم بأرض حجر بعد عقر الناقة ثلاثة أيام، حتى يأتيكم العذاب ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّلَافَةُ ﴿يوم الرابع، يعني: صيحة جبريل﴾ ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ إليها، ولم يكونوا نياماً كقوم لوط.

(١) الأقوال في البسيط ٤٥٥/٢٠.

(٢) في الأصل: لا تحمل شيء، ولا أدري هل كلمة تحمل صحيحة أم مصحفة.

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ لعذاب الله حين غشيهم، ولم يقدرُوا على رَدِّهِ
﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ﴾^(١).

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قرئ بالنصب، ومعناه: أهلكنا قوم نوح، أو: اذكر قوم
نوح^(١).

وقرئ بالكسر، معناه: وفي قوم نوح معطوف، على ما سبق^(٢).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٣) عتاة ظالمين.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ يعني: من الآيات التي أقمتهُا بناء السماء، وقيل: هو
مفعول مُقدَّم على الفعل ﴿بَإَيِّدٍ﴾ أي: قوة ﴿وَأَنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٤) الرزق على
العباد، لا يشق علينا ما نريد، والوسع في صفة الله الغناء، وقيل: لموسعون
السماء^(٣).

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ على وجه الماء ﴿فَنَعَمَ الْمُهِدُونَ﴾^(٥) والفرش والمهد
والبسط واحد^(٤).

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ كالليل والنهار، والبر والبحر، والشتاء
والصيف، والحر والبرد، والسهل والجبل، والظلمة والنور، ومثله كثير ﴿لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ﴾^(٦) أنه واحد لا شريك له.

(١) بالنصب قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وبالكسر قراءة أبي عمرو وحمزة
والكسائي وخلف (النشر ٣٧٧/٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/٥٧، الكشف والبيان ١٤/٥٥٩.

(٣) وقال ابن جرير: لذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقها وقدره عليه (تفسير الطبري
٢٢/٤٣٨). وعن مجاهد: تسع قدرتنا أن تخلق سماء مثلها (تفسير السمعي ٥/٢٦٢).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/٥٧.

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ إذا خفتهم سوى الله، وقيل: فرُّوا من الله إلى الله، أي: من معصية الله إلى التوبة، ومن طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن^(١).

﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ﴾ أي: من الله رسول ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ أنذركم عما نزل بالأمم قبلكم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ﴾ يعني: كما يقول لك قومك ﴿مَا أَنَّى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿مَنْ رَسُولٌ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ [أَتَوَصَّوْا بِهِ؟] استفهام بمعنى التوبيخ، والمعنى: أأوصى أولهم آخرهم بذلك، وذلك أن آخرهم سلك طريق أولهم في الكفر.

ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ عالون متكبرون.

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ يا محمد، قد أنذرت وأعدرت ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ﴿٥٤﴾ بعد أداء الرسالة، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿وَذَكَرَ﴾ أي: عظمهم فلم ننهك عن الموعظة ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ إن لم ينتفع بها الكفار.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ يقول المعتزلة لعنهم الله: إن الله تعالى ما خلق العباد إلا لعبادته، وهم يعبدون غيره، بخلاف إرادته، وهم الكفار، وظاهر الآية يشهد على صحة ما قالوا، ولكنه تلبيسٌ منهم وجعل.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: إن الله تعالى ذكر في هذه الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ وفي آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ فلا بد من التوفيق بين الآيتين^(٢)، فنقول وبالله التوفيق:

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٤٠.

(٢) في الأصل: الاثنين، وهو تصحيف.

اختلف المفسرون في معنى الآية المذكورة هاهنا، وهو قوله: «إلا ليعبدون» واتفقوا: أنه ليس المراد من هذه العبادة عبادة الأركان حقيقة، لأن فيه مخالفة إرادة الله تعالى بإرادة العبد، كما قالت المعتزلة، وأيضاً فيه مناقضة لآية أخرى، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ الآية.

قال الزجاج رحمه الله: معنى الآية ما خلقت الجن والإنس إلا لأدعوهم إلى عبادتي وأمرهم بها، كقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وفي آية أخرى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾^(١).

وعن ابن عباس: ما خلقت الجن والإنس إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً^(٢).

والكفار كلهم يقرّون بعبادته، منهم طوعاً ومنهم كرهاً عند البأس، وفي الآخرة كلهم يقرّون.

وقيل: الآية محمولة على أهل السعادة لا على أهل الشقاوة، عن الشعبي والضحاك، ويقولان: لفظ الآية عام ومعناها خاص^(٣)، ومثله كثير في القرآن.

وقال بعض المفسرين: قوله ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤) ليكونوا عبيداً لي، وليس المراد من الكلام أن يكونوا عبيداً لي، ولكن لينزلوا منزلة العبودية، يُقال: عبد يعبد عبودية إذا كان عبداً، مثل: عظم يعظم وظرف يظرف، والكفار كلهم عبيده شأؤوا أو أبوا، وقد يجوز إضافة الفعل إلى الفاعل كقوله ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا﴾ فسجدة الظلال ليس بالاختيار، وقال في آية

(١) معاني القرآن ٥ / ٥٨.

(٢) من رواية علي بن أبي طلحة، تفسير الطبري ٢٢ / ٤٤٤.

(٣) وهو قول زيد بن أسلم وسفيان (تفسير الطبري ٢٢ / ٤٤٤).

أُخْرَى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، وكل عاقل يعرف أن الحجر والمدر والجبال والشجر ليس لها اختيار في التسبيح، ولكن الله أضاف التسبيح إليهم، فهذا ما يخرب مذهب المعتزلة عنهم الله لعنا كثيرا.

وقال الواسطي: إِنَّ الله تعالى خلق الدنيا إظهاراً لقدرته، وخلق الآخرة جزاءً لخلقه، ورفع السماء تبيانا لمُلكه، ونصب الجبال تعظيماً لجبروته، ومدَّ الأرض إعلاماً لبطشه، وأجرى الأنهار إخباراً لرأفته، وخلق الجنة لأوليائه بياناً لفضله، وخلق النار لأعدائه إظهاراً لعدله، وأرسل الأنبياء تأكيداً لحُجته، وخلق ما في الدنيا إظهاراً لبرِّه ولُطفه، واستشهاداً لربوبيته، فذلك قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦).^(١)

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا] (٥٧) أي: لا أطلبهم بأن يرزقوا أنفسهم، ولا أكلّفهم بأن يرزقوا عبادي، لأنَّ الخلق كلهم عيال الله، فمن أطعم عيال الرجل فكأنما أطعمه، يقول: لا أطلبُ منهم المعونة في رزق العباد^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الْمُطْعِمُ خلقه، على المبالغة والكثرة ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ (٥٨) ذو الاقتدار المتين.

قُرئ: بالرفع من صفة الله ذي القوة، وبالكسر: نعتاً للقوة^(٣).

(١) وهذا الإشكال قديم، وقد أورده شيخ المفسرين ابن جرير وأجاب عليه، وقال: فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأنَّ قضاءه جار عليهم، لا يقدرّون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه (تفسير الطبري ٢٢/٤٤٥، وانظر: الكشف والبيان ٢٤/٥٦٧، تفسير السمعاني ٥/٢٦٤).

(٢) تفسير السمعاني ٥/٢٦٤.

(٣) أي في المتين، وقراءة الجمهور الرفع، وقرأ يحيى والأعمش وإبراهيم بالخفض (تفسير الطبري ٢٢/٤٤٥، الكشف والبيان ٢٤/٥٦٩، التبيان ٢/١١٨٥).

وينبغي أن يكون ذو القوة المتينة، لأنَّ المُذَكَّر لا يكون نعتاً للمؤنث، ولكن قيل: إنَّه رجع معناه إلى الاقتدار وهو مُذَكَّرٌ، وقيل: ذي القوة ولكن خفض للمجاورة، كما يُقال: جُحِر ضُب خرب^(١).

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي: نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا على الشرك، والأصل: في الذُّنُوب هو الدَّلُو، وكانوا يقتسمون الماء بالدَّلُو عند الازدحام، فسُمِّي النصيب ذنوباً لأجله على المجاز^(٢).

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ سؤال العذاب تكذيباً به.

ثم أوعدهم فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾^(٣).

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن حاتم الأصم رحمة الله عليه أنه قيل له: على ماذا أسست زهدك؟ قال: على أربعة أشياء، علمتُ أن لا أخلو من نظر الرب طرفة عين فاستحييتُ أن أعصيه، وعلمتُ أن لي رزقاً قد ضمن لي الرزاق ولا يجاوزني فوثقت به، وفرغت عن طلبه، وعلمتُ أن عليّ فرضاً لا يؤدّيه غيري فاشتغلت به، وعلمتُ أن لي أجلاً يُبادرني فبادرته.

قال: وبلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة والذاريات أُعطي من الأجر عشر حسنات بكل رِيحٍ يهبُ في الدنيا»^(٣).

(١) معاني القرآن لفراء ٩٠/٣،

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥٩/٥، البسيط ٤٧٠/٢٠.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٥٠٨/٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٨.

سورة الطور

مكيّة^(١)، أربعون وتسع آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ أقسم الله تعالى بالطور الذي كلّم عليه موسى، واسمه زَبِيرٌ، وكل جبل طور^(٣).

وكتاب مسطور: سُطِر فيه أعمال بني آدم، وهو اللوح المحفوظ^(٤).

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ٣﴾ وهو شيء لائح، وقيل: في نور مكتوب، وقيل: أراد به القرآن المكتوب في المصحف أو في اللوح^(٥).

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾ المَزُور، سُميت العُمرة عُمرة لأجل الزوّار.

قيل: هو بيت في السماء السابعة حيال^(٦) الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبداً^(٧).

وقيل: هي الكعبة المعمورة بالزيارة^(٨).

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٥/٧، زاد المسير ٤/١٧٥.

(٢) كذا في الشامي والكوفي، وثمان في البصري، وسبع في المدنيين والمكي (البيان في عد آي القرآن ٢٣٣).

(٣) الكشف والبيان ٤/١٧٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/٣٥٠.

(٥) البسيط ٢٠/٤٧٧.

(٦) في الأصل: جبال، وهو تصحيف.

(٧) تفسير الطبري ٢٢/٤٥٥، تفسير أبي الليث ٣/٣٥١، الكشف والبيان ٢٥/١١.

(٨) وينسب للحسن البصري، وهو قول شاذ (النكت والعيون ٥/٣٧٨).

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ هو السماء فوق الأرض مسيرة خمسمائة عام.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ المملوء من الماء، وهو بحرٌ في السماء مكفوف

به^(١).

قال عليّ: هو بحر الحيوان تحت العرش، يُحيي الله به الخلائق يوم

القيامة^(٢).

وقيل: المسجور الساكن^(٣).

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ وهذا موضع القسم ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨﴾ ولا

مانع.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾ تدور كدوران الرّحى^(٤)، وتموج الخلائق

بعضهم على بعضٍ من الهول.

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ في الهواء كسير السحاب ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَدِّبِينَ

۝١١﴾ بالبعث والرسل ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ أي: في باطل يلهون

ويخوضون ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ ۝١٣﴾ يُدفعون ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ۝١٤﴾ إزعاجًا عنيفًا.

قيل: تجعل الأغلال في أيديهم إلى أعناقهم، وتُجمع أقدامهم إلى

نواصيهم، ثم يُرمون في النار، وتقول لهم خزنة النار: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا

تَكْذِبُونَ ۝١٥﴾ في الدنيا أنها غير كائنة.

(١) تفسير الطبري ٢٢/٤٥٩، والكشف والبيان ٢٥/١٥.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/١٩، بإسناد موضوع.

(٣) غريب لم أجده، وقد ذكروا عدة معان ليس هذا منها (النكت والعيون ٥/٣٧٩، زاد المسير

١٧٦/٤).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/٦١.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ استفهام بمعنى التوبيخ^(١)، لأنهم كانوا يقولون لآيات الرسل ومعجزاتهم: سحراً، فيقال لهم: أفسحّر هذا؟.

﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾^(١٥) أم هذا مموه، يُخيل إليكم ولا حقيقة له.

﴿أَصَلَوْهَا﴾ ادخلوا في النار ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ صبرتم أو جزعتم فهي مأواكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١٦).

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ﴾^(١٧) فكيفين؟ ناعمين ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من الكرامة ﴿وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: دفع عنهم ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا أي: قيل لهم كلوا من ثمار الجنة واشربوا من أنهارها^(٢) ﴿هَنِيئًا﴾ أي: مُنْتَمٍ، والهنئي الذي لا داء فيه ولا يشوب لذته ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١٩) مُتَكِبِينَ جالسين من غير تعب ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ صُفَّت بعضها إلى بعض ﴿وَزَوَّجَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^(٢٠).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ أي: استخلفتهم أولادهم الصغار ﴿بِإِيمَانٍ﴾ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ أي: سنلحق بهم أولادهم إذا كان الآباء أرفع درجة من الأولاد ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما نقصنا من عمل الآباء شيئاً بالحق الذرية بهم.

﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾^(٢١) أي: مرهون، يعني: كل كافر مرهون عمله في الآخرة^(٣).

ثم رجع إلى ذكر المؤمنين فقال: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٢٢) أي: كلما أكل ثمرة عادت مكانها أخرى، فهذا معنى الإمداد^(٤).

(١) الكشف والبيان ٢٥/٢٥.

(٢) في الأصل: أنهار.

(٣) تفسير السمعي ٥/٢٧٤.

(٤) البسيط ٢٠/٤٩٢.

﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا﴾ يتعاطون ويديرون فيما بينهم في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ والكأس قدح الخمر.

وقيل: يتنازعون يعني يزدحمون، كما كانوا يحبون الازدحام عليه في دار الدنيا.

﴿لَا لَعْنُ فِيهَا﴾ أي: لا خلة^(١) فيها ﴿وَلَا تَأْثِمُ﴾ أي: لا يأثمون بشرها وهي حلال في الجنة ﴿وَيُطَوُّ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ صغار لا يكبرون أبدًا ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ [لَوْلَوْ مَكْنُونٌ] ﴿فِي الْحُسْنِ وَالْبَيَاضِ مِثْلَ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ المصون في الصدف.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالزيارة ﴿يَسْأَلُونَ﴾ من أمر الدنيا، وقيل: يتساءلون كيف نجوت من أهوال يوم القيامة حتى وصلت إلى مستقرّك في الجنة؟ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من هول هذا اليوم ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالعفو ﴿وَوَقَدْنَا عَذَابَ الْسَّعِيرِ﴾ الحر الشديد في النار ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ في الدنيا لينقذنا من عذاب النار ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ والبرُّ: الصادق الوعد.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ أي: بحمد ربك، وقيل: بمِنَّة ربك، أي: لست بكاهن ولا مجنون والله الحمد والمِنَّة، والكاهن: الذي يُخبر عما في غدٍ من غير حجة وبرهان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بالوحي، أمر الله نبيه بالتذكير، وبرّاه من قول المشركين بقوله: ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

(١) كذا في الأصل، ولعله يريد: لا خلل فيها، بمعنى أنه لا باطل فيها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ يعني: الموت، وَرَيْبُ الْمُنُونِ: حوادث الدهر ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ﴾ قيل في التفسير: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هَلَكُوا كُلُّهُمْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ^(١).

وقوله: «أَمْ يَقُولُونَ شاعر» معناه: بل يقولون شاعر.

ثم قال: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ عَقُولَهُمْ﴾ ﴿يَهْدَأُ﴾ الذين يقولون ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بل هم قومٌ متكبرون عن الانقياد للحق ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ يعني: محمد يقول القرآن من تلقاء نفسه ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يريدون الإيمان ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ أي: مثل القرآن بنظمه، وعجيب تأليفه ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ﴿أَنْ مُحَمَّدًا اخْتَلَقَهُ﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ قال الكلبي: أخلقوا من غير رب^(٢).
﴿أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ لا أنفسهم، وقيل: من غير شيء أي: من غير أمرٍ ولا نهي فيكونوا سُدىً^(٣).

﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فیدعوا ملكها.

قال الزجاج: هذه الآية أصعب ما في هذه السورة، ومعناه: أَنِي خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِلَا شَيْءٍ، وَخَلَقْتُ أَنْفُسَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ آدَمُ، وَخَلَقْتُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، فَلَمَّا قَدَرْتُ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِلَا شَيْءٍ؛ أَفَلَا أَقْدِرُ عَلَى بَعْثِهِمْ وَهُمْ مِنْ شَيْءٍ^(٤).

(١) معاني القرآن للزجاج ٥٠٢/٢٠، الكشف والبيان ٤٦/٢٥.

(٢) كذا في الأصل مجوذاً، وفي المصادر: من غير أب، كذا في الكشف والبيان ٣٥/٢٥، البسيط ٥٠٤/٢٠. وفي تنوير المقباس ٤٤٥ جمع بين الاثنين.

(٣) تفسير الطبري ٤٨١/٢٢.

(٤) وتكملة كلامه: وقيل فيها قول آخر: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ»: أَمْ خُلِقُوا لِغَيْرِ شَيْءٍ، أي خلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون (معاني القرآن ٦٥/٥).

﴿بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ توحيد الله.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ مفاتيح المطر والرزق، وقال مقاتل: أم بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤوا^(١).

وهذا جواب قولهم: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

ثم قال: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ المسلطون على الناس، بالصاد والسين^(٢).

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ سبيل وسبب إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يصعدون عليه ويستمعون الوحي ﴿فَلَيَأْتِيَنَّ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ كما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بحجته.

ثم سَفَّهُ أحلامهم بما نسبوا إلى الله من البنات فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ فله ما تكرهون أنتم لأنفسكم ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَجْرًا﴾ على ما دعوتهم إليه ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّقْبَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ عن إجابتك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ والميم ههنا زائدة، يعني: أعندهم^(٣) الغيب بأن الله لا يبعثهم ﴿فَهُمْ يَكْتُوبُونَ ﴿٤١﴾﴾ ذلك ليخاصموك به.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بل يريدون كيِّدًا، أي: يهْمُونَ أن يهلكوك لأنهم مكروا به في دار الندوة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وينقلب عليهم كيدهم، فقتلهم الله ببدر^(٤).

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٢٨٦.

(٢) النشر ٢/ ٣٧٨.

(٣) في الأصل: أم عندهم، وهو سبق قلم.

(٤) الكشف والبيان ٢٥/ ٥٣.

﴿أَمْرُهُمْ إِلَهُ عَزِزُ اللَّهِ﴾ استفهام بمعنى التوبيخ^(١).

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ سبحان الله كلمة نزه الله بها نفسه، وأحب أن يقولها خلقه، عن علي رضي الله عنه.

﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي: قطعاً من العذاب ﴿يَقُولُوا﴾ لشدة طغيانهم ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾ وليس بعذاب ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: يموتون.

ثم وصف ذلك اليوم فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴿أي: دون عذاب الآخرة، وهو القتل ببدن، وقيل: عذاب القبر^(٢)﴾.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ أن العذاب نازل بهم.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد لقضاء ربك على إيذاء قومك، وعلى ما أمرك من احتمال المشقة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في حفظنا ورعايتنا، لا يخفى علينا شيء مما تفعل ويفعل بك.

وقيل: إنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهك^(٣).

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ بأمره ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٤٨﴾ وقيل اذكر ربك باللسان حين تقوم من نومك، إلى أن تدخل في صلاتك.

(١) قال الخليل: كل ما في سورة الطور من ذكر: أم فكله استفهام وليس بعطف (الكشف والبيان ٥٤/٢٥).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٣٥٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/٤٨٨، تفسير السمعاني ٥/٢٨١.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ ٤٩ قيل: هي ركعتا الفجر، وقيل: صلاة الفجر^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الطور كان حقاً على الله أن يؤمّنه من عذابه، وأن يتنعم في جنته»^(٢).



(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٩٠.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨ / ٢٥، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٩.

سورة النجم

مكية^(١)، وهي اثنتان وستون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) قيل: هو القرآن يأتي نجمًا نجمًا، وقيل: هو سقوط الثريا مع الفجر، وقيل: هو تناثر النجوم يوم القيامة، ذكر النجم على الجنس^(٣).

قيل: لما نزلت هذه الآية وسمع بها عتبة بن أبي لهب، فقال: بلغوا محمدًا أني كافر بنجوم القرآن، فأخبر به رسول الله، فقال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» ثم خرج إلى سفر، فأخذه أسد من بين أصحابه وذهب به غير بعيد، ودقه من قرنه إلى قدمه، ولم يذقه لنجاسته^(٤).

ثم قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢) وهذا موضع القسم.

أي: لم يضل نبيكم عن القصد، وما كذب وما خاب. وقيل: الغواية والضلالة واحد، إلا أنه ذكر الضلالة والغواية لموافقة رؤوس الآي.

(١) قال الثعلبي: وقيل: مدنية، والصحيح أنها مكية، الكشف والبيان ٦٥/٢٥، بينما قال ابن الجوزي: مكية بإجماعهم إلا ما حكى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إلا آية منها، وهي ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ وكذلك قال مقاتل، قال: وهذه أول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة (زاد المسير ١٨٣/٤).

(٢) في الكوفي، وفي عد الباقيين: آية (البيان في عد آي القرآن ٢٣٤).

(٣) الكشف والبيان ٦٧/٢٥، زاد المسير ١٨٣/٤.

(٤) الكشف والبيان ٧٣/٢٥.

﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٣﴿ أي: عن مُراد نفسه.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ٤﴿ ما القرآن الذي أوتي به محمد إلا وحي من عند الله يأتي به جبريل.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ٥﴿ يعني: الشديد القوي من نفسه، وهو جبريل عليه السلام.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ٦﴿ أي: ذو قوة في العبادة، وأصل المِرَّة الفتل، وأريد بها القوة ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ ٦﴿ أي: رجع جبريل إلى السماء بعد أداء الرسالة، وقيل: قام على صورته كما هو ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ ٧﴿ فوق سبع سماوات^(١).

«والنجم»: قسم، وجميع أنواع القسم في القرآن ستة:

أحدها: للتفضيل كقوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾.

والثاني: للعجائب، كقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ١٠﴿ أقسم بعجائب قدرته في السماء.

والثالث: الامتحان، كقوله «ألم» و«المص» و«المر» و«حم» و«طس» و«ق» و«ن» وجميع الحروف المقطعة، امتحنهم الله تعالى فيه.

والرابع: الاعتبار، كقوله: «والنجم» و«المرسلات» و«الذاريات» لكي يعتبروا.

والخامس: الهيبة، كقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ١١﴿، ليعلم الخلائق تهويله إذا أقسم به الرب.

والسادس: الإنعام، كقوله «والضحى» «والليل» «والشمس» «والتين» «والزيتون» بين إنعامه وإحسانه.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) أي: قرب وزاد في القرب، يعني: دنو جبريل في الأفق الأعلى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)، وقيل: دنا محمد من محاذاة العرش، وقيل: دنا محمد من ربه عز وجل^(٢)، والله أعلم.

قيل: هو مقدم مؤخر، معناه: تدلى فدننى بالسجود أي: قرب، لأن التدلي سابق على الدنو، كقوله ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) معناه: انشق القمر واقتربت الساعة، لأن انشقاق القمر علامة الساعة^(٣).

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) قال قائل: «أو» كلمة شك في الأصل، فإن كان هذا للشك فهو محال، وإن كان المراد منه «بل» قال: فكان أدنى^(٤) من قاب قوسين، فكان صحيحاً في العبارة، فالجواب فيه:

أنهم خوطبوا بلغتهم؛ وعلى مقدار ما يفهمونه ويستعملونه؛ ولا مجال فيه لقياسنا، وقوله: «قاب قوسين» معناه: قدر قوسين، يعني: دنا جبريل إلى رسول الله قدر قوسين، إذا قرب حتى أوحى إلى عبد الله ما أوحى الله إليه^(٥).

وقاب قوسين أيضاً عادة العرب، لأنهم إذا أرادوا أن يصلحوا بين اثنين؛ أو يحدثوا مودة بينهما؛ وضعوا قوسيهما، أحدهما بجانب الآخر، ثم يقولون ليس

(١) وهو قول الحسن وقتادة رواه الطبري في تفسيره ٥٠١ / ٢٢.

(٢) وهو المروي عن ابن عباس وفيه الحديث المرفوع عن أنس في قصة المعراج، رواه الطبري في تفسيره ٥٠١ / ٢٢. وأصل حديث أنس في صحيح البخاري.

(٣) البسيط ١٦ / ٢١.

(٤) في الأصل: أو أدنى، وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٧١ / ٥، البسيط ٢١ / ٢١.

بينهما من البعد إلا قاب قوسين، فخطبوا على مثله.

ولأن كل قوم يقدرّون المقادير بالآلات التي يستعملونها، والعرب يقدرّون المسافة حزرًا بالرماح والقسي ومواقع النبل، كأهل السوق يقدرّون بالأذرع والأشبار، وأهل الحراثة يُقدِّرون المسافة بالجُرْبَان والمظروف بالصيعان، وهذه كلها صفة جبريل.

وإن حمل على صفة الرسول صلى الله عليه وسلم قيل: تدلّى الدنو فدنّى^(١) بالسجود، فكان قربه في السجود قاب قوسين أو أدنى.

قطع الله طمع المتوهمين، وعلوم العالمين، بذكر شيء لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، بقوله: «أو أدنى» يفهم من ذلك أنه بلغ نهاية المكان، وجاوز عن المكان، حتى قيل: إنه جاوز سرادقات العرش، وحُجب العظمة، حتى وضع قدمه على مكان لا ينطلق عليه اسم المكان، وعلى شيء لا يقع عليه اسم شيء، فكان قائمًا بقدرة الرب عزّت قدرته، من غير أن يقوم على مقام ومكان^(٢).

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ﴿١٠﴾ هو سرُّ بين الله تعالى وبين محمدٍ صلى الله عليه وسلم، لم يُرد أن يطلع على ذلك السر أحدٌ، وهذا من المبهم المسكوت.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿١١﴾ أي: ما كانت رؤيته ربه بقلبه خيالاً.

وقُرى: «ما كذب» بالتشديد، أي: لم يكذب قلبه ما رأت عيناه^(٣).

وقيل: ما كذب الفؤاد ما رأى أي: لم يخالف فؤاده عينه، كأنه جمع بين

(١) هكذا العبارة، وفيها شيء، ولعل الصواب: تدلى النبي فدنا بالسجود، لأن غرضه البناء على التشبيه.

(٢) الكشف والبيان ٨٩/٢٥.

(٣) قرأ أبو جعفر وهشام بتشديد الذال (النشر ٣٧٩/٢).

رؤية القلب ورؤية العين؛ حين نظر إلى الحق بعينه وقلبه، وهذا فصل يختلف فيه الصحابة.

قال ابن عباس: رأى ربه بعينه^(١).

وقالت عائشة: رآه بقلبه، وعن عائشة قالت: مَنْ زعم أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله^(٢).

وكان ابن عباس بين الصحابة يومًا فقال: أتعجبون أن لإبراهيم خُلة ربه، ولموسى كلام ربه، ولمحمد صلى الله عليه وسلم رؤية ربه، فكبر الصحابة تكبيرًا جهيرًا فرحًا^(٣) بقول ابن عباس.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال صلى الله عليه وسلم: «رأيتُه بقلبي ولم أره بعيني»^(٤).

وقيل: خلق الله في قلبه بصرًا رأى ربه بها، حتى اشتغل عن رؤية غيره، لأنَّ مَنْ نظر إلى الحق كان له الحق، وفني عن غير الحق، فيكون كله للحق.

وطريق عائشة أسلم وأولى بالقبول.

وفي اختلاف الصحابة ردَّ مذهب المعتزلة لعنهم الله، لأنهم اختلفوا في رؤية محمد صلى الله عليه وسلم، فكان اختلافهم في رؤية رسول الله دليلًا على جواز الرؤية في الجملة^(٥)، والله أعلم.

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٥٠٧/٢٢، والثعلبي في الكشف والبيان.

(٢) رواه مسلم في الصحيح ١٧٧.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى ١١٥٣٩، وإسناده جيد.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٩٨/٢٥، بإسناد ضعيف، وانظر: تفسير ابن كثير ٤٤٩/٧.

(٥) في الأصل: فبالجملة.

﴿أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١٢) وذلك أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر قريشًا عن خبر المعراج كذبوه، فنزل: ﴿أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١٢) أفتمارونه فيما رأى ربه بقلبه، أو رأى من آيات ربه^(١).

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) يعني: محمد [رأى] جبريل عند رجوعه من عند ربه مرة أخرى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٤) قيل: هي شجرة في السماء السابعة عن يمين العرش، إليها ينتهي علم كل شيء، لا يجاوزها، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى، كل ورقة منها تظل أمة، على كل ورقة منها ملك يذكر الله تعالى، لو أَنَّ ورقة منها وُضعت على الأرض لأضاءت الأرض بنورها^(٢).

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (١٥) سُمِّيت جنة المأوى لأنه تأوي إليها أرواح الشهداء ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (١٦) أي: ركب الشجرة ما ركب من الملائكة على صورة الفراش^(٣).

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (١٧) أي: ما مال بصر محمد صلى الله عليه وسلم إلى غيرهم تعجبًا منهم، وما طغى: أي ما جاوز الحد الذي حدّه.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ تلك الليلة ﴿مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (١٨) أي: رأى العظم من آيات ربه.

قال مقاتل: رأى رفرقًا أخضر قد غطى الأفق^(٤).

وقيل: الجنة والنار.

(١) تفسير الطبري ٢٢/٥١٠.

(٢) الكشف والبيان ٢٥/١٠٦.

(٣) الوارد في الأثر: فراش من ذهب، ولا يلزم من ذلك أن تكون ملائكة (تفسير الطبري ٢٢/٥١٩)، وقيل: يغشاها الملائكة (الكشف والبيان ٢٥/١١١).

(٤) تفسير مقاتل ٣/٢٩٠.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ متروك الجواب، ومعناه: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها، هل لها من هذه المقدرة شيء^(١).

وقيل: اللات صخرة كانت بالطائف يعبدونها، حولها أحجار أخذت من الصفا والمروة، جعلوها كالصفا والمروة تعظيمًا^(٢).

وقيل: سُمِّيَ لَاتًا لأنه أضيف إلى رجل كان يلت السويق حين قصدوا الحج^(٣). وقيل: حجر يُكْتُ عليه السويق فعُبدَ. والعُزَّى: شجرة تعبدها غطفان^(٤).

﴿وَمَنْوَةَ﴾ صنم كان لأهل مكة وهذيل وخزاعة^(٥).

فلما أظهر الله الإسلام وأهله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى غطفان، فقطع العُزَّى، فكان خالد يضربها بالفأس ويقول رجلاً:

يَا عُزَّى كُفْرَانِكَ لَا سَبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(٦)

قيل: خرجت امرأة من جوف الشجرة حين قطعها خالد، فقتلها، وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هي العُزَّى لن تعبد أبداً»^(٧).

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢٣.

(٣) ولذا كان يقرأ ابن عباس وبعض أصحابه: اللات اسم فاعل من لت يلت (تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢٣).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣. وقيل: كانت حجراً كما في تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢٤.

(٥) بالمشلل من قديد (تفسير الطبري ٢٢/ ٥١٤).

(٦) معاني معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٨، الكشف والبيان ٢٥/ ١١٩.

(٧) رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما في معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٩، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ١٢٠، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٤٢٣.

وقيل: هي ثلاثة أصنام لأهل مكة، والله أعلم.

وقوله: ﴿الثَّالِثَةَ الْآخَرَى﴾ (٢٠) والعرب لا تقول للثالثة أخرى؛ لأنَّ الأخرى من صفات الثانية.

قيل: هو مُقَدَّم مؤخَّر، والمعنى: أفرأيتم اللات الأولى، والعزى الأخرى، ومناة الثالثة، ولكن أُخِّرَ الأخرى إلى الثالثة لفواصل الآيات، لأنَّ فواصل الآيات مرعية في القرآن أجمع.

وقيل: مناة الثالثة الأخرى من العزى.

ومن رعاية فواصل الآيات قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١٢٦) وقوله: «وأجلٌ مسمى» هو مُقَدَّم على قوله: «وكان لزامًا» في المعنى، ولكن أُخِّرَ للفواصل.

وقال الشيخ أبو سهل الأنماري: كان المشركون إذا حزبهم أمرٌ عظيمٌ رفعوه إلى اللات وسدنتها، ثم إلى العزى ثانيًا، ثم إلى مناة ثالثًا، ولو حزبهم أمرٌ دون أمرٍ رفعوه إلى اللات وسدنتها أولاً، ثم إلى مناة وسدنتها، فكانت مناة في المهمات العظمى ثالثة، وفي الوسطى أخرى، فجمعها الله بين الاسمين.

قوله: ﴿الْكُفْرُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (١١) إذ قلتُم أنَّ الملائكة بنات الله ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضَيْزَى﴾ (١٢) ذات جور، يُقال: ضاز يضيض إذا جار.

وضيضى أصله: ضوزى، لأنه نعت المؤنث، والنعوت تأتي على الفتح والضم، دون الكسر، وهو اسمٌ وليس بنعتٍ، كالشعرى والذفرى^(١).

وروى النسائي في الكبرى ١١٤٨٣ عن أبي الطفيل نحوه. وانظر: تفسير السمعاني ٢٩٣/٥

فقد شرح هذه الأصنام.

(١) معاني القرآن للفراء ٩٨/٣.

ثبت أنَّ أصله ضوزي، ولكن كسر أولها لأنَّ أصل الكلمة بالياء: ضاز
يضيض، فلو أبقيناه^(١) على أصل فعلى لصارت^(٢) الياء واوًا، فأجرينا على الياء
الأصلية، وانخفضت الضاد لمجاورة الياء، كقولنا: يبيض، وعين، وأصله: بوض
وعون، لأنه نعت، ولكن أصله الياء: أبيض وأعين فخفض العين والياء لمجاورة
الياء^(٣)، والله أعلم^(٤).

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ من قبل ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ﴾ كتاب ولا حجة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: ما تعبدون الأصنام إلا
بالظن أنها تشفع ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي: يتبعون ما تهوى أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ وهو القرآن على لسان النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ نزلت في عتبة بن ربيعة، قال: لنا نعيم الآخرة كما
لنا نعيم الدنيا^(٥).

﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ يحكم كما يشاء، يأمرهم في الدنيا بالعبادة؛ فإن
أبوا فيعاقبهم في العقبى.

﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ لو أرادوا أن يشفعوا
مثلاً ﴿إِلَّا مَن بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ عمله.

الذفرى: من الناس ومن جميع الحيوان من لدن أصول الأذنين إلى نصف القذال (تاج
العروس ١١/٣٧٤).

(١) في الأصل: بقيناه.

(٢) في الأصل: لصار.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/٩٨، معاني القرآن للزجاج ٥/٧٢، البسيط ٢١/٤٧.

(٤) قد شرح هذا الفصل شرحاً مسهباً أبو علي الفارسي انظر: الحجة للقراء ٦/٢٣٤، وعنه
البسيط ٢١/٤٧.

(٥) وقيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل في النضر بن الحارث (الكشف والبيان ٢١/٤٩).

وهو جواب قولهم: نعبد الملائكة ليشفوا لنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بثواب الله وعقابه في الآخرة ﴿لَيْسُمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ (٧) ﴿بِاسْمِ الْبَنَاتِ﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فيما يزعمون ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٨) أي: اتباعهم الظن لا يسقط عنهم أداء الحق الذي لزمهم، ولا تصير الملائكة إناثاً بزعمهم: بظنهم.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: توحيدنا ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أي: ذلك غاية علمهم لا يعلمون إلا أمر الدنيا، فهم بأمورها حاذقون، وعن غيرها غافلون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه الإسلام ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ (١٠) أي: رجع عن الكفر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾ أي: أشركوا ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ في شركهم فيجازيهم بالنار ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (١١) الذين وحّدوا بالجنة.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ واللمم من قولهم: ألم بالذنب إماماً، إذا صنع الشيء بعد الشيء، بدون الكبائر، ولا يدوم عليه، فمن فعل ذلك واستغفر الله ف ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يغفر لصاحبها، ولصاحب الكبائر والفواحش إن شاء.

وقال الأخفش: لم يأذن الله باللمم، وليس اللمم من الفواحش، ولا من الكبائر، ولكن إنما هو خطرات القلوب، ونظرات العيون، وغمز الحواجب^(١).

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي: بما يكون منكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي: من آدم، وآدم من الأرض.

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٧، الكشف والبيان ٢٥/ ١٣٦، البسيط ٢١/ ٥٥.

قال الصادق: هو أعلم بكم لأنه خلقكم وقدر عليكم السعادة والشقاوة، وقضى أن لا تستجلب الطاعات سعادة، ولا المخالفات شقاوة، ولكن سابق المقدور الذي بدأ به يُختم عليه.

﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَحِبَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: عالم بكم حين كنتم جنيناً، وقبل كونكم ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تبرؤوا لها من العيوب التي ^(١) فيكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ^(٢) لأنه علم بكم قبل خلقكم.

قال أهل التحقيق: من علم من أين هو، وإلى أين هو، وما هو ^(٣) في الوقت، علم أنه ليس بمحل للتزكية.

﴿فَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ^(٤) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ ^(٥) قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، فقال وليد: إن كان محمد قاله فنعم ما قال، وإن كان رب محمد قاله فنعم ما قال، ثم أعرض ولم يسلم، فنزلت الآية ^(٦).

أي: أعطى قليلاً من الخير بلسانه.

وقيل: نزلت في عثمان رضي الله عنه، كان كثير الصدقة، فقال له يوماً عبد الله بن أبي سرح: هذا الذي تصنع، إني أخاف أن لا يبقى لك مال، ويوشك أن تبقى فقيراً، فقال عثمان: إن لي ذنباً وخطايا وأنا منها مُشفق، فقال له الخبيث: أعطيني بعيرك هذا وخطامه، وأنا ضامن لك لخطاياك، ففعل ذلك عثمان، ثم أقصر عن الصدقة، فنزلت الآية ^(٧).

(١) في الأصل: الذي.

(٢) في الأصل: وها هو، وهو تصحيف.

(٣) أصله في تفسير الطبري ٥٤١/٢٢.

(٤) الكشف والبيان ١٤٥/٢٥.

أفرايت الذي تولّى عن الصدقة، وأعطى قليلاً: يعني راحلته، وأكدى: أي ترك الإعطاء، وأصله الحافر [إذا بلغ في] ^(١) الحفر الكديد ^(٢)، وهي الأرض التي لا تعمل عليها المعول، فرجع وترك ^(٣).

﴿أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ ^(٣٥) أنه يرفع عنه جناياته.

وقيل: أعند الوليد علم الغيب حتى يرى ما يدعو إليه محمد حقاً ثم تركه. ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ يَمَّا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ^(٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ^(٣٧) بما تعبدّه الله من ذبح ابن، والختان بعد الكبر، والصبر على إيذاء قومه، وبالهجرة إلى أرض الشام.

وفي كتاب إبراهيم وموسى ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ^(٣٨) أن لا تحمل حاملة حمل أخرى.

قال ابن عطاء: إبراهيم الذي وفّى بأربعة أشياء: بذل نفسه للنيران، وقلبه للرحمن، وابنه للقربان، وماله للإخوان ^(٤).

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ^(٣٩) أي: ليس لابن آدم في الآخرة إلا جزاء ما عمل في الدنيا؛ إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ ^(٤٠) يعني: جزاء عمله سوف يراه في العقبي ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ ^(٤١) إن كان محسناً يضاعف له الحسنات، وإن كان مسيئاً يجرى له مثلها.

(١) في الأصل كلمة مصحفة، صورتها: اد بد ف، والتصحيح من تهذيب اللغة ١٠ / ١٧٧، الكشف والبيان ٢٥ / ١٤٧.

(٢) في الأصل اللديد، والكديد من الأرض الغليظ.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥ / ٧٥.

(٤) الكشف والبيان ٢٥ / ١٥٠.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَىٰ﴾ (٤٢) أي: مصير الخلق^(١) يوم القيامة، هذه كلها كلمات الصحف ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣) أَصْحَكَ أهل الجنة وأبْكَى أهل النار.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤) أَمَات القلب بالمعصية، وأحياه بالذكر، وقيل: أَمَات الحيوانات وأحيا النطفة^(٢).

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (٤٥) واختلاف ألوانهما ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ (٤٦) أي: هريقت في الرحم ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ﴾ (٤٧) أي: الثانية البعث ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ (٤٨) أي: أَرْضَاهُمْ بما أعطى من الفضة والذهب والمسكن، وأقنى: أي جعل لهم من الإبل والبقر والغنم. وقيل: أقنى: جَعَلَهُ من المال ما يقتنى^(٣).

وقال الجنيد: أغنى قوماً وأفقر قوماً.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ (٤٩) أي: خالق الشعري، وهي كوكب كانت تعبدها خزاعة، وهي التي تتبع الجوزاء، وهي أحد كوكبي ذراع الأسد^(٤). ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ (٥٠) يعني: قوم عاد بالريح.

وقد ذكر الحدادي في الموضح: أَنَّ عَادًا كَانَ أَرْبَعًا: الْأُولَىٰ قَوْمُ هُودَ، وَأَهْلَكُوا بِالرَّيحِ، وَعَادًا أُخْرَىٰ فِي زَمَنِ فَارَهُقَ^(٥)، وَلَهُمْ عَادٌ أَيْضًا، وَعَادَانِ أُخْرَيَانِ

(١) في الأصل: الحق، وهو تصحيف.

(٢) المعنى: أَمَات من أَمَات من خلقه، وأحيا من أحيا منهم (تفسير الطبري ٢٢/٥٤٨، الكشف والبيان ٢٥/١٧٠)، وما ذكره المصنف فهو من قبيل التفسير الإشاري.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/٥٤٩.

(٤) ويقال له: مرزم الجوزاء (الكشف والبيان ٢٥/١٧٣).

(٥) كذا في الأصل.

بعد ذلك.

وقيل: عاد الأولى شداد بن عاد بن سام بن نوح، وعاد الأخرى قوم هود^(١).

﴿وَتَمُودُ فَمَا أَبْقَى﴾ (٥١) منهم أحداً إلا أهلكه.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ عاد وتمود أهلكهم بالغرق ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ (٥٢) من عاد وتمود ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ (٥٣) هي قريات لوط، أهواها: من الهوي، وهو السقوط إلى الأرض^(٢).

﴿فَغَشَّيْهَا مَا غَشَّى﴾ (٥٤) من الحجارة لا يعلمها أحد إلا الله.

﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكَ﴾ ونعمائه^(٣) ﴿تَتَمَارَى﴾ (٥٥) تجحد وتكذب أيها الإنسان أنها ليست من الله تعالى.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ (٥٦) يعني: به الرسول صلى الله عليه وسلم، رسول كالرسل المتقدمة.

وقيل: القرآن من النذر الأولى، مما ذكر في الكتب السابقة، والصحف الأولى^(٤).

﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ (٥٧) قربت القيامة، لأن محمداً رسول آخر الزمان، وأن هذا الدين يبقى فلا يُسَخَّر إلى يوم القيامة، والآية تدل عليه.

(١) الكشف والبيان ١٧٥/٢٥.

(٢) البسيط ٧٩/٢١.

(٣) في الأصل: ونعمل به، وهو تصحيف.

(٤) والأول هو المشهور بدلالة السياق (تفسير أبي الليث ٣/٣٦٧).

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨) أي: ليس أحد يكشفها ويظهرها (١) ويُجلبها لوقتها إلا الله تعالى.

ثم قال: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَبُونَ﴾ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ ﴿أي: تهزؤون﴾ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِمَا يَخُوفُكُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ، الَّتِي هِيَ قَرِيبٌ مِنْكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ سَلَامُونَ﴾ (٦١) غافلون عن الحق، بلغة يمن، عن مقاتل (٢).

والسمود: اللهو، والسامد الملاهي (٣).

قيل: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: لَا نَعْرِفُ السَّامِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْغُوا لِي رَجُلًا مِنَ الْيَمَنِ» فَجَاءُوا بِرَجُلٍ يَمَانِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّامِدُ فِيكُمْ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّا إِذَا اتَّخَذْنَا لَهُونًا وَتَغْنِينًا وَقَلْنَا: نَحْنُ سَامِدُونَ (٤).

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦٢) اخضعوا له بالتوحيد، وأطيعوه، وليكن سجودكم لله خالصاً.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النِّجْمِ أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ صَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَحَدَ بِهِ» (٥).

(١) في الأصل: يظهرها.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٢٩٥.

(٣) الكشف والبيان ٢٥/ ١٨٠.

(٤) غريب، ولعله من أخبار الكلبي وأباطيله، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسأل عن معاني القرآن، ولعله عن بعض الصحابة أو التابعين، والله أعلم.

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٦٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٠.

سورة القمر

مكية^(١)، وهي خمس وخمسون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿أَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ وقال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وهذه كلها تخويف بالقيامة حتى يستعدوا لها، وهي في علم الله قريبة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وأشار بالسبابة والوسطى^(٣).

وروي عن عبد الله بن مسعود: وانشق القمر نصفين حتى رأيت حراء^(٤) بين فلقتي القمر^(٥).

ورأى ذلك جماعة من الصحابة، منهم: عمر وحذيفة وجُبَيْر وأنس^(٦).
ومن التابعين مجاهد والنخعي^(٧).

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٥/١٩١، زاد المسير ٤/١٩٦.

(٢) بلا اختلاف بينهم (البيان في عد آي القرآن ٢٣٦).

(٣) رواه البخاري ٤٩٣٦، ومسلم ٢٩٥٠ من حديث سهل بن سعد.

(٤) في الأصل: جزاء.

(٥) صحيح البخاري ٣٦٣٦، صحيح مسلم ٢٨٠٠.

(٦) رواه عنهم الطبري في التفسير ٥٧١/٢٢.

(٧) لم يروا انشقاق القمر، لكن روي عنهم القول بانشقاق القمر، وكذا روي عن قتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم، وقد استوعب ابن جرير الروايات عنهم في التفسير ٥٦٩/٢٢.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ وقال أهل مكة حين رأوا ذلك ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ مصنوع، سيمر ويذهب ويضمحل^(١).

وقيل: مستمرٌ شديد محكم، أخذ من إمرار الحبل^(٢).

﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ عبادة الأصنام ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ وَعَدَهُمُ اللَّهُ﴾ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ ﴿٣﴾ كائنٌ في وقته.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أنباء من أخبار الأمم السالفة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ﴿٤﴾ موعظة ونهي عن المعاصي.

﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ في القرآن موعظة بليغة ﴿فَمَا تَعْنِ الْأُنذُرُ﴾ ﴿٥﴾ أي: لم ينفعهم إنذار الرسل.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم ولا تكافئهم، وقف تام^(٣)، ثم ابتداء وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ وهو إسرافيل بالنفخة الثانية ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ﴾ ﴿٦﴾ هائل فظيع.

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ خاشعة خاضعة أبصارهم حياءً بما فعلوا في الدنيا ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، يجول بعضهم في بعض، وفيه مقدّم ومؤخّر، يعني: يخرجون من الأجداث خاشعةً أبصارهم.

﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُتَشِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ناظرين مسرعين إلى الداعي، دائماً للنظر إليه ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ﴿٨﴾ شديد عذابه وأهواله.

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٤. وهو قول عامة أهل التأويل (تفسير الطبري ٢٢/ ٥٧٠).

(٢) نقله الطبري عن بعض العلماء من أهل البصرة (تفسير الطبري ٢٢/ ٥٧١)، وهو قول أبي العالية والضحاك، كما في البسيط ٢١/ ٩١.

(٣) عند جميع العلماء غير ابن الأنباري، وتعقبه الداني في المكتفَى ٢٠٧.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ (١) يعني: صيِّح به وخُوف فاستطار عقله (١)، فقالوا له: مجنون ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ مقهورٌ في أيديهم ﴿فَانْتَصَرَ﴾ (٢) وأعِن، وهذا حين بلغ الأجل منتهاه، قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أربعين يومًا ﴿فِي مَاءٍ مُّهِمٍ﴾ (٣) مُنْصَبٍّ من السماء ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: فجَرنا عيون الأرض أربعين يومًا ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: تقابل ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ﴾ (٤) أي: قُضِيَ عليهم الهلاك، وإنما لم يقل التقى الماءان لأنه ذكر الماء باسم الجنس.

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوح والمؤمنين من قومه ثمانين نفرًا ﴿عَلَى﴾ سفينة ﴿ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسْرِ﴾ (٥) والدُّسار مسمارٌ يُشدُّ به السفينة، والدُّسر جمعه، أي: سفينة مشدودة بالمسامير (٢).

﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ بنظرنا وحفظنا ﴿جَزَاءً﴾ مِنَّا، يعني: السفينة جزاءً منا وكرامةً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ (٦) وُجِّد برسالته، وهو نوح، والنجاة جزاء من كُفِرَ، والهلاك جزاء من كُفِرَ.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ أي: سفينة نوح عبرة، حتى كان بعض خشبها باقياً إلى قريبٍ من هذه الأزمنة.

ويقال: في سفينة زماننا منها آية.

﴿فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّيرٍ﴾ (٧) مِنْ أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخاف أن ينزل به ما نزل بهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٨) أي: كيف كان عاقبة إنذاري آبائهم ونجاة رسلي.

(١) أي غشي عليه، تفسير أبي الليث ٣ / ٣٧١.

(٢) البسيط ٢١ / ٩٩.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أي: سهلناه على العباد ﴿لِلذِّكْرِ﴾ ليحفظوا، لأنَّ أهل التوراة والإنجيل يقرؤون كتابهم نظراً، ولا يحفظون كما يُحفظ القرآن ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٧) أي: متذكر بما يدعو إليه القرآن.

وقيل: هل من طالب علم فيُعَان عليه^(١).

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ قوم هود رسولها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٨) كيف كان عاقبة إنذارهم.

ثم وصف عذابهم فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (٩) أي: يوم شؤم، وشؤم ذلك اليوم عليهم مستمر، ذهب بالصغير والكبير، وذلك اليوم من الأربعاء الآخر من الشهر إلى الأربعاء الثاني، وقال صلى الله عليه وسلم: «آخر الأربعاء من الشهر شؤم»^(٢).

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ ترفعهم عن الأرض ثم تكبهم على الوجه ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حين سقطوا لوجوههم ﴿أَعْمَازٌ نَحْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (١٠) شَبَّهَهُم بالنخل لطول قاماتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١١) أليس وجدوه حقاً.

(١) وهو قول مطر الوراق وقتادة، رواه الطبري ٥٨٤/٢٢، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢٥/٢٥. قال الطبري: وهذا قريب المعنى مما قلناه -يعني: بيناه وفصلناه لمن أراد أن تذكر ويعتبر ويتعظ- ولكننا اخترنا العبارة التي عبرنا عنها في تأويله لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره.

(٢) رواه ابن مردويه من حديث عائشة، كما في الدر المنثور ٦٧٧/٧، والغالب على أحاديث ابن مردويه الضعف، وروى الخطيب في تاريخ بغداد ٤٠٦/١٤، وفيه مسلمة بن الصلت متروك الحديث (لسان الميزان ٥٩/٨). وقد ذكره الثعلبي عن ابن عباس من قوله (الكشف والبيان ٢٢٧/٢٥). والحديث من جملة الموضوعات المذكورة في كتب الموضوعات، انظر: الموضوعات لابن الجوزي ٧٣/٢، اللآلئ المصنوعة ٤٤١/١.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ قوم صالح نبيهم، ومن تقدّمه من الرسل ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَحِدًا﴾ آدميًا مثلنا ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ نسلك طريقه ﴿إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤) أي: جنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها شبه جنون (١).

﴿أَلَيْسَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: أنزل الوحي على صالح من جملتنا ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ (٢٥) ﴿فَرِحَ مَرْحٌ﴾ ﴿سَيَعْمُونَ غَدًا﴾ يوم القيامة ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ﴾ (٢٦) هم أم صالح.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ وبلية ﴿فَارْتَفَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ﴾ (٢٧) انتظر هلاكهم، واصطبر على ما يستقبلونك به من الأذى ﴿وَيَبَيِّنُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ إذا أتتهم الناقة، لها شرب ولهم شرب، يوم لهم ويومٌ للناقة ﴿كُلُّ شَرِبٍ مَحْتَضَرٌ﴾ (٢٨) أي: كل حظ لأحد الفريقين يحضره صاحبه في قومه (٢).

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ أخذ القوم كلهم مشربها (٣)، وجلس على مضيق ممرها مضدع بن دهر، وعلى المضيق الثاني قدار (٤) بن سالف، فلما قربت (٥) من مصدع، نادى القوم كلهم: أتت الناقة يا مضدع، فرماها وضربها ثانية على الساق الآخر، حتى عجزت عن المشي، ثم ضرب بالسيف على منحرها، فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٦) أي: أخذ السيف فعقرها.

فقال لهم صالح: سألتكم مني ناقةً أعطاكم الله، ورفع عنكم مؤونتها، كانت

(١) معاني القرآن للزجاج ٨٩ / ٥.

(٢) تفسير الطبري ٥٩٢ / ٢٢.

(٣) في الأصل: مشربهما، على التثنية، وهو غلط.

(٤) تصحف في الأصل إليك قراب.

(٥) في الأصل: قرب.

ترعى في أراضى الله، فإذا^(١) عقرتموها فأيقنوا بعذاب الله، فقالوا استهزاءً: عجل عذابنا، فجاءهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وعلامة ذلك أن وجوههم اصفرّت في اليوم الأول، واحمرّت في اليوم الثاني، واسودّت في اليوم الثالث، فأيقنوا بالعذاب، فحفظوا أنفسهم، وتكفّنوا، فصاح بهم جبريل في اليوم الرابع فهلكوا، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْمُحْتَظِرِ ۖ﴾ ما يبس من ورق الشجر فهشّمته الدواب، والمحتظر: صاحب الحظيرة، والمحتظر: بالنصب، الدابة في الحظيرة^(٢).

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۖ﴾ أي: للفظه، فهل من متعظٍ.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۖ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي: أمطرنا عليهم حجارة من سحبٍ تمطر عليهم الأحجار، والحاصب: الحصى الصغار والرمل.

﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ﴾ منصوبٌ بالاستثناء، يعني: لوطاً وابنتيه ﴿بَجَبْتَهُمْ بِسَحَرٍ ۖ﴾ أي: في آخر الليل.

﴿نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ ومِنَّا منّا على آل لوط ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي﴾ أي: نكافئ ونثيب ﴿مَنْ شَكَرَ﴾ النعمة وعرف الربوبية.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أي: خوفهم لوط عذابنا ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۖ﴾ أي: شكّوا في الرسل الذين دعاهم لوط إلى تصديقهم ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِيهِ﴾ أي: طلبوا من لوط أضيافه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ مسح جبريل أبصارهم فعميوا ﴿فَذُوقُوا﴾

(١) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٩٠/٥. وقد قرأ الحسن وقتادة وأبو العالية: المحتظر، وهي قراءة شاذة

(الكشف والبيان ٢٥/٢٤٢).

عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ عَذَابٌ تَمَكَّنَ فِيهِمْ، واستقر فيهم، ولم يتخلَّص منهم نافخ نار.

وقوله: صَبَّحَهُمْ، أي: ألم بهم صباحًا، وهو عند انصداع الصبح، وذلك حين قلب جبريل مدائنهم، ورفعها إلى السماء أو قريبًا منها، وذلك قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ ثم لما أقلهم جبريل فخسف بهم وقت إشراف الشمس، وهو قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ أي: عند شروق الشمس إذ أضاءت.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴿٤١﴾ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٢﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿٤٣﴾ التَّسْعِ ﴿٤٤﴾ كُلَّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴿٤٦﴾ مَنِيْعٌ قَوِي، أخذهم بعزته وأهلكهم بقدرته.

﴿أَكْفَارُكُمْ حَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ﴾ ﴿٤٧﴾ أي: من قوم موسى يا أهل مكة ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٤٨﴾ في الكتب المنزلة، استفهام خرج مخرج التقرير^(١).

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ رَدَّ الْكَلَامَ إِلَى الْغَائِبِ بعد المخاطبة، ومعناه: بل يقولون كفار مكة ﴿لَنَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ وإنما قال ذلك أبو جهل يوم بدر، ركب فرسًا قد كان يعلفها كل يوم فرقًا من ذرة، وحلف أنه يقتل عليه محمدًا، ويقول: نتصر اليوم من محمد، فقتله ابن مسعود، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ﴿٥١﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴿٥٢﴾ رَدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: نحن جميع منتصر؛ بكلمة: بل، ولم يقل في منتصر: منتصرون؛ وهو فعل الجمع،

(١) والإنكار، البسيط ٢١/١١٩.

(٢) والسورة مكية، قال أبو الليث: وفي هذا علامة من علامات النبوة لأن هذه الآية نزلت بمكة، وأخبرهم أنهم سيهزمون في الحرب، فكان كما قال (تفسير أبي الليث ٣/٣٧٦).

ولكن المراد به: إنا بجملتنا في الانتصار كالواحد^(١) لا تختلف آراؤنا، ولو ذكر فيه الجمع لكان جائزاً، كقوله ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازُونَ﴾^(٢).

وقيل: إنه ذكر المنتصر ثم قال: ويولون الدبر، ولم يقل: الأدبار؛ لفواصل الآيات.

ثم قال: ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾^(٣) أي: أشد وأعظم بليّة من يوم بدر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾^(٤) أي: خطأ في الدنيا وعذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يُجْرُونَ فيها، يُقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(٥) أي: جربوا إحراق النار، فسُمِّي إحراق النار مسّاً لأن مسّ النار عذاب قائم.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٦) بمقدور، ومكتوب في اللوح المحفوظ.

وهذه الآية ردٌّ على القدرية، لأنهم يقولون: ليست المعاصي بقدر الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القدرية مجوس هذه الأمة»^(٧).

قال عبد الحميد الحاكم مؤلفه: بلغنا عن وهب بن منبه رضي الله عنه أنه قال: الكتب كلها بضعة وتسعون^(٨)، وقرأت منها بضعة وسبعين فوجدت في كل كتاب: أن من زعم أن إليه شيئاً من المشيئة فقد كفر^(٩).

(١) في الأصل: وكالواحد، ولا معنى لهذه الواو.

(٢) في الأصل: حذرون، وهي قراءة المدنيين والبصريين وابن كثير وهشام بخلف عنه (النشر ٣٣٥/٢).

(٣) رواه ابن ماجه ٩٢، وأبو داود ٤٦٩١.

(٤) في الأصل: وتسعين.

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١٧٧١.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ أي: قولنا بقيام الساعة إلا مرة واحدة ﴿كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ﴾ لأنه يقول كن فيكون.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أصحابكم وأشباهكم يا أهل مكة بالوان العذاب ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ﴿٥١﴾ مُتَّعَظَ بِمَا صَنَعَ بِهِمْ.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٢﴾ شركهم وكبائرهم في اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ ﴿٥٣﴾ مكتوب في ديوانهم.

ثم ذكر أن حال المؤمنين على خلاف حال المشركين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ﴿٥٤﴾ والنهر والنهر واحد، والنصب أفصح ﴿فِي مَقْعَدٍ صَدَقٍ﴾ في مجلس كريم، وهي الجنة ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ﴿٥٥﴾ له القدر والمنزلة، عند الملك الجبار، قادر على ما يشاء من الإكرام والإهانة.

قال الصادق: سُمِّيَ مقعد صدق لأنه لا يقعد فيه إلا أهل الصدق، وهو المقعد الذي يصدق الله مواعيد أوليائه، بأن يبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة القمر كل يوم بُعث يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن قرأها في كل ليلة كان أفضل»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ١٩٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢١.

سورة الرحمن

مكية^(١)، وهي ثمان وسبعون آية في الكوفي، وسبع في المدني، وست في البصري^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ قال مقاتل: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ فأخبر الله عز وجل عن نفسه، ودلهم بضعه ليعرفوه ويؤخّذوه، فقال: الرحمن الذي أنكرتموه هو الذي عمّت رحمته على خلقه في أرزاقهم وأغذيتهم، الذي علّم القرآن محمداً صلى الله عليه وسلم، وهذا يصلح جواباً لقول الكفار: إنما يُعلّمه بشرٌ، وهو جبر ويسار^(٣).

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝﴾ يعني آدم ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ ألهمه الكلام.

ويحتمل: أنه أراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً، أخبر أنه علّمه القرآن الذي [هو] بيان عن الأولين والآخرين^(٤).

(١) فيها خلاف حكاه الثعلبي وغيره، ورجح الثعلبي أنها مكية، وهو قول الجمهور (الكشف والبيان ٢٥/٢٨٣، زاد المسير ٤/٢٠٥)

(٢) والشامي كالكوفي، والمكي كالمدني، (البيان في عد آي القرآن ٢٣٧).

(٣) في الأصل: خبر ونشار، وهو تصحيف.

(٤) هذا الأخير قول ابن كيسان كما في زاد المسير ٤/٢٠٦. وأهل التأويل على أن الإنسان هو آدم، والبيان عام في كل ما هو محتاج أن يبين له، ومن ذلك الكلام، والشرائع والحلال والحرام (تفسير الطبري ٢٣/٨، الكشف والبيان ٢٥/٢٨٩).

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ﴿٥﴾ يجريان بالحساب، والجمع جمع حساب، كشهاب وشهبان.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ﴿٦﴾ فالنجم من النبات ما لا يقوم على ساق، والشجر: ما قام على ساق، وسجودهما: تفيؤ ظلالهما، وقيل: يخضعان^(١).

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ من فوق الأرض وأمسكها في الهواء ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ﴿٧﴾ أي: بين في الأرض العدل، وقيل: ما يوزن به^(٢).

﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: أمركم أن لا تطغوا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ﴿٨﴾ أي: لا تتجاوزوا الحدَّ، ولا تجوروا على الناس في الموازنة.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل أقيموا لسان الميزان ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ﴿٩﴾ أي: لا تنقصوا حقوق الناس.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ﴿١٠﴾ أي: بسطها للخلق ﴿فِيهَا فَلَکَھُۗةٌ﴾ بألوانها ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ ﴿١١﴾ ذات الفلق قبل أن ينفق^(٣) ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ أي: ذو الورق، وذو^(٤) ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ وهو ما يُشَمُّ.

﴿فَإِیَّآءِ الْآءِ رَبِّکُمْ تُکَذِّبَانِ﴾ ﴿١٢﴾ أي: بأي نعمائه وصنائه وأفعاله من هذه الأشياء المذكورة يجحدان أنها ليست من الله؛ أيها الثقلان من الجن والإنس، وواحد الآلاء: إلی، كواحد الأمعاء: معی^(٥).

(١) البسيط ١٣٧/٢١.

(٢) تفسير الطبري ١٣/٢٣، البسيط ١٣٧/٢١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩٧/٥.

(٤) فصل بين الواو والريحان، ب: ذو.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٩٨/٥.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (١١) وقال: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ فالألفاظ وإن اختلفت فهي راجعة إلى أصل واحد، لأن أصل الطين التراب، فالطين انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤) والصلصال: الخزف اليابس، الذي له صوت حين نقرته، قبل أن يُوقَدَ عليه (١).

اعلم أن الله تعالى خلق البشر من صلصال، واعلم أنه ﴿وَخَلَقَ﴾ (٢) أب ﴿الْبَاطِنَ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ (١٥) وهي التي لا دُخان لها، يكون بين حجاب دون سماء الدنيا، ومنها تكون الصواعق، والمارج: المختلط، يعني مختلط اللون بياض وحمرة وسواد.

ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٦) أي: بأيِّ نعمة ما قدر لكما من قدرته تُنكرون أيها الثقلان.

وقد طعن أهل الزيغ في تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في هذه السورة، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ في سورة اقتربت، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٧) في المرسلات وأشباهها.

فالجواب لهم:

أنَّ القرآن أنزل على لغة العرب، والعرب إنما اختارت الإيجاز والاختصار، وربما اختارت التطويل والإشباع والتكرار، للتأكيد والإفهام، وقد قال شاعرهم حين قُتل كليب بن وائل، وقد نهض للقتال والانتقام لهذا القاتل حتى يقتل قاتله (٣) وأنشأ قصيدة تربي على مائة قافية أولها:

(١) انظر: تفسير سورة الحجر، آية: ٢٦.

(٢) في الأصل: فصل بين الواو وخلق ب: اعلم.

(٣) في الأصل: والانتقام هذا القاتل حين يقتل قاتله..

قرباً مربط النعامة مني لقراع وصوله و قتال

قرباً مربط النعامة مني لقحت حرب وائل [عن حيالي] ^(١)

إلى آخر القصيدة في أول كل بيت: قرباً مربط النعامة مني، والنعامة فرسٌ أنثى، سمّاها: نعامة ^(٢).

وقال الآخر:

يا علقمة يا علقمة يا علقمة خيرٌ تميم كلها وأكرمه ^(٣)

وقال:

هلاًّ سألت جموع كندة [يوم ولّوا] أين أيننا ^(٤)

(١) هاهنا في الأصل: بن بجير بعد ما كان حائلاً يأتي. وهذه قصيدة الحارث بن عباد المشهورة في رثاء ابنه بجير، بعد أن قتله الزير بشسع نعل كليب، فقالها الحارث في ابنه بجير، لا كما يوهم نظم الكتاب أنها في كليب بن وائل أخى الزير المهمل. وانظر: الحماسة البصرية ١٦/١، نهاية الأرب ٤٠٣/١٥.

نعم وقع للزير في رثاء أخيه كليب مثل هذا، وهو قوله (كما في النكت والعيون ٤٢٧/٥):

على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلاً من كليب إذا خرجت مخبأة الخدور

ويظهر أن المصنف صدر عن صاحب النظم الجرجاني، لتشابه الكلام كما في البسيط ١٥٠/٢١.

(٢) هنا في الأصل بعد كلمة: نعامة، زيادة كأنها: «الله غد الغدود»، وفيه تصحيف لم أهدت لصوابه، والفرس تسمى النعامة، وهي مشهورة في الكتب، ولم أجد هذا الي ثبت هنا.

(٣) البيت في تفسير القرطبي ٢٠/٢٢٦، وفتح القدير ٥/٦٢٠، والقرطبي بحث مسألة التكرار في سورة الكافرون.

(٤) البيت لعبيد بن الأبرص، وهو في الحماسة البصرية ٨٣/١، وغريب الحديث للخطابي ٧١/٢، والأغاني ٨٨/٢٢.

وهم يقولون^(١) في الاستعجال: عجل عجل، الوحا الوحا.

وقال الله تعالى: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ۖ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل باطل»^(٢).

وفي عادة الناس: هذا كرجل يقول لابنه يُعَاتِبُهُ: ألم تكن طفلاً فريتك، أَفْتُنْكَرَ هذا، ألم تكن جاهلاً فَعَلَّمْتُكَ، أَفْتُنْكَرَ هذا، ألم تكن فقيراً فَأَغْنَيْتَكَ، أَفْتُنْكَرَ هذا، ألم تكن عزباً فزوّجتك أَفْتُنْكَرَ هذا. ومثله كثير في الكلام يُرَبِّي عَلَى ما لَا يُمَكِّنُ تَعْدَادَهُ^(٣).

وقيل: كيف ذكر الجن والإنس ولم يجر ذكر الجن في الكلام، والكناية تلحق بالمذكور لا بغير المذكور.

فأجاب بعضهم: وقالوا: مثل هذا جائز كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ وقال: ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ وقال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتَ بِالْحِجَابِ﴾.

والأصح أن يقال بأن الجن مذكور في الكلام، لأنه قال: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾^(٤) والأنام: كل ما فيه الروح من الجن والإنس وغيرهما^(٥)، ولأن الله تعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس؛ فخاطبهما جميعاً^(٥).

(١) في الأصل: وهم يعقلون.

(٢) رواه أبو داود ٢٠٨٣، والترمذي ١١٠٢، وابن ماجه ١٨٧٩.

(٣) انظر بقية الشواهد في الكشف والبيان ٣٠٦/٢٥، البسيط ١٤٩/٢١، الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/١٧.

(٤) وهذا إجماع من المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس من طرق، وعن الحسن وقتادة ومجاهد وابن زيد، انظر: تفسير الطبري ١٥/٢٢، الهداية ٧٢١٦/١١.

(٥) وهذا عليه جماهير المفسرين، انظر: تفسير الطبري ١٥/٢٢، تفسير أبي الليث السمرقندي ٣٨٠/٣، تفسير السمعاني ٣٢٤/٥، معالم التنزيل الكشاف ٤٤٥/٤.

وقد قيل: إن المراد بالخطاب للإنس وحده، لكن الخطاب للمثنى على عادة العرب، تقول العرب: يا غلام ازجر الجمال وسوقها، وكان الحجاج يقول: يا غلام قوما فاضربا عنقه، وقال الله تعالى: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢٤) (١).

وقال امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (٢)

فتأمل فيها، ولا تطعن في كتاب الله جهلاً، واسأل الله الهداية فإنه الهادي والمرشد (٣).

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (٧) هما مشرق الشتاء والصيف ومغربهما (٤).

﴿فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١١) يعني: أرسل ماء البحرين يلتقيان ولا يختلطان.

﴿يَسْتَهْمَا بَرْحٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (٢٠) أي: حازر لا يختلطان. وأراد به: بحر فارس والروم، والحازر بينهما جزيرة العرب (٥).

وقيل: لا يبغيان لا يُغَيِّرُ أحدهما (٦) طعم ماء الآخر، لا الملح طعم العذب ولا

(١) وهذا قول بعض اللغويين، فقد ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١١٤، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٣٠٥، والواحدي في البسيط ٢١/ ١٤٩.

(٢) البيت الأول من معلقته المشهورة.

(٣) المسألة في معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٤، تفسير الطبري ٢٢/ ٢٣، مفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٤٦، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٥٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨، البسيط ٢١/ ١٥٣.

(٥) هذا قول الحسن وقتادة (رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٣٠)، وضعفه الواحدي (البسيط ٢١/ ١٥٤).

(٦) في الأصل: أحدهما.

العذب طعم الملح .

[﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١)].

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٢) اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار.

وقيل: اللؤلؤ الدرُّ، والمرجان الخرز الأحمر، وهو البُسْدُ^(٣)، واللؤلؤ من البحر المالح، وأضاف إليهما كقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾^(٤).

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٥) المنشآت: المخلوقات والمرفوعات، شرعنَّ في البحر كالجبال^(٦) [﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٧)].

وقوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ﴾^(٨) أي: على وجه الأرض من الخلق ميت

﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾^(٩) أي: ربك ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١٠) ذو العظمة والكبرياء [﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١١)].

(١) لم يكرر هذه الآية مرة أخرى إلى آخر السورة، وقد أحسن ابن جرير لما ذكر كل آية منها في موضعها، ثم حمل الآلاء على ما سبق، فيقول هنا مثلاً: يقول تعالى ذكره: فَبِأَيِّ نعم الله ربكما معشر الجن والإنس تكذبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مرجه البحرين، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك.

(٢) البُسْد: عرفه ابن جرير بأنه له شُعْب، وهو أحسن من اللؤلؤ، وقال: هو تفسير كعب الأخبار (تفسير الطبري ٢٣/٣٤، الكشف والبيان ٢٥/٣١٥). وفي تاج العروس ٩/٣٧٦: «فارسي معرب». وفي الأصل: اليسر، وهو تصحيف.

(٣) والقمر في الدنيا من السماوات (وهو قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٢٥/٣١٤).

وقد ناقش ذلك ابن جرير ورده بناء على ما رجح من البحرين، فإنه اختار رواية عن ابن عباس: أنه بحر السماء -أي القطر- وبحر الأرض. قال ابن عباس: إن السماء إذا أمطرت فتفتحت لها الأصداف، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ. (تفسير الطبري ٢٣/٣٥، الكشف والبيان ٢٥/٣١٦).

(٤) أي: السفن (الكشف والبيان ٢٥/٣١٨).

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أهل الأرض يسألون الرزق وأهل السماء يسألون لأهل الأرض الرزق والمغفرة، وهم^(١) يسألون القوة والعبادة^(٢) ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لأن اليهود قالوا: إن الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ في السبت وغيره^(٣) ﴿فَيَأْتِيَهُمْ آيَآتُهُ وَنِظَامُهُ﴾. ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ كل شيء نفيس يُتنافس فيه وله قدر في القلوب يُقال له: الثقل^(٤).

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «خَلَّفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي^(٥)» لقد رهما عنده.

وقوله: «سنفرع» فالفراغ يكون بعد الشغل، وما لله شغل، فكيف يُوصَف بالفراغ؟ ولكنه جاء على وجه التهديد والوعيد، كما يقول الرجل لولده: سأفرغ لك الساعة؛ وإن كنت فارغاً^(٦).

(١) في الأصل: ومن.

(٢) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/٣٠٦، تفسير أبي الليث ٣/٣٨٢. ونسبه الثعلبي (في الكشف والبيان ٢٥/٣٢٦) لابن عباس وهو من رواية الكلبي.

(٣) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/٣٠٦. وعنه: الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/٣٢٦.

(٤) البسيط ٢١/١٦٦.

(٥) رواه أحمد في المسند (١١١٠٤) من حديث عطية العوفي - وهو ضعيف - عن أبي سعيد الخدري.

وفي صحيح مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم في حديث غدير خم، قال صلى الله عليه وسلم: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

(٦) وهذا قول عامة المفسرين كما ذكر الواحدي (البسيط ٢١/١٦٦).

ومعناه: اليوم يوم العمل وغداً يوم الجزاء، وسنحاسبكم^(١) إذا صرتم من دار العمل إلى دار الجزاء. ﴿فَيَأْتِيْءُ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾^(٢).

قوله: ﴿يَمْعَسِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى جوانبها، واحداً فقط ﴿فَانْفُذُوا﴾ وجوزوا، واسبقوا، وهو بمعنى قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ والمُرَاد منه: الهرب من الموت، أي: لا يمكنهم الهرب من الموت^(٣).

قال الكلبي: إِنَّ الله يُوَكِّلُ الملائكة على أكتاف الأرض وأطرافها يوم القيامة، فإذا عاينَ الخلقُ أهوالَ القيامة طمع الجن في الهرب، يقصدون أطراف الأرض فيجدون عند ذلك ملائكة تحجزهم عن النفوذ، فيقال لهم: ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ وُحْجَةً من الله تعالى^(٤) ﴿فَيَأْتِيْءُ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾^(٥).

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِرٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ وهو: اللهب الذي لا دخان له ﴿وَنُحَاسٌ﴾ هو: الدخان يسوقهم إلى المحشر^(٦) ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾^(٧) أي: لا تمتنعان عند ذلك.

وقيل: النحاس الصَّفر المُذاب، يجري عليهم من ذلك خمسة أنهار ثلاثة في مقدار الليل واثنان في مقدار النهار^(٨) ﴿فَيَأْتِيْءُ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾^(٩).

﴿فَإِذَا أُنْشِقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ من هيئة الرحمن، وتنزل

(١) في الأصل: أقرب إلى: سنعاتكم، وهو تصحيف، وهو تفسير ابن جرير (تفسير الطبري ٢٣/٤١) والكلبي ما أثبت (البيضا ٢١/١٦٤). ولم يقل أحد في هذا الموضع: سنعاتكم.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٤٣.

(٣) نحوه في تفسير أبي الليث ٣/٣٨٤.

(٤) قوله: يسوقهم إلى المحشر غريب، بل قول المفسرين أنه تخويف وتهديد بأن يعذبهم بها، والله أعلم (تفسير الطبري ٢٣/٤٩، الكشف والبيان ٢٥/٣٣٨، البيضا ٢١/١٧١).

(٥) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/٣٠٦.

الملائكة كلون الفرس الورد^(١) والكميت، والورد يتلون: فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف^(٢).

وقوله: «كالدَّهَان» فالدهان جمع دُهْن، إِذَا صُبَّ بعضها على بعض تكون ألوانًا مختلفةً، ونظيره وتصديقه قوله تعالى: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ» والمهل: الزيت المغلي^(٣).

وقيل: كالصُّفَر المذاب أو الذهب المحماة [فَبَآئِيَ ءَالِآءِ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾].
﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٦﴾ [فَبَآئِيَ ءَالِآءِ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾] وقال في موضع آخر: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلَنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

قال الكلبي: هو بعد الفراغ من الحساب والقصاص لا يُسأل أحدٌ بعد ذلك، ولكن ظهر على وجه كل واحد أثر؛ أما الكافر هو مسودٌ وجهه، أزرق عيناه، وأما المؤمن فإنهم غرَّ مُحَجَّلُونَ من آثار الوضوء، فتأخذ الملائكة بنواصي المجرمين وأقدامهم ويرمونهم في النار، وهو قوله: «يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» ﴿٥١﴾^(٤).

وقيل: لا يُسألون سؤال استعلام، ولكن يُسألون سؤال توبيخ وتقريع، ولا يُقال: هل فعلتم كذا ولكن قيل: لم فعلتم كذا سؤال عن الحُجة^(٥).

وقيل: لا يُسأل عن ذنب مذنب أحد من الجن والإنس، ولكن يُسأل كل واحد

(١) وذلك لأنه يكون في الربيع كميتا أشقر وفي الشتاء أحمر فإذا اشتد البرد كان أغبر (تفسير مقاتل ٣/٣٠٧).

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/١١٧، تفسير الطبري ٢٣/٤٩، الكشف والبيان ٢٥/٣٤٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/١١٧، البسيط ٢١/١٧٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/٣٨٥، الكشف والبيان ٢٥/٣٤٧.

(٥) انظر: البسيط ٢١/١٧٧، زاد المسير ٤/٢١٢.

عن فعل نفسه.

قوله: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [٤١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٤٢] أي: بضم الأقدام إلى النواصي من خلف، ويشدُّ ويرمى في النار على وجهه، ويقال لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [٤٣] ^(١).

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [٤٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٤٥] أي: يُعَذِّبُونَ في جهنم، فإذا اشتد عليهم حرُّها سألوا أن يُنطلق بهم إلى الحميم، فإذا اشتدَّ عليهم الحميم سألوا أن يُعادوا إلى النار، فهذا دأبهم، مرة إلى الحميم ومرة ثانية إلى النار يطوفون.

والآي: الذي انتهى حرُّه ^(٢).

ثم قال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [٤٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٤٧] أي: مَنْ خَافَ عند المعصية قيامه بين يدي ربه للحساب فأنتهى عنها فله جَنَّاتٍ، بُستانان، كل بستان مسيرة مائة سنة، ووسط كل بستان دارٌ بُنيت من نورٍ على نورٍ، كل بستان يهتَرُ بخضرة ونعمة، وقرارها ثابت، وشجرها نابت، قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣).

وقيل: جَنَّاتٍ جَنَّةٌ عَدْنٌ، وجَنَّةٌ نَعِيمٌ ^(٤) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٤٨].

ثم وصفهما فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [٤٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٠] والأفنان: الألوان من الشجر والأفنان: الأغصان أيضًا ^(٥).

(١) وهذا تفسير الكلبي كما في البسيط ١٨٠/٢١.

(٢) وهذا قول المفسرين قاطبة، تفسير مقاتل ٣/٣٠٨، مجاز القرآن ٢/٢٤٥، تفسير الطبري ٢٣/٥٥.

(٣) موضوع، رواه مقاتل في تفسيره عن عطاء عن ابن عباس مرفوعا (تفسير مقاتل ٣/٣٠٨).

وقد ذكره الثعلبي دون أن يجعله حديثا (٣٥٠/٢٥).

(٤) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/٣٠٨.

(٥) تفسير الطبري ٣/٣٠٨.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ ﴿فَيَايَ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾].

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ حَلُوٌّ وَحَامِضٌ.

وقيل: زوجان أي زوج منها عجم وعجمها وصيف ووصيفة^(١)، وزوج لا
عجم فيه^(٢) ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾].

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيئُهَا﴾ بطائنهما: ظواهرها، وهو الوجه الذي يُنام عليه ﴿مَنْ
إِسْتَبْرَقَ﴾ وهو الدِّيَاج الغليظ؛ كيلا يتشَجَّج، والظَّهارة رقيقة كأنها من نورٍ يتلأأ^(٣)
﴿وَجَنَّتِ الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾﴾ أي: ثمارها التي تُجَنَّا قربة ينالها القاعد بيده، والمضطجع
أيضاً، ولا يُمنع بمانع ولا شوكٍ ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾].

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي: الجنان^(٤)، وهي: جنة الفردوس، وجنة المأوى،
وجنة عدن، وجنة نعيم^(٥).

وقاصرات الطرف: نساء حافظات للبصر غاضات الطرف، قانعات بأزواجهن،
لا ينظرن إلى أحدٍ.

﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا﴾ يعني: لم يجامعهنَّ في النشأة الثانية ﴿إِنْسٌ قَبَلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾
أي: إنسي ولا جنِّي قبل أزواجهن.

وفي الآية دلالة على أن الجنَّ تطمئن بنات آدم^(٦) ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾].

(١) في الأصل: وصيفة.

(٢) وهذا قول غريب.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/٦٢، الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٧٩، اللباب لابن عادل ١٨/٣٤٦.

(٤) هذا قول الكلبي، وهو غريب لأنه لم يجر ذكر للجنان، والصحيح أن المقصود: الفرش ذات
بطائن الاستبرق (تفسير الطبري ٢٣/٦٣).

(٥) تفسير مقاتل ٣/٣٠٩.

(٦) وقيل أيضاً: إنَّ فيها دليلاً على أن الجن يدخلون الجنة (الكشف والبيان ٢٥/٣٦٢).

ثم وصفهنَّ فقال: ﴿كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ يعني في صفاء الياقوت وبياض المرجان [﴿فَيَأَيَّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩﴾].

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۝٦٠﴾ [﴿فَيَأَيَّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١﴾] إلا الإحسان كلام خرج مخرج الاستفهام، وفيه معنى التقرير للمؤمنين والتفريع للكافرين^(١).

قال مقاتل: ليس جزاء أهل التوحيد في الآخرة إلا الجنة^(٢).

وقال إبراهيم الخواص: هل جزاء الإسلام إلا دار السلام.

وقيل: هل جزاء الطاعات إلا الدرجات.

وقيل: هل جزاء الشكر إلا الزيادة وهل جزاء المنة إلا الرؤية^(٣).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ أي دون الجنتين الأولتين جنتان أخران [﴿فَيَأَيَّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣﴾].

ثم وصفهما فقال: ﴿مُدْهَامَّتَانِ ۝٦٤﴾ أي: خضراوان من الرِّي مأخوذ من الدَّهْم، وهو السَّود والأخضر الشديد يضرب للسود^(٤) [﴿فَيَأَيَّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥﴾].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ۝٦٦﴾ فوارتان بالماء مملوءتان بالخير والبركة والبراقة والزيادة. وقيل: فَيَاُضَتَانِ^(٥) [﴿فَيَأَيَّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧﴾].

(١) البسيط ٢١/ ١٩١.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٣١٠.

(٣) البسيط ٢١/ ١٩٢، زاد المسير ٤/ ٢١٤، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٨٢.

(٤) البسيط ٢١/ ١٩٣.

(٥) البسيط ٢١/ ١٩٥.

﴿فِيهِمَا فَلَکَۂُ وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ﴿٦٨﴾ يعني ألوان الفواكه ونخل ورُمَّان [﴿فَيَأَيَّاءَ الْآءِ رَيِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ ﴿٦٩﴾].

﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الجنان الأربع ﴿خَيْرَاتٌ حَسَانٌ﴾ ﴿٧٠﴾ يعني: خيرات الأخلاق حسان الوجوه^(١) [﴿فَيَأَيَّاءَ الْآءِ رَيِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ ﴿٧١﴾].

ثم قال: ﴿حُورٌ﴾ وهي جمع حوراء^(٢) ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ﴿٧٢﴾ محبوسات ممنوعات في الحجاب المضروبة [﴿فَيَأَيَّاءَ الْآءِ رَيِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ ﴿٧٣﴾].
﴿لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٧٤﴾ إنهم نفوسٌ مستودعة في أستار أولياء الحق^(٣) [﴿فَيَأَيَّاءَ الْآءِ رَيِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ ﴿٧٥﴾].

﴿مُتَّكِعِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ﴿٧٦﴾ يعني: الرياض الخُضر من الأرض المخضبة، عن الكلبي^(٤).

وقال مقاتل: مجالس خضر تحت العرش أو فوق العرش.

والرفرف: الطنافس والمرافق، والعبقري: الزرابي وهي بالفارسية شاذروان^(٥).

وقال بعضهم: عبقرى اسم موضع تكون فيه الثياب الموشى والبلدة في جانب اليمن^(٦).

(١) وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أم سلمة، رواه ابن جرير (٢٣ / ٧٥).

(٢) في الأصل: حوار.

(٣) هذا من التفسير الإشاري.

(٤) وهو قول جمهور المفسرين، كما في تفسير الطبري ٢٣ / ٨٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٣ / ٨٥، البسيط ٢١ / ٢٠١.

(٦) تفسير أبي الليث ٣ / ٣٨٩، البسيط ٢١ / ٢٠٣.

ثم قال ﴿فَيَا أَيُّهَا رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٧) أي: بأي نعم ربكما الذي عدّ عليكمما تجحدان - يا معشر الجن والإنس - أنها ليست من الله.

ثم عظم نفسه فقال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) (١) أي: تعظم اسم الله أن يستحق أحد سواه الجلال: العظمة؛ والإكرام: العفو أو الصفح عن العباد.

قال عبد الحميد الحاکمي - عفا الله عنه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الرحمن رَحِمَ الله تعالى ضِعْفَهُ وَقَدْ أَدَّى شُكْرَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ» (٢).



(١) في الأصل: ذا الجلال، وهي قراءة

(٢) موضوع. رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/٢٨٦، والمستغفري في الفضائل (١٢٢٢).

سورة الواقعة

مكية^(١)، وهي ست وتسعون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾^(١) يعني: إذا قامت القيامة.

وإذا يُراد به المستقبل، يعني: ستقع الواقعة، وهي النفخة الثانية^(٣).

﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَذِبَةٌ﴾^(٢) أي مردودة ولا مثوية. عن مقاتل: أي ليس في وقوعها كذب.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾^(٣) أي: خفضت أقوامًا بأعمالهم فأدخلتهم النار، ورفعت أقوامًا فأدخلتهم الجنة.

ثم بين متى تكون فقال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾^(٤) أي: زلزلت زلزلة وتحركت تحريكًا شديدًا، فعند ذلك تكون الواقعة.

﴿وُئِسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾^(٥) أي: كُسرت كسرًا وقُلعت من أماكنها. وقيل: فُتت فتيتًا^(٦).

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾^(٧) أي: صارت كالهباء المنبث، أي: الغبار المتفرق وهو

(١) الكشف والبيان ٢٥/٣٩٩، وذكر ابن الجوزي خلافا فيها (زاد المسير ٤/٢١٨).

(٢) في الكوفي، وسبع بصري، وتسع للباقيين (البيان في عد آي القرآن ٢٣٩).

(٣) الكشف والبيان ٢٥/٤٠٤.

(٤) وهو قول جماعة كأبي صالح والسدي ومجاهد، انظر: تفسير الطبري ٢٣/٩٣، معاني القرآن

للزجاج ٥/١٠٨.

ما ينبت في الكوة إذا دخلها شعاع الشمس^(١).

﴿وَكُنُتُمْ﴾ حيثُ ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ﴿٧﴾ صنفان في الجنة، وصنف في النار.

ثم فسّر الأزواج فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين كانوا عن يمين العرش حين أخرجهم الله من صلب آدم، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي^(٢).

وقيل: الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم.

ثم عظم شأنهم ليكون دليلاً على فوزهم وفلاحهم فقال: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿٨﴾ أي ما لأهل اليمين من الخير.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الذين كانوا عن يسار العرش، وقيل لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي، ثم ذكر صعوبة عذابهم فقال: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ﴿٩﴾ ما لهم من الشر.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ﴿١٠﴾ قال الزجاج: السابقون إلى طاعة الله والتصديق لأنبيائه هم السابقون إلى رحمته^(٣).

وقيل: السابقون إلى الخيرات والطاعات والجماعات والجمعات^(٤) هم السابقون إلى الجنة.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿١١﴾ أي: في منازل القربة.

﴿فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾ ﴿١٢﴾ يتنعمون.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣﴾ أي: فرقة من الذين كانوا من لدن آدم فجزأهم الجنة.

(١) وهو قول ابن عباس في رواية العوفي، عن قتادة: يبس الشجر تذروه الرياح يمينا وشمالا (تفسير الطبري ٩٤/٢٣).

(٢) الكشف والبيان ٤١٤/٢٥.

(٣) معاني القرآن ١٠٩/٥. وقد سبقه إليه الفراء في معاني القرآن ١٢٢/٣.

(٤) في الأصل: هم و، وهذا إقحام.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل: يعني بالأولين مَنْ سبق إلى إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقليل من الآخرين: من لم يسبق إلى إجابته، فكان المراد من الثلثين هذه الأمة، ثلثة من الأولين من هذه الأمة وقليل من الآخرين.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ ﴿١٥﴾ أي: مرمولة بقضبان الذهب، والمرمول: المنسوج كنسج الدروع، وهي منسوجة بالدر والياقوت^(١).

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ في الزيارة لا ينظر أحدهم في قفا غيره.

﴿يَطُوفُ﴾ بالخدمة ﴿عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ لا يموتون أبدًا، وقيل: متنعمون، وقيل: هم أطفال المشركين جعلوا خدم أهل الجنة.

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أي: كيزان عظام مُدَوَّرة الرأس، لا آذان لها ولا عُرى ﴿وَأَبَارِقَ﴾ هي التي لها خراطيم ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ﴿١٨﴾ كأس فيه خمر من نهر جارٍ على أرض الجنة. ﴿لَّا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بشرها ﴿وَلَّا يُنْزِفُونَ﴾ ﴿١٩﴾ أي: لا يسكرون بفتح الزاي^(٢).

وَقُرَى: بكسر الزاي، أي: لا ينفذ شراهم^(٣).

﴿وَفَلَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ مخفوضة على المجاورة، لأن الفاكهة لا يطاف بها.

وكذلك ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: يختارون.

وإن كان كل تلك جيدًا ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ ﴿٢١﴾ فالكسر عطف على الجوار والفعل فيه

(١) معاني القرآن للزجاج ١١٠/٥، البسيط ٢٢٠/٢١

(٢) معاني القرآن للزجاج ١١٠/٥.

(٣) الكسر قراءة الكوفيين، والفتح قراءة من سواهم (النشر ٢/٣٥٧).

مضممر، أي: يُؤْتُونَ بِالْوَانِ الْفَاكِهِةِ وَلَحْمِ طَيْرٍ وَحُورٍ عَيْنٍ^(١).

وَمَنْ قَرَأَ بِالرَّفْعِ مَبْتَدَأً^(٢).

﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكُونِ﴾^(٣) في الصدف، كُنْزٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ.

﴿جَزَاءٌ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) نصب على المصدر، أي: يجزون جزاءً^(٥).

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ كلامًا باطلاً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾^(٦) كلام فيه إثم، وقيل: تكذيبًا.

﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أي قولاً ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾^(٧) يُحْيِي بَعْضُهُمْ أَيْ بَعْضٌ، وَيَسْلُمُونَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَسْلُمُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ خِدَامِ الْجَنَّةِ، وَلَفْظُ الْإِسْتِثْنَاءِ مَعْنَاهُ: وَلَكِنْ.

[ثم] قال: هذه منزلة المقرّبين من العباد السابقين إلى الخيرات، وهم أقل أهل

الجنة ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾^(٨) أي: لا تدري ما لهم من الكرامة.

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾^(٩) السّدر: نوعٌ من الشجر، والمخضود الذي لا شوك فيه،

وقيل: المخضود الموقر حملاً، هو الذي تؤكل كلها ولا يُرمى منها شيء^(١٠).

﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾^(١١) يُعْنَى بِالطَّلْحِ الْمَوْزُ وَالْمَنْضُودُ الَّذِي تُضَدُّ بَعْضُهَا فَوْقَ

بَعْضٍ.

﴿وَزَيْلٍ مَّمدُودٍ﴾^(١٢) دائم لا يسخنه شمسٌ.

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾^(١٣) مصبوب جارٍ عليهم من تحت العرش.

قيل: لأن جماعة من المسلمين خرجوا إلى وادٍ من أودية الطائف ورأوا فيه

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٠٤.

(٢) قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: وحوْرٍ عَيْنٍ، بخفض الاسمَيْن، وقرأ الباقر بالرفع فيهما (النشر ٢/ ٣٨٣).

(٣) الدر المصون ١٠/ ٢٠٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ١٠٩.

أشجار سدر وطلح ومياه جارية فأعجبهم ذلك، فنزلت الآية.

﴿وَفَلَكَهٖ كَثِيرٌ ۖ لَا مَقْطُوعَةٌ﴾ كالقطع في الدنيا في بعض الأوقات ولا تبقى ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ كما ينظر في الدنيا على الشجر ولا ينال يده.

﴿وَفُرْشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ مرتفعة، وقيل مرفوعة على الأسرة.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن فرشاً ألقى من أعلاها لم يصل إلى صحن الجنة أربعين خريفاً»^(١).

وقيل: الفرش كناية عن النساء مرتفعات القدر في عقولهن وحُسنهن لأن الفرش إنما تفرش لأجلهن^(٢).

وسمعنا أن نواره^(٣) امرأة الفرزدق سُئلت: أيُّ النساء خير؟ فقالت: هن فُرُشٌ فخيرها ألينها.

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ وهذه دلالة المرأة بالنساء أي خلقناهن ثانية تخليفاً.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ بعد ما كن عجائز^(٤) ثيبات.

﴿عُرُبًا﴾ عاشقات على أزواجهن ﴿أَتْرَابًا﴾ على ميلاد واحد ثلاث وثلاثين

سنة.

(١) رواه الطبراني، عن أبي أمامة مرفوعاً، بإسناد فيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف، قال ابن القيم: في رفع هذا الحديث نظر، فقد روه ابن أبي الدنيا من طريق معاذ بن هشام قال: وجدت في كتاب أبي القاسم عن أبي أمامة في قوله عز وجل ﴿وَفُرْشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ قال: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً (حادي الأرواح ٢٠٦).

(٢) الكشف والبيان ٢٥/٤٦٥، تفسير السمعاني ٥/٣٥٠، الكشف ٤/٤٦١.

(٣) في الأصل: تواره، وهو تصحيف، واسمها: نوار.

(٤) في الأصل: جائز.

﴿لَا صَحْبَ الْيَمِينِ﴾ (٣٨) أي: جعلناهم لهم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) [وَتِلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ] (٤٠) أي: جماعة من هذه الأمة وجماعة من الآخرين الذين يكونون على العدل^(١) عند نزول عيسى وخروج المهدي.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الثَّلاثَانِ جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي»^(٢).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) هذا ذكر الثالثة من الأزواج، الذين لا يُدرى ما لهم من العذاب والنكال، ثم وَصَفَ عَذَابَهُمْ فَقَالَ: ﴿فِي سَمُومٍ﴾ وهي الرِّيح الحَارَّةُ التي تدخل في مسام البدن ﴿وَحَمِيمٍ﴾ (٤٢) أي: ماء حار قد انتهى حرّه ﴿وَوَيْلٌ مِّن يَّحْمُومٍ﴾ (٤٣) وهو الدخان الأسود.

وقيل: السموم الرِّيح الباردة التي تقطع الوجوه ويثر بها^(٣) اللحم.

﴿وَوَيْلٌ مِّن يَّحْمُومٍ﴾ (٤٣) فاليحموم جبلٌ من جهنم أيضًا يهرب أهل النار إلى ظِلِّهِ وهو أشدَّ حرًّا من النار ﴿لَّا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ (٤٤) أي: لا بارد المدخل ولا حسن المنظر، والكريم المنزل: الحسن.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ [ذَلِكَ]﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ (٤٥) متجبرين^(٤) في النعمة

(١) لعلها هكذا.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٢٨/٢٣، ووقع في نسختي الطبري اللتين أنظر فيهما قوله: وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر من وجه عنه صحيح أنه قال: الثَّلاثَانِ جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي أهـ (تفسير الطبري، طبعة هجر، تحقيق التركي ٢٢/٣٣٣) وقد سقط من هذا النص كلمة: غير، والصواب: من وجه عنه غير صحيح، وذلك لأن في الإسناد أبان بن أبي عياش، وهو يضعفه، فقد سبق أن ضعفه وحكم على إسناده هو فيه بأنه غير صحيح، ٥/٢٦٠، ولأنه يستعمل في عاداته المطردة هذا الأسلوب في غير المرضي، فلا يقول عن حديث غير صحيح روي من وجه صحيح، بل يقول: روي من وجه غير مرضي، أو غير حميد، أو غير صحيح. وهكذا.

(٣) في الأصل: به.

(٤) وهو تفسير مقاتل (البسيط ٢١/٢٤١).

متكبرين ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ أي يقيمون ﴿عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الشرك بالله حتى ماتوا.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ بالية ﴿أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ أو يُبْعَثُ ^(١) ﴿أَوَّابًاوَنَّا الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ ﴿من الأمم الماضية﴾ ﴿وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ من هذه الأمة ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٥٠﴾ علمهم كيفية البعث ﴿ثُمَّ إِنَّا رَنَّا إِلَيْهَا﴾ ﴿٥١﴾ ﴿الضَّالُّونَ﴾ عن الهدى ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ بالبعث ﴿لَاكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُرٍ﴾ ﴿٥٣﴾ تنبت في أصل الجحيم، وتقدم تفسيره.

﴿فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ أي: تملؤون من طلعها بطونكم من شدة الجوع، ثم يدفعكم لهب النار إلى الحميم ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ﴾ ﴿٥٥﴾ الإبل التي لا تروى من الماء، وقد أصابها الهيام، وهو داء يكون [في] الإبل لا تروى.

والهيم أيضًا: الرمال التي لا يروىها ماء السماء ^(٢).

﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٥٦﴾ أي طعامهم وشرابهم يوم القيامة ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يا أهل مكة ولم تكونوا شيئاً ﴿فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ أي: هلا تصدقون بالبعث.

ثم أخبر عن صنعه فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا تُمْنُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ أي: ما يكون منكم من المني الذي يخلق منه الولد ﴿أَن تَنْتَمَّ تَخْلُقُونَهُ﴾ الولد في الأرحام ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ بل نحن الخالقون لا أنتم.

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ في الصغير والكبير ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ أي: لم يسبقنا أحدٌ في تخليق الخلق والإماتة.

(١) في الأصل: فصل بين أو وآبؤنا ب: يبعث.

(٢) الأول هو المشهور، والثاني قول الضحاك والكلبي، البسيط ٢٤٢/٢١.

وقيل: لا يسبقنا مَنْ نطلبه ولا نعجز^(١).

﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ أطوع منكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ أي: نُحوِّلكم إلى صورةٍ أخرى من سواد الوجه وزُرقة العين وصورة القردة والخنازير^(٢).
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ في بطن الأم من غير مشاركة أحد في خَلْقكم ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ هلا تعيدون^(٣) النشأة الثانية على النشأة الأولى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ من البذر ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تُبْتِنونه من الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ أي: المنبتون ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ مكسرة لا حَبَّ فيه يابسًا ﴿فَطَلْتُمْ نَفْكَهُوتَ﴾ ﴿٧٠﴾ أي: صرتم تندمون. عن الزجاج^(٤).

وقيل: تعجبون من يُبْسِه مع ارتوائه، وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُعْرُمُونَ﴾ ﴿٧١﴾ الْمُعْرَم: الذي ذهب ماله بغير عوض ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ حُرْمنا منفعة زرعنا.
﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ وتسقون زروعكم وجناتكم ﴿أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ يعني السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴿مَالِحًا وَمِرًّا﴾ بعد العذوبة ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ فهلا تشكرون هذه النعم.
﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ تَقْدَحُون ﴿أَمْ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ أي أنبتم، وهما شجرتان: المرخ والعفار، يثقب أحدهما وتندلك الأخرى فيه فتخرج منهما النار، تقول العرب في الأمثال: من كل شجر نار واستمجد

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٧.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٦.

(٣) في الأصل: حتى تعيدون، وإثبات النون دليل تصحيف في حتى، والصواب: هلاً، كما هو في أصوله، كتفسير الكلبي والزجاج، وقد سبق له تفسير لولا بذلك، وسيأتي بعد قليل.

(٤) معاني القرآن ٥/ ١١٤.

المرخ والعفار^(١).

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: عِبْرَةٌ لِيَتَذَكَّرَ بها نار جهنم ﴿وَمَتَعًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) منفعةً للمسافرين، وعند أهل اللغة: المقوي الذي فني زاده.

ويتنقي^(٣) بها أهل الأمصار أيضًا، لكن ترك ذكرهم على الاختصار. وقيل: المقوي الذي ينزل القي^(٤).

ثم أمرهم الله بالتسبيح بعد إظهار دلالة التوحيد فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٥) أي: برئ الله من كل سوء وشرك.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: سمعتُ الشيخ الإمام شيخ الإسلام منبه بن أحمد المخلصي - جازاه عمّا أفاد من خير -: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «اجعلوها في ركوعكم»، ثم لما نزل قوله ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في سجودكم»^(٨).

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾^(٩) يعني: أقسم.

قال الغزالي رحمه الله: الْقَسَمُ إذا كان قبله لا فهو أبلغ في التأكيد، لأن معناه ليس كما يقول المشركون؛ ولكن أقسمُ أنه كذا وكذا^(١٠). ومواقع النجوم فيه أقوال:

(١) انظر تفسير سورة يس، آية: ٨٠.

(٢) كذا في الأصل مجودا مشكولا.

(٣) والقي: القواء، وهي الأرض الخالية، (معاني القرآن للزجاج ١١٥/٥، والبسيط ٢١/٢٥٤).

(٤) رواه أحمد في المسند ١٧٤١٤، وابن ماجه ٨٨٧، وأبو داود ٨٦٩ بإسناد فيه ضعف.

(٥) وهو قول بعض أهل العربية (تفسير الطبري ٢٣/١٤٧).

منها أنه مساقط النجوم عند انتشارها لقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اُنْتَثَرَتْ ۖ﴾ عن الحسن^(١).

وقيل: منازل النجوم^(٢).

وقيل: مطالعها لأن فيها منافع كثيرة، تدل على قصد البر والبحر، ويُعرف بها فصول السنة؛ وعجيب تدبير الله في حوائج الخلق بمعرفة الأوقات.

وقيل: نزول القرآن نجمًا نجمًا بعد ما كان تكلم الله بالقرآن كله، وأنزل إلى بيت رب العزة، وأمله جبريل على السّفرة، ثم أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة^(٣).

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لجلالة خطر النعمة.

﴿وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ كرمه الله وشرفه وأعزه لأنه كلامه.

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ لوح محفوظ مستور إلا عن الملائكة الذين وُكلوا به.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من الذنوب، وهم السّفرة في بيت رب العزة

يقرؤونه ويكتبونه.

(١) رواه الطبري في التفسير ١٤٨/٢٣.

(٢) وهو قول قتادة، كما في تفسير الطبري.

(٣) وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد، رواه عنهم الطبري في تفسيره ١٤٧/٢٣، ولكنه رجح قول الحسن ومن وافقه، وهذا من المواطن القليلة في تفسيره التي يرجح فيها قول تابعي على قول ابن عباس وتلاميذه.

ومما يرجح قول ابن عباس السياق، فقد أتبعه بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿﴾ فهذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن، والضمير في (إِنَّهُ) يعود على القسم، ودل عليه قوله: أقسم، والمعنى: وأن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لانتفعتم بذلك (البسيط ٢٥٨/٢١).

وقال الفراء: لا يجد حلاوته إلا المؤمنون^(١).

وُسَمِّي القرآن كريماً لأنه يدل العباد على مكارم الأخلاق.

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ أَفِيْهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ أي: بالقرآن أنتم مكذبون والمُدهن: الكذاب المنافق^(٢).

﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُرًا تُكْذِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ تجعلون شكر رزقكم التكذيب؛ لأنهم إذا مُطروا يقولون مُطِرنا بنوء كذا ولا ينسبون السقيا إلى الله تعالى^(٣).

ثم وَعَظَهُمْ فقال: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ﴿٨٣﴾ فهلا إذا بلغت النفس عند الموت الحلقوم، وترك جوابه، معناه: هلا تكونون عند ذلك أرباباً لأنفسكم مالكين غير مملوكين ولا عاجزين.

﴿وَأَنْتُمْ﴾ يا أولياء المريض ﴿حِينَذِ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ إليه وهو في النَّزْعِ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يعني: ملك الموت وحده لقبض رُوحه، كقوله: ﴿فَلْأَخْرِجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ وإنما أخرجهم جبريل، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ يعني جبريل .
﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ ملك الموت وأعوانه.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ محبوسين، وقيل: عبيداً مقهورين^(٤).

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي: هلا ترجعون الروح إلى الجسد، أو تردُّون غمرة الموت عن أنفسكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ كرر الشرط، كقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ كَرَّرَ قَوْلَهُ: «ولا تحسبن»﴾^(٥).

(١) معاني القرآن ٣/ ١٣٠، وهو بعيد، وفيه منحنى إشاري.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١١٦/٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٨، البسيط ٢١/ ٢٦٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٨.

(٥) الكشف والبيان ٢٥/ ٥٣٩.

الآية نزلت في الزنادقة الذين يزعمون أن ليس للعالم صانع وتقدير الموت والحياة، بل للإنسان، فإن رفق بنفسه عاش ما بدا له، وإن حرق وتوانى فسد طبعه فيموت.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) يعني: الميت إن كان له عند الله درجات ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ﴾ (٨٩) الروح صفة لكل نعيم، معناه: رحمة وريحان يتلقى به عند الموت.

وقال الضحَّاك: الروح المغفرة والريحان الاستراحة.

قيل: لم يكن أحدٌ من المقرَّبين السابقين إلا يؤتى إليه عند موته بغصن^(١) من ريحان الجنة فيشمه حتى يقبض فيه روحه^(٢).

وَقُرئ: «فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ» أي حياة دائمة لا موت فيها^(٣).

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) أي: من عامة المسلمين مِمَّنْ يُعْطَى كتابه يمينه، قيل له: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩١) أي: الجنة.

وقيل: هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: سلامٌ لك إنك ترى فيهم ما تحب من السلام، فلا تخف عليهم يا محمد.

قيل: وهذه بشارةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نجاة المؤمنين من أمته وإن لحقتهم الشدة.

(١) في الأصل: بعض، وهو تصحيف.

(٢) وهو قول أبي العالية، كما في تفسير الطبري ٢٣ / ١٦٠.

(٣) وهي قراءة شاذة نسبت لعائشة والحسن، كما في تفسير أبي الليث ٣ / ٣٩٨، والكشف والباين ٥٤١ / ٢٥.

(٤) كرر تفسير الآية السابقة.

ومثال هذا: رجلٌ يكون له ولدٌ في السَّفر، وأصابه في السَّفر شدائدٌ وضرر، لكنه سليمٌ بنفسه، فيُخبرُ المُخبرُ أباه فيقول: هو في سلامٍ من النفس، فيعرف العاقل أنه لحقه مشقة.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لله ولرسوله المُنكرين للبعث الضالين عن الهدى، فله^(١) ﴿فَنُزِّلَ مِنَ حَمِيمٍ ۝١٣﴾ وهو شرابهم بعدما يكون طعامهم الزَّقوم. وقيل: شربة تُسقى عند قبض أرواحهم من الحميم. ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝١٤﴾ دخولٌ في النار.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذكرت من كرامة المُقرَّبين وإهانة المُكذِّبين ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿١٥﴾ أضاف الحق إلى اليقين كأنه قال حق حقاً. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝١٦﴾ أي: صلِّ باسم ربك واذكر توحيدَه، فلا شيء أعظم منه.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعبٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الواقعة كُتِبَ له أنه ليس من الغافلين»^(٢).



(١) في الأصل: فصل بين الفاء ونزل.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/٤٠٣، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٣.

سورة الحديد

مدنية^(١)، تسع وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: صَلَّى له ما في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من آدميين وما فيه الروح^(٣).

وقيل: ما في السماوات من الشمس والقمر وما في الأرض من الجبال والبحار والأشجار والدواب والنبات.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ بالنقمة من أعدائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في حكمه وقضائه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائنه من المطر والنبات وغيرها ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ من الإماتة والإحياء.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ لم يكن قبله أحد.

﴿وَالْآخِرُ﴾ ليس له غاية ولا نهاية. فأوليته دليل على أن كل ما سواه مُحدث، وآخرته دليل على أن كل شيء سواه يفنى.

﴿وَالظَّاهِرُ﴾ يعني: ظاهر بأزليته.

﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إحساس الخلق.

وقيل: هو الأول ببره والآخر بعفوه والظاهر بإحسانه والباطن بستره ﴿وَهُوَ يَكُلُّ

(١) الكشف والبيان ٧/٢٦، زاد المسير ٤/٢٣٢، وهي مكية في قول ابن السائب.

(٢) في الكوفي والبصري، وثمان للباقيين (البيان في عد أي القرآن ٢٤١).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٤٠٢، الكشف والبيان ١١/٢٦.

شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿٣﴾ ﴿١﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من الأمطار والكنوز ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد عليها من أعمال العباد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ عالمٌ بكم ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ﴾ في برٍّ وبحرٍ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٥﴾ الآية (٢)، يعني: أمور الآخرة كلها يرجع إليه ويعلم عواقبها.

ثم أخبر عن قدرته فقال: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٦﴾ عالمٌ بضمائر القلوب، وقد سبق تفسير هذه الآيات على قدر ما يحتمله الكتاب.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ أي: تصدقوا من الأموال التي ملكتموها وصرتم خلفاء فيها بعد الأمم الماضية ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ من أموالهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ ثوابٌ جزيل.

(١) قد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» (رواه مسلم في الصحيح ٢٧١٣).

أخذه ابن جرير فقال في تفسيره ١٦٨/٢٣: هو الأول: قبل كل شيء بغير حد، والآخر: بعد كل شيء بغير نهاية؛ وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: ٨٨].

وقوله: والظاهر: أي وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه، والباطن يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦].

(٢) لم يكمل الآية في الأصل، ولذا كتب الآية.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يا أهل مكة وغيرهم من الكفار ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ﴾
إلى توحيد الله بالحجج ﴿لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ حين أخرجتم من صلب
آدم، وتقديره: أوفوا بما ضمنتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ مقررين بالعهد.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ بهذا
الكتاب ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩﴾ أرسل إليكم محمد صلى الله عليه وسلم
برأفته ورحمته وهذا الكتاب.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُفْقَهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما يمنعكم من ذلك وأنه يؤصلكم إلى رضا
الله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: تموتون وترجع أموالكم إلى الرب الذي لا
يموت ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ من قبل فتح مكة ﴿وَقَتْلَ﴾ قبل فتحها
مع من أنفق وقاتل بعده ﴿أُولَئِكَ﴾ المهاجرون الذين أنفقوا قبل الفتح ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾
مَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا﴾ وأكثر ثواباً ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي وعد الله
لكلا الفريقين على نفقاتهم الجنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بنفقاتكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ﴿١٠﴾.

ثم استقرضهم شيئاً هو أملك عليه منهم، ووعد لهم عليه تضعيف الثواب ﴿مَنْ﴾
ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: مَنْ يفعل فعلاً حسناً ابتغاء مرضات الله وطاعته
خالصاً من نفسه وقلبه، لا يُمْن به على السائل ولا يؤذيه، ويصدق الله في الخلف
﴿فِيضِعْفُهُ﴾ الله ﴿لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ جزاءً حسنٌ.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لهم أجرٌ كريمٌ يوم ترى المؤمنين ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى﴾
نُورُهُمْ﴾ أي: ثواب توحيدهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ليكون لهم دليلاً إلى الجنة ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾
وأراد بهم جميع الجوانب فاكتفى بالبعض اختصاراً ﴿بُشِّرْكُمْ أَيُّومَ جَنَّتْ﴾ أي:
أبشروا بها ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في الجنان ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾
النجاة الوافرة.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا﴾ أي: انتظرونا ﴿نَفْتَيْسَ مِنْ﴾

نُورِكُمْ أَي: نُصِبَ مِنْ نوركُمْ فَنَمْضِي مَعَكُمْ.

وَقُرِئَ: «أَنْظِرُونَا» بفتح الألف وكسر الظاء^(١): أَمْهَلُونَا^(٢).

﴿قِيلَ﴾ لَهُمْ ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ مِنْ الدُّنْيَا بِمَا فَعَلْتُمْ لِأَنَّهُ نُورُ الطَّاعَةِ، فَخَابَ الْأَشْقِيَاءُ ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿بِسُورٍ﴾ بِحَائِطٍ حَائِلٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿لَهُ بَابٌ﴾ أَي: لِلْحَائِطِ بَابٌ ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ مِنْ قِبَلِ الْمَخْلَصِينَ سَاحَةِ الْجَنَّةِ ﴿وَوَظَاهِرُهُ﴾ أَي: خَارِجُهُ ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ الصِّرَاطُ، يَأْتِيهِمْ ﴿الْعَذَابُ﴾^(٣).

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ مِنْ وَرَاءِ السُّورِ ﴿الَّذِينَ كُنْ مَعَكُمْ﴾ عَلَى دِينِكُمْ ﴿قَالُوا بَلَى﴾ كَتَمْنَا مَعْنَا بِالْأَسْتَكْمِ ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يَعْنِي: أَهْلَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْإِنْفَاقِ. وَقِيلَ: تَعَرَّضْتُمْ لِلْفِتْنَةِ بِتَرْكِ الْإِخْلَاصِ^(٤).

﴿وَتَرَبَّصْتُكُمْ﴾ أَنْتَظَرْتُكُمْ مَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَأَرْتَبْتُكُمْ﴾ شَكَكْتُكُمْ فِيمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥).

وَقِيلَ: تَرَبَّصْتُمْ أَنْتَظَرْتُمْ بِالتَّوْبَةِ ﴿وَعَرَّيْكُمْ الْأَمَانِي﴾ أَي: الْأَبَاطِيلَ ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وَهُوَ الْمَوْتُ عِنْدَ الْكَلْبِيِّ، وَقِيلَ: الْقِيَامَةُ^(٦).

﴿وَعَرَّيْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٧) يَعْنِي غَرَّكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الشَّيْطَانُ.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ أَي: لَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ فِدَاءٌ ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

(١) وهي قراءة حمزة (النشر ٣٨٤ / ٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٢٤ / ٥، الكشف والبيان ٤٣ / ٢٦.

(٣) الكشف والبيان ٥١ / ٢٦.

(٤) تفسير الطبري ١٨٥ / ٢٣.

(٥) وهما بمعنى، لأن من مات فقد قامت قيامته (تفسير الطبري ١٨٥ / ٢٣، البسيط ٢٩٠ / ٢١).

من أهل مكة ﴿مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ يعني: أولى بكم، عن الكلبي^(١).

وقال مقاتل: مئاكم ﴿فَيَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ معناه: ألم يحن، وأصله: أنى يأنى إناءً، إذا حان^(٢).

﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: تلين قلوبهم للتوحيد ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ يعني: ألم يأن أن لا تكونوا ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ العمر ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ييست واشتدت ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُون﴾ الذين ماتوا على فسقهم.

قال أهل التحقيق: علامة قسوة القلب أن لا تعمل فيه الموعظة، ولا تنجع فيه النصيحة، ولا يؤثر فيه مجالسة الصالحين.

ثم أخبر عن البعث فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعد يُيسها بالمطر، فكذلك يحيي الموتى بماء الحيوان ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ يعني الحجج من قدرة الله على النشأة الثانية ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تستعملون العقل وتؤمنون بالبعث.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ قرئ بالتشديد، يعني: المتصدق، وبالتخفيف: المؤمن^(٣).

(١) البسيط ٢١/٢٩١.

(٢) حاشية في هامش الأصل: «من أنى الأمر يأنى إذا جاء أنه أي وقته، قيل: كانوا مجدين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة، ففوتوا عما كانوا عليه فزلت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين (صحيح مسلم: ٣٠٢٧). وعن أبي بكر رضي الله عنه: أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاءً شديداً فنظر إليهم فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب. مدارك» وهي منقولة من تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/٤٣٧.

(٣) التخفيف أي في الصاد: الْمُصَّدِّقِينَ، وهي قراءة ابن كثير وشعبة (النشر ٢/٣٨٤).

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أنفقوا من أموالهم لله وفي الله ﴿يُضَعَفْ لَهُمْ﴾ قرضهم من سبع إلى عشر إلى سبعين إلى ما يشاء الله من الأضعاف ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ جزاء حسن في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ والصادق كثير الصدق، للمبالغة في تصديق الإيمان، وهو وقف تام ثم ابتداء فقال:

﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قيل: هم الذين قُتلوا في سبيل الله ^(١).

وقيل: هم الأنبياء يشهدون على الأمم ^(٢).

وقال مجاهد: كل مؤمن صديق وشهيد، ثم قرأ هذه الآية ^(٣).

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ على الصراط يمشون في ضوئه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٩﴾.

ثم وصف الدنيا وقلة بقائها وغرور الناس بها فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ﴾ كَلَعِبِ الصبيان ولهو النساء والفتيان ^(٤).

(١) وهو قول مسروق وأبي الضحى والحاك، وهذا يعني أن الشهداء ابتداء، وهي مفصلة عما قبلها، فالتمام على هذا القول على قوله: «الصادقون»، وهو اختيار ابن جرير (تفسير الطبري ١٩١/٢٣).

(٢) ذكره ابن جرير ولم ينسبه لأحد (تفسير الطبري ١٩٣/٢٣)، ونسبه الثعلبي لابن عباس، فمثل هذا الصنيع يشعر أنه م نرواية الكلبي عنه (الكشف والبيان ٧٨/٢٦).

(٣) وهذا على أن الشهداء من صفة الذين قبلهم، فلا يقف على «الصادقون»، وهو قول ابن مسعود ومجاهد (تفسير الطبري ١٩٢/٢٣). وجوز الزجاج كلا القولين (معاني القرآن ١٢٦/٥).

(٤) في الأصل: صورتها أقرب إلى النسيان، ولا معنى، ولعل الصواب ما أثبتته، قال بعض المتأولين من المتأخرين: لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهم الفتیان، وزينة كزينة النسوان، وتفاجر كتفاخر الأقران، وتكاثر كتكاثر الدهقان .
وقيل: المعنى أن الدنيا كلها كهذه الأشياء في الزوال والفناء.

﴿وَزِينَةٌ﴾ لمن استحسن بزخرفها.

﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ في الحسب والنسب.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ أي: مثل الدنيا

كمثل المطر^(١) يفرح الزُّرَّاعُ نباته ﴿ثُمَّ يَهْجُبُ﴾ النبات، أي: يبس ﴿فَتَرْتَبُهِ مُمْصِفًا﴾

بعد الخضرة ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ مُكْسَرَةً تحت أرجل الدواب، فكذاك الدنيا يغني^(٢)

إقبالها أيامًا ثم تعود إلى غير شيء.

ومثال هذا مثال بني آدم يُولدون من الأمهات، ويشبون كخضرة الزرع، ثم

يَهْرُمُونَ مثل يُبس الزرع، ثم يموتون ويُدفنون تحت التراب، كما يتلاشى نبات

الأرض تحت الأرجل.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن لم يؤمن ﴿وَمَعْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن آمن

وأطاع ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وبقاء أهلها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿٢٠﴾ مثل أواني الخزف،

كالقصاع والسكرجات أو الزجاج، يغتر بها الإنسان أيامًا ثم تتكسر.

وقال علي رضي الله عنه لعمار بن ياسر رضي الله عنه: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة

أشياء: مأكول ومشروب وملبوس ومشوم ومركوب ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو

بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء يستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج

دودة، وأفضل المشوم المسك وهو دم فأرة، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل

الرجال، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال، والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها

(الكشف للثعلبي ٧٩/٢٦، وعنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٥٥).

(١) في الأصل: الطين، وهو تصحيف فيما يظهر، لأنه لم يُذكر في الآية، وإنما ذكر الغيث، وكلمة

المفسرين متفقة على المطر في هذا الموضع، (تفسير أبي الليث ٣/٤٠٨، معاني القرآن

٥/١٢٧، الكشف والبيان ٧٩/٢٦، البسيط ٢١/٣٠١).

(٢) كذا في الأصل، وهو صحيح، ولعل الصواب: يغر.

وقال أبو عبد الله التستري: أصل الدنيا الجهل، وفرعها المأكَل والمشرب وزينة للناس والنوم والراحة والنساء والطيب والأموال، وثمرتها المعاصي وهي التي تورث العقوبة وقسوة القلب^(١).

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بادروا إلى التوبة تستوجبوا بها المغفرة، وبادروا بالطاعة إلى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سَعَتَهَا كَسَعَةِ السماوات والأرض، يعني: سبع سماوات وسبع أرضين لو ألصقت بعضها إلى بعض^(٢).

﴿أَعِدَّتْ﴾ أي: هيئت ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ﴾ الكرامة ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ مَن يَشَاءُ﴾ يعني المؤمنين ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣) والمِنَّة والجسمية.

﴿مَا أَصَابَ مِّن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من الجدوبة ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من الأمراض ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ أي نخلق الأنفس ﴿إِنَّ﴾ حفظ ﴿ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٤) يعني كتابه في اللوح المحفوظ. ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ﴾ منها، لأن الله كتب ذلك في الأزل فما يُغني الحزن.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٥) يعني: المختال في مشيه، والفخور بماله وحسبه وكبره.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ نزلت في اليهود يخلوا بإظهار نعت

(١) لم أجده في تفسيره، وقال في تفسير هذه الآية ص ١٦٢: الدنيا نفس نائمة، والآخرة نفس يقظانة. قيل: فما النجاة منها؟ قال: أصل ذلك العلم، ثم ثمرته مخالفة الهوى في اجتناب المناهي، ثم مكابدة النفس على أداء الأوامر على الطهارة من الأدناس، فيورث السهولة في التعبد والحلول بعده في مقامات العابدين، ثم يذيقه الله ما أذاق أوليائه وأصفياءه وهي درجة المذاق.

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمروا سفلتهم بكتمانه^(١).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن طاعة الله وتوحيده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن طاعة خلقه

وهو ﴿الْحَمِيدُ﴾ ﴿يَقْبَلُ السَّيْرَ وَيُعْطِي الْجَزِيلَ فَحُمِدُ بَفْعَالِهِ وَأَيَادِيهِ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ﴾ أي: عليهم ﴿الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ﴾ لبيان العدل، والمراد بالميزان: العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ بالحق ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ لا يلين إلا بالنار.

وجاء في التفسير: أنه لما هبط آدم من الجنة إلى الأرض معه العلة والكلبتان

والمطرقة^(٢).

﴿وَمَنْفَعُ النَّاسِ﴾ فيما يحتاجون إليه من الفأس والقُدوم والسيف والسكين

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ علم رؤية، وليميز المطيع من العاصي ومن ينصر

(١) معاني القرآن، للفراء ١٣٦/٣، الكشف والبيان ٩٠/٢٦، البسيط ٣٠٨/٢١، وهذا قول الكلبي

وعطاء، وإذا كانت من صفة اليهود فهي مستأنفة، ورأس الآية على التمام، والصحيح أن المراد الشح بما أعطي في الدنيا، ويدخل فيه العلم، بدلالة الآية قبلها، فيكون رأس الآية قبلها: كافٍ، والذين في محل خفض. ولم يأت للآية جواب استغناء بالآيات التي تشبهها (تفسير الطبري ١٩٩/٢٣، البسيط ٣٠٩/٢١).

(٢) وهو قول الكلبي، كما في البسيط ٣١٠/٢١، وهذه من آلات الحدادين، والعلة: التي يقال لها السندان، وهي الصلاة، والمسحنة، كلها واحد، وهي ما يُدقُّ عليه.

والكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمي، والمطرقة معروفة، وتسمى الميقعة، والجمع المواقع.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من الحديد: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة، وزاد في رواية: والإبرة (تفسير الطبري ٢٣/٢٠١، الكشف والبيان ٩٣/٢٦، البسيط ٣١١/٢١).

دينه بهذه الأسلحة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يُعْجزُهُ شيء ﴿عَزِيزٌ﴾ ﴿٥٥﴾ كل شيء له خاضع ذليل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ بعد آدم بثمان مائة سنة ^(١) ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ﴾ أي في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ ^(٢) يدعوهم إلى توحيد الله.

﴿وإِبْرَاهِيمَ﴾ أيضًا أرسلناه بعد نوح.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أي: في نسل نوح وإبراهيم ﴿النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ ﴿مُقَرَّرٌ بِالْكِتَابِ وَالرَّسْلِ﴾ ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ كافرون بالكتب والرسل.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَآثِرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ أي: أتبعنا وأردفنا بعد موتهم الأنبياء ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿وَوَعَّاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ الْخَوَارِيزِ وَغَيْرِهِمْ ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ الرَّأْفَةُ لِأَهْلِ دِينِهِمْ، وَالرَّحْمَةُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ.

[﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ ^(٣)].

﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِنَّ﴾ ولم نكتب ذلك عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أي: لم نكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله أي طلباً لرضا الله.

(١) وهذه آية من سورة العنكبوت، ذكرها للتفسير، لا على أنها تنمة الآية.

(٢) انظر: تفسير سورة العنكبوت، آية ١٤.

(٣) سقط تفسيرها. وقوله: «﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾» يعني: ابتدعوا رهبانية، لم نكتبها عليهم؛ وذلك أنه لما كثر المشركون فيهم، خرج المسلمون منهم، فهربوا، واعتزلوا في الغيران، واتبعوا الصوامع، فطال عليهم الأمد، ورجع بعضهم عن دين عيسى بن مريم، وابتدعوا النصرانية والخروج إلى الصوامع، والتبتل للعبادة (تفسير أبي الليث ٣/ ٤١١).

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ لأنهم اشتغلوا بالتبتل^(١) فوق الإخلال في الغرض حتى صاروا إلى أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وترك الاغتسال وترك الختان والصلاة نحو المشرق، فتنصروا، وصاروا في النصرانية أحزاباً، وأقام نفر منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم فآمنوا به، فهم الذين عفا الله عنهم فذلك قوله: ﴿فَأَتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ جزاء إيمانهم ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٢) كفرون جزاءهم النار.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يعطكم ضعفين من ثوابه، والكفل: النصيب^(٣).
﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط، وقيل: سبيلاً واضحاً في الدنيا تهتدون به^(٤).

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما سلف من ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب من شركه ﴿رَجِيماً﴾^(٥) بعد إيمانه.

﴿ثَلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: ليعلم، و«لا» صلة في الكلام^(٦)، وهكذا قرأه عاصم الجحدري^(٧). ومعنى الصلة: السقوط من الكلام.

وكل كلام دخل في أوله جحد وفي آخره جحد غير مصرح كان الجحد الأول

(١) في الأصل: الفيل، وهو تصحيف.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٢٠٨.

(٣) الكشف والبيان ٢٦/١٠٧.

(٤) باتفاقهم، انظر: معاني القرآن للفراء ٣/١٣٧، تفسير الطبري ٢٣/٢١٤، معاني القرآن

للزجاج ٥/١٣١، الكشف والبيان ٢٦/١٠٨، البسيط ٢١/٣٢٠، الكشف ٤/٤٨٣.

(٥) أي: ليعلم، وهذه القراءة شاذة، وهي مذكورة في الكشف دون نسبة ٤/٤٨٣، ونسبها

السمين في الدر المصون ١٠/٢٥٩ لجماعة.

لغو^(١)، ويقال له صلة.

وكذلك كل كلام دخل في أوله جحد غير مصرّح وفي آخره جحد مصرّح فالثاني لغو لا معنى له، كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فالمنع جحد غير مصرّح فالجحد الثاني بعده صلة ساقط.

وكذلك قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ١٥

معناه يرجعون، لأن في الحرام جحد غير مصرّح.

وكذلك في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٦ فقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ جحد غير مصرّح فكان حرف «لا» بعده لغوًا وصلة، فمعناه: إذا جاءت يؤمنون^(٢).

ومعنى الآية على أوضح الوجوه: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد يؤتكم جزاء إيمانكم كفلين من رحمته ليعلم الذين التزموا رهبانية ابتدعوها ثم أضاعوها وما رعوها حق رعايتها أنهم ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ١٧ إذ لم ينالوا برهبانيتهم شيئًا سألوا، وأنتم نلتُم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ١٨ على من اختصه بالإيمان والجنة.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الحديد كتبه الله تعالى من الذين آمنوا بالله ورسوله»^(٣).

(١) في الأصل: ما للجحود للأول لغوًا.

(٢) تفسير الطبري ٢٣ / ٢١٤.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦ / ١٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٤.

سورة المجادلة

مدنية^(١)، وهي اثنتان وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قيل: أول من ظاهر في الإسلام من امرأته أوس بن الصامت، وكان به شيء من اللّم، وكان من الصلحاء، فغضب يوماً على امرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك الأنصاري لشيء أمرها فلم تعطه، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، فأتت خولة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته بذلك، وقالت: إن ابن عمي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة ذات مال وجمال، فلما كبر سني جعلني كظهر أمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس عندي في أمركم شيء، إلا أني أراك قد حرمت عليه» فقالت: لا تقل ذلك يا رسول الله، فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها مراراً، وردّت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مراراً.

ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي، وما يشقّ عليّ من فراق زوجي، اللهم أنزل على نبيك قرآناً، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: تنضرع ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ مراجعتكما الكلام، كره الله أن يذكر الكلام [مع] رسوله جدالاً فسمّاه محاوره ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لسؤالها ﴿بَصِيرٌ﴾ بأمرها^(٣).

(١) الكشف والبيان ٢٦/ ١١٧، زاد المسير ٤/ ٢٤١.

(٢) في قول جمهورهم، وفي المدني الأخير والمكي إحدى وعشرون (البيان في عد آي القرآن ٢٤٢).

(٣) الخبر في تفسير الطبري ٢٣/ ٢١٩، الكشف والبيان ٢٦/ ١٢١، وأطال ابن كثير بذكر طرقه في تفسيره ٨/ ٣٤.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ ويقول: لامرأته أنت عليّ كظهر أمي ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ أي: بأمهاتهم، منصوب بنزع الخافض ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ﴾
وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴿المنكر: ما هو غير معروف، وقيل: قبيحا
باطلا، وزورا: كذبا.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ متجاوز حيث لم يعاقب بتحريم ما أحل الله.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يُشَبِّهُونَ نساءهم بأمهاتهم ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: إلى ما قالوا، أو: إلى ما حرّموا من الجماع.

ويحتمل: يعودون إلى الحق عما قالوا، ويدعون الزور، فحيثئذ تلزمهم الكفارة.

وقيل: يرجعون إلى تحليل ما حرّموا على أنفسهم^(١).

﴿فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ أي: من قبل أن يجامعها ﴿ذَلِكَ مَن تَوْعَدُونَ بِيَهُ﴾ أي: تؤمرون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ عالم يجزيكم عليها.

ثم قال: ﴿مَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ التحرير ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لا يفصل بينهما ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصوم ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل مسكين نصف صاع من الطعام ﴿ذَلِكَ﴾ الذي بينت من الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وبتوحيده ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أحكام الله وفرائضه في الظهار ﴿وَاللَّكَفْرَيْنِ﴾ بحدود الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ﴾ أي: يعاندون الله، وهي المعادة، والمعنى يخالفون الله ﴿وَرَسُولَهُ كُتُوبًا﴾ أي: قهروا وأهينوا ﴿كَمَا كُتِبَتِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ من القرآن ﴿وَاللَّكَفْرَيْنِ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يحشرهم في القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أي: حفظه عليهم ﴿وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١) لا يخفى عليه شيء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ أي: من خلوة ثلاثة يُسِرُّون شيئاً ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بالعلم بإسرارهم^(١) ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ كذلك ﴿وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ بالعلم لا يخفى عليه سرهم ﴿أَيَنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٧) من سرهم ونجواهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ نزلت في المنافقين واليهود، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية إلى طرف الأرض يتناجون فيما بينهم، ويوهمون المسلمين أن بهم من خبر السرية علم، واغتموا لذلك، فنهاهم الله عن التناجي، ثم عادوا إلى التناجي فنزلت الآية^(٢).

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ يا محمد ﴿حِوَاكٍ﴾ بالسَّام عليك ﴿بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إن كان نبياً ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ قال الله تعالى: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَيَسَّ السَّصِيرُ﴾^(٨).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ فيما بينكم ﴿فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ والظلم ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن ذلك،

(١) قال الطبري: بمعنى هو مشاهدهم بعلمه، وهو على عرشه، ثم روى عن الضحاك: هو فوق العرش وعلمهم معهم (تفسير الطبري ٢٣/٢٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٣٠١، وقد روي عن مجاهد أن ذلك في اليهود (تفسير الطبري ٢٣/٢٣٨، الكشف والبيان ٢٦/١٣٩).

والمنافقون يعصونه ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ أي: بإحسان بعضكم إلى بعض، والتقوى: هي ترك المعاصي والجفاء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١).

﴿إِنَّمَا التَّجَوَّى﴾ أي: نجوى المنافقين ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ وتزيينه وإغوائه ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يقع في قلوبهم الحزن ﴿وَلَيْسَ بِضَارٍّ هُمْ شَيْءًا﴾ وليس نجوى المنافقين بضرر المؤمنين إلا الحزن، وقوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي ما أراد الله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ﴾ (١) نزلت في ثابت بن قيس، دخل على جماعة من الصحابة جالسين فلم يبرح له رجل عن مكانه، فكان يتخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، فلم يفسحوا وكان في أذنه وقر، فنزلت هذه الآية (٢).

﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ يعني: إذا قيل قوموا إلى الصلاة أو إلى قتال أو أداء شهادة أو في جمعة قبل الخطبة.

وأصل القصة: أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاصاً بالقوم فدخل بعض من لم يدرك أول المجلس فأمر البعض بقيامه عن مجلسه حتى يجلس مكانه الذي حضر في الحال، فكروا ذلك فنزلت (٣).

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ مع الإيمان ﴿دَرَجَاتٍ﴾ وفضائل في الجنة فوق درجات من يس بعالم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٤).

(١) في الأصل: المجلس، وهي قراءة الكل سوى عاصم (النشر ٢/ ٣٨٥).

(٢) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٢٦/ ١٤٥) وقيل: ذلك في مجلس رسول الله خاصة، وقيل في مجالس القتال (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٤٤).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ١٧٤.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أي: شاورتموه، الأصح إذا شاورتموه^(١)
 ﴿فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُوكُمْ صَدَقَةً﴾^(٢) وقرئ: صدقة^(٣)، أي: الفقير ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الصدقة
 ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لذنوبكم وقلوبكم من الذنب ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا﴾ وكنتم فقراء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤) لمن ناجى قبل أن يتصدق.

وسبب ذلك: أن الأغنياء كانوا يُكثِّرون من المناجات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يغلبون الفقراء على مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك منهم لحق الفقراء، فلما أمر الله تعالى بالصدقة قبل المناجاة انتهوا عن ذلك، وقدر الفقراء على مكالمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالسته^(٤).

قيل: لم يستعمل أحد آية النجوى إلا علي بن أبي طالب تصدق ديناراً وكلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر كلمات^(٥).

وجاء رجل أنصاري بصاع من تمر حتى يتصدق، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أَحَفَّتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمُ الْفَقْرَ ﴿أَنْ تَقْدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُوكُمْ﴾ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وتجاوز عنكم ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فنسخت الزكاة صدقة المناجاة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٦) من أعمالكم.

(١) كذا محرراً في الأصل، وفيه شيء، فالصواب: إذا ساررتموه (الكشف والبيان ٢٦ / ١٥٤، الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٣٠١).

(٢) في الأصل: صدقات، وهو تصحيف، فقد أجمع القراء على هذا الموضع.

(٣) في هذا الموضع خلل، فالذي قرئ بالجمع: صدقات، هو الموضع الآتي، وهو الذي قد يكون قرئ بالصدقة، حيث إنني لم أقف على من قرأه بالإفراد.

(٤) تفسير مقاتل ٣ / ٣٣٤.

(٥) وهو حديث مقاتل (تفسير مقاتل ٣ / ٣٣٤، البسيط ٢١ / ٣٥١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهو المنافقون تولوا اليهود ﴿مَّا هُمْ مِّنْكُمْ﴾ من أهل دينكم الإسلام حتى يستحقوا الثواب مثلكم ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي: من اليهود حتى تأخذوا منهم الجزية^(١).

ثم قال ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أنهم مخلصون ﴿وَهُمْ يَعْمُونَ﴾^(١٦) أنهم كاذبون. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وهي النار ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٥) من النفاق.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ من القتل ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: صرفوا الناس عن طاعته في السر ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١٦) يهانون فيه.

﴿لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا ينفعهم في الآخرة كثرة أموالهم ولا أولادهم ﴿مَنْ اللَّهُ شَيْئًا أُولَئِكَ أَحَبُّ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١٧).

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ في القيامة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي: عنده ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ عندكم في الدنيا، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم توادون»^(٢) اليهود فيحلفون بالله لم نفعل، وفي الآخرة يحلفون ويقولون: والله ربنا ما كنا منافقين كإيمان أهل الشرك ما كنا مشركين^(٣).

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الصواب ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾^(١٨) في إيمانهم. ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ غلب واستولى ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ جُنْدِه وأنصاره، ولم يقل أحزاب لأن الحزب اسم جمع^(٤) ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ

(١) الكشف والبيان ٢٦/١٥٩.

(٢) في الأصل: تواروا.

(٣) تفسير مقاتل ٣/٣٣٤، والمنافق المقصود هو عبد الله بن نثيل.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/١٤١.

الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: يخالفون الله في الدين ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿١٠﴾
المقهورين المغلوبين، ويقال مع الأذلين.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى الله قضاء مبرماً ﴿لَا غَلْبَانَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ على من خالف ديني، لأنه قضى بالنصرة لأوليائه على أعدائه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿١١﴾ بإعزاز أوليائه.

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قيل: سبَّ أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكَّه أبو بكر فسقط، فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أو فعلت؟ فقال: نعم، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تعدُّ إلى مثله» فقال أبو بكر: والله لو كان السيف مني قريباً لقتلته، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿١١﴾.

﴿يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي خالف الله ورسوله ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أقرباءهم، والمعنى: أن المؤمن الصادق لا ينصح الكفار وإن كانوا أقرباءه.

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ قضى الله أن يكون في قلوبهم تصديق الإيمان، وقيل: أثبت الله الإيمان في قلوبهم كأنه مكتوب فيها.

(١) ليس بصحيح، فهو من رواية ابن جريج قال: حدثت (الكشف والبيان ١٦٧/٢٦) ثم إن السورة مدنية، وأبو قحافة كان بمكة حتى أسلم، لم يلتق بأبي بكر الذي كان في المدينة، فكيف يسب النبي صلى الله عليه وسلم أمام أبي بكر!.

وكذا ما ورد من أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح لأنه قتل أباه يوم أحد أو بدر، لا يصح كذلك، فهو من رواية مقاتل، وقد قيل إن أباه لم يدرك الإسلام (الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١٧) ومقاتل والكلبي يرويان في أسباب النزول ما ينفردا به ولا يصح.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بنور البرهان حتى اهتدوا للحق، وقيل برحمة منه.

وقال سهل: من صحح إيمانه وأخلص توحيده لا يُجالس المبتدع؛ ولا يواكله ولا يشاربه، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يُصدق لم يجرب.

﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾
 بالتوحيد ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بالثواب ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه والدعاة إلى توحيده ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قال محمد بن علي رحمه الله: حزب الله هم رجالته^(١) في أرضه، الذابون عن حريمه، الناصرون لحقه.

وقيل: حزب الله مَنْ يغضب لله ولا يخاف في الله لومة لائم^(٢).

قال عبد الحميد الحاکمي - رضي الله عنه -: بلغنا عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المجادلة كان من حزب الله يوم القيامة»^(٣).



(١) في الأصل: رجالته.

(٢) وحزب الله جنده وأولياؤه، (تفسير الطبري ٢٣/٢٥٨، تفسير أبي الليث ٣/٤٢١).

(٣) موضوع، وراه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/١١٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٥.

سورة الحشر

مدنية^(١)، أربعة وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: صلى الله ما فيها من الملائكة والادميين ومن كل شيء حي ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة من الكفار ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قضائه.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهم بنو النضير ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ والحشر والإخراج واحد.

وتلك أول ما أخرج من الكفار من ديارهم في الإسلام، وقصة ذلك: أن بني النضير عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يتمسكوا بدينهم ولا يكونوا لرسول الله ولا عليه، فلما أصيب المسلمون يوم أحد فرحوا بذلك وتجاسروا على المسلمين، وذهب رئيسهم كعب بن الأشرف وعاهد أهل مكة على أن يكونوا يدًا واحدة على محمد وأصحابه، فنزل جبريل بخبره، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطًا من المسلمين حتى قتلوا كعبًا بغته، ثم قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني النضير إحدى وعشرين ليلة، كلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على دار من دورهم هدموا ليتسع بهم المكان، وأمر بقطع نخيلهم، وكلما هدم المسلمون بيتًا فرؤوا إلى بيت آخر، وكانوا ينتظرون المنافقين، قد قالوا لهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، فلمَّا رأوا أن المنافقين خذلوهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٦/ ١٧٧، زاد المسير، وتسمى سورة بني النضير.

(٢) باتفاقهم (البيان في عدد أي القرآن، ٢٤٣).

الله عليه وسلم فصالحهم على الإجماع، وعلى أن يكون لكل ثلاثة منهم بعير واحد، ويتركوا الصفراء والبيضاء، فذهبوا وقسم أموالهم بين المهاجرين والأنصار، ولحق أعداء الله بالشام، فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من شك أن الحشر في القيامة هو الشام فليقرأ هذه الآية، فهذا حشر أول والقيامة حشر ثانٍ^(٢).

وقال بعضهم: الحشر أربعة: حشر بني النضير أول الحشر، وحشر خيبر، وحشر أهل نجران، ثم حشر جميع أهل الكتاب من جزيرة العرب على يدي عمر رضي الله عنه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»^(٣).

وجزيرة العرب في قول أبي عبيد^(٤): ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن طوًلاً، وما بين رمل بيرين إلى منقطع السماوة عرضاً^(٥).

(١) انظر الروايات في ذلك في: الكشف والبيان ١٧٩/٢٦، وتفسير ابن كثير ٥٧/٨، وهذا من المشهور عند المفسرين.

(٢) البسيط ٣٦٣/٢١.

(٣) أصله في الصحيحين من حديث عمر، رواه البخاري في الصحيح ٣٠٥٣، ومسلم ١٦٣٧. لكن بلفظ: أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، أو: لأخرجن..

(٤) كذا في الأصل، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام لكن يأثره عن أبي عبيدة معمر بن المثنى.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٦٧/٢. ونص كلامه: قال أبو عبيدة: جزيرة العرب ما بين حفر

أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وأما العرض فما بين رمل بيرين إلى منقطع السماوة.

وقال الأصمعي: جزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض

فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطوار الشام.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿وَوَطَّنُوا﴾ يعني: بني النضير ﴿أَتَهُمْ مَّا نَعْتُهُمْ حُصُونَهُمْ﴾ من عذاب الله والجلاء ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: عذبهم الله وخذلهم وأذلهم وأخزاهم ﴿مَنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ولم يظنوا ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ يعني الخوف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(١) يرمون بها على المؤمنين ﴿وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم تركوا بعض البيوت حتى خربها المؤمنون.

وقرئ: «يُخْرِبُونَ»، بجزم الخاء، يعني: يتركونها حتى تخرب.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ من إجلاء بني النضير.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالسيف ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ﴾ أي: خالفوا الله ﴿وَرَسُولَهُ﴾ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

قال أبو عبيد: فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإخراجهم من هذا كله، فيرون أن عمر إنما استجاز إخراج أهل نجران من اليمن - وكانوا نصارى - إلى سواد العراق لهذا الحديث، وكذلك إجلأؤه أهل خير إلى الشام وكانوا يهودا أه.

وحفر أبي موسى هي البلد التي نشأت فيها، وتسمى حفر الباطن، وهذا الكتاب الذي تقرأه قد عارضته فيها، وكان أبو موسى بنى فيها بئرا، لأجل الحاج، ثم جددها زياد، فسميت: حفير زياد، وهي على طريق حاج البصرة، وبينها وبين البصرة فيما زعم البكري: واحد وثلاثون ومائة ميل (المسالك والممالك ١ / ٣٨١).

وحفر أبي موسى أحد الأحفار الثلاثة المعروفة في بلاد العرب (معجم البلدان ٢ / ٢٧٥) وكان بها بئر - قد اندثر قريبا - يُزعم أنه هو البئر الذي حفره أبو موسى، وسموا الحي باسمه، والله أعلم.

(١) في الأصل: يخرَّبون، وهي قراءة أبي عمرو وحده (النشر ٢ / ٣٨٦).

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾ وهي نوع من النخيل شديد الصُّفرة، ترى نواته من خارجه، وقد أمر الله رسوله بقطعها ﴿وَأَتْرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ من العجوة وغير ذلك ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بمشيئة الله ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَالِسِينَ﴾ وقد لامهم بنو النضير على قطع النخيل، وقالوا: أنتم مفسدون في الأرض، فنزلت الآية^(١).

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من غنيمة بني النضير ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ أي: ليس ذلك مما توثقون عليه خيلاً أو ركاباً، والخيل: الفرس، والركاب: الإبل، والإيجاف: شديد المركب.

والمراد: أن غنيمة بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لا يشركه أحد، وكانوا يطمعون في القسمة، فالله تعالى قطع أطماعهم بهذه الآية وقال: ما أسرعتم بخيل ولا إبل؛ ولا قطعتم مسافة؛ ولكن مشيتم بأقدامكم لئصرة دين الله في قريب من المسافة من المدينة^(٢).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسُطِّرُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ كما سلط محمداً صلى الله عليه وسلم على بني النضير ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) رواه الطبري في تفسيره عن بعض التابعين ٢٣ / ٢٧١ .

وفي الصحيحين (البخاري ٢٣٢٦، ومسلم ١٧٤٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه حرق نخل بني النضير، وقطع»، وهي البويرة، ولها يقول حسان:

وهانَ على سِراةِ بني لُؤيٍّ حريقُ البويرة مُستطيرٌ

(٢) تفسير الطبري ٢٣ / ٢٧٣. وروى عن الزهري أنه قال: صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أهل فذك وقرئ قد سماها لا أحفظها، وهو محاصر قوما آخرين، فأرسلوا إليه بالصلح، قال: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقول: بغير قتال، فكانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة، بل على صلح، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئاً، إلا رجلين كانت بهما حاجة.

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ أي: ما ردَّ الله ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الغنيمة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ من قريظة والنضير وفدك ﴿فَلِلَّهِ﴾ حتى يأمر فيه بما أحبَّ ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ وأمر رسوله فيها جائر ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ إذ مُنِعوا الصدقة جعل حقهم فيها ﴿وَالْيَتَامَى﴾ عام دون يتامى بني عبد المطلب ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ وَاَبْنِ السَّبِيلِ ﴿مَا رَّ الطَّرِيقِ﴾ دون بني عبد المطلب ﴿كَئِ لَا يَكُونَ﴾ الفيء ﴿دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

ف«الدولة»: المال الذي يتداوله الناس، و«الدولة»: بنصب الدال الظفر في الحرب^(١).

فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم بني النضير المهاجرين ولم يعط الأنصار غير رجلين، أحدهما: سهل بن حنيف، والثاني: سماك بن خرشة أبو دجاجة، أعطاهما أرضاً من أرض بني النضير^(٢).

قوله ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ من الفيء ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ ولا تعصوه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تخالفوا رسول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا عاقب. ثم ذكر أَنَّ الفيء ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجَرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ بمكة وغلبوا على أموالهم ﴿يَبْتَغُونَ﴾ هؤلاء الفقراء ﴿فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: مغفرة من الله، وقيل: غنيمة^(٣).

(١) المتواتر قراءة الضم، وقرأ السلمي وأبو حيو بنصب الدال، وهي قراءة شاذة (تفسير الطبري ٢٣/٢٧٩، الكشف والبيان ٢٦/٢١٦).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٢٧٩.

(٣) قال قتادة: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقوم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها (تفسير الطبري ٢٣/٢٨١).

﴿يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قصدوا نصرة دين الله ونصرة رسوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) في إيمانهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الدار أراد بها المدينة لأنها دار الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، معناه: الذين توطنوا^(١) دار الهجرة وهي المدينة أراد به الأنصار والإيمان ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني تبوءوا الإيمان ولزموه قبل هجرة المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حسداً وحزاة وغيطاً ﴿بِمَا أُوتُوا﴾ أي: مما أُعطي المهاجرون من القرى الثلاثة: بني قريظة والنضير وفدك ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: حاجة، وهم الأنصار ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ﴾ أي: يُخل نفسه حتى يخرج حق الله من ماله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) السعداء في الآخرة.

نزلت في الأنصار حين طابت أنفسهم بمنع غنائم بني النضير عنهم.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قال الكلبي: هم المهاجرون الآخرون الذين جاءوا بعد القسمة، لأنهم خافوا أن يقع في قلوبهم غل للذين آمنوا لما وقع من الفياء، فدعوا وقالوا: ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، الذين أخذوا نصيباً من الفياء من السلف والخلف^(٢).

وقيل: هم التابعون الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار.

وقال مقاتل: هم المؤمنون إلى يوم القيامة يستغفرون لمن سبقهم بالإيمان، و ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا

(١) في الأصل: ووطنوا، (الكشف والبيان ٢٦/٢٢٣).

(٢) البسيط ٢١/٣٨٤ مختصراً.

غَلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿لَمَّا أُعْطِيَ﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾.

﴿الْمَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: عبد الله بن أبي ورفاعة بن زيد من أهل النفاق^(١) ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من بني النضير ﴿لَئِنْ أَخْرَجْتُمْلَا نَحْرَجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: لنوافقنكم^(٢) في الخروج ﴿وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نعين في قتالكم محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ أي: قاتلكم محمد ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١١﴾ في دعواهم.

﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ ولا يعينونهم ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ لو أرادوا أن يعينوهم ﴿لَيُؤَلَّبُ الْأَذْبَرُ﴾ منهزمين: الناصر والمنصور ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يمنعون ما أنزل بهم.

﴿لَأَنْتُمْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهَبَةً﴾ أي: خوفًا ﴿فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾ يعني: خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٣﴾ توحيد الله.

﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ أي لا يجترئون ولا اليهود أن يقاتلونكم ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ أي: في حصون حصينة ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ جدر حيطان ﴿بِأَسْهُمٍ﴾ أي: قتالهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ إذا قاتل بعضهم بعضًا، ولكن لا يقاومونكم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي متفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة ﴿ذَلِكَ﴾ التفرق ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ توحيد الله.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثل بني قريظة كمثال الذين من قبلهم من بني النضير ﴿قَرِيبًا﴾ فُتِحَتْ قلعته بعد الهجرة بستين ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي:

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٢٨٩.

(٢) في الأصل: نوافقنكم.

عقوبة صنيعهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١٥).

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ يعني: مثل المنافقين مع اليهود كمثّل الشيطان إذ قال للإنسان: يعني: برصيصا الراهب: اكفر، يعني أسجد لي حتى آخذ بأعينهم وأنجيك من أيديهم، وذلك حين قصدوا قتله ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾^(١).

وقيل: هو في جميع الناس إذا أمرهم الشيطان بالكفر^(٢)، فلما كفر قال ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦) قيل: إنه على وجه السخرية ولا يخاف الملعون.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(١٧) الكافرين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: لتعلم نفس ما عملت ليوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: خافوه وانتهوا عن ولاية اليهود ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٨).

(١) البسيط ٣٨٤ / ٢١ مختصرا.

(٢) وقصة برصيصا الراهب في تفسير أبي الليث ٤٣١ / ٣ مختصرة، وفي الكشف والبيان ٢٦ / ٢٥٤، وهي من رواية مقاتل، ملخصها: كان في بني إسرائيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الدهر، حتى كان يؤتى بالمجانين فيعودهم ويداويهم، فيبرءون على يديه، وأنه أتى بامرأة قد جُنّت وكان لها أخوة فأتوه بها، فكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزين له، حتى وقع عليها، فحملت، فلما استبان حملها، لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له، حتى قتلها ودفنها، ثم ذهب الشيطان إلى إختوتها في صورة رجل، حتى لقي أحدا من أخوتها، فأخبره بالذي فعل الراهب، وأنه دفنها في مكان كذا، فبلغ ذلك ملكهم، فسار الملك مع الناس، فأتوه فاستنزله من الصومعة فأقر لهم بالذي فعل، فأمر به، فصلب، فلما رفع على خشبة، تمثل له الشيطان، فقال: أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه، فهل لك أن تطيعني: فيما أقول لك، وأخلصك مما أنت فيه؟ فقال: نعم. قال: اسجد لي سجدة واحدة، فسجد له، فلما سجد له خلاه وذهب. وهي من الإسرائيليات، ولا يمكن أن تكون سبب نزول الآية

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: مرده أهل الكتاب تركوا ما عهد الله إليهم ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: خذلهم الله حتى تركوا حظوظ أنفسهم في الآخرة، وقيل: أنساهم أنفسهم حتى لم يعملوا في فكاكهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).
 ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ في الطاعة والثواب ﴿أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢). بالنجاة.

ثم وعظهم الله فقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ بالأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿لَرَأَيْتَهُ خَشِعًا﴾ متذللاً من الخوف ﴿مُتَّصِدَعًا﴾ مُشْفَقًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وخوفه ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) في أمثال القرآن.

وقال الحسن: لو خلقنا للجبل تمييزاً تميزكم وجعلنا له من الثواب والعقاب كما جعل لكم لرأيته كما ذكرنا (٤).

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٥)
 ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر (٦) لا زوجة ولا ولد ولا شريك (٧).

﴿السَّلَامُ﴾ الذي سلم الخلق من ضرره، والذي لا يلحقه عيب وموت، ولا يُغيّره زمان.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ الذي آمن الخلق من ظلمه، وأوليائه من أعدائه، والمؤمن هو المصدق، فالعبد المؤمن يصدق الله في التوحيد، والله تعالى يصدق العباد في

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٣٠٠.

(٢) نحوه في الكشف والبيان ٢٦ / ٢٦٣ دون أن ينسبه للحسن.

(٣) في الأصل: الراهر.

(٤) وقيل: المبارك (تفسير الطبري ٢٣ / ٣٠٢).

الإقرار بالتوحيد^(١).

﴿الْمُهَيِّمِينَ﴾ الأمين في شهادته، وأصله: المؤتمن وأولها بُدئت بالهمزة ومعناه: الشهيد على عبادته بأعمالهم^(٢).

﴿الْعَزِيزُ﴾ هو المنيع بعزته في ملكه، وكل عزيز دونه، وذليل لعزته.

﴿الْجَبَّارُ﴾ القهار لخلقه على ما أراد، ويحتمل: الجبار الذي يجبر الكسر يعني: يجبر خلة الفقير^(٣).

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ هو الذي تكبر عن ظلم العباد، وقيل: المتكبر المتعال عن الشبيه^(٤).

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيهاً له عما يصفه الجاهلون.

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ المقدر للخلق ﴿الْبَارِئُ﴾ الذي برأ كل نسمة وحيوان، أي: أوجدها.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الذي صور ما قدر وبرأ ذكراً وأنثى في عجيب صورها^(٥).

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الرحمن والرحيم والعزیز والجبار والمتكبر وله الصفات العلى ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويحمده حمداً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا يعجزه شيء أحدثه، محكم تدبيره وقضاؤه.

(١) جمع بين المعنيين اللذين ذكرهما أهل العلم (البيضاوي ٣٩٤/٢١).

(٢) تفسير الطبري ٣٠٤/٢٣.

(٣) وهذا الثاني هو الذي رواه الطبري في تفسيره ٣٠٤/٢٣ عن قتادة.

(٤) ويشمله قول قتادة: المتكبر عن كل شر (تفسير الطبري ٣٠٥/٢٣).

(٥) الكشف والبيان ٢٦/٢٧٥.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الحشر لم تبق جنة ولا نار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماوات ولا الأرضون ولا الهواء^(١) ولا الريح ولا الماء ولا الطير ولا الشجر ولا الدواب ولا الشمس ولا القمر ولا الملائكة إلا استغفروا له وصلّوا عليه، وإن مات من يومه أو ليلته كان شهيداً»^(٢).



(١) في المصادر: الهوام، ولعله أصح، بدلالة ذكر الريح بعدها.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٧٨/٢٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٢٦.

سورة الممتحنة

مدنية^(١)، وهي ثلاث عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو مكة كتب حاطب إلى أهل مكة، وأخبرهم ليأخذوا حذرهم، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى سارة، مولاة أبي عمرو بن صيفي^(٣)، فنزل جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً والزبير بن العوام ليأخذا منها الكتاب، ويؤخليا سبيلها، أو إن لم تُعطِ الكتاب يقتلاها، فلما أدركاها في الطريق أنكرت أن يكون معها كتاب، فقال علي: والله لئن لم تُعطِ الكتاب لأقتلنك، فأخرجت الكتاب من بين قرون رأسها، ودعت عليه، فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب على حاطب، فقال حاطب: يا رسول الله والله ما نافقت منذ أسلمت، ولكن أحببت أن أصرف أهل مكة عن أهلي فلا يهيجونهم، فنزلت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: حاطب^(٤).

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٦ / ٢٨٥، زاد المسير ٤ / ٢٦٦.

(٢) لا اختلاف بينهم (البيان في عدد آي القرآن ٢٤٤).

(٣) في الأصل: صيفر، وهو تصحيف، والتصحيح من تفسير مقاتل ٣ / ٣٤٧، والكشف والبيان

٢٦ / ٢٨٦، وهو أبو عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف. وقد سماها عروة بن الزبير:

سارة، وقال: مولاة لبعض بني عبد المطلب (تفسير الطبري ٢٣ / ٣١٣).

(٤) تفسير مقاتل ٣ / ٣٤٧، الكشف والبيان ٢٦ / ٢٨٧. وقد ثبت في صحيح البخاري ٣٠٠٧،

وصحيح مسلم ٢٤٩٤: أن علياً رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لأنهم أعداء الله وأعداء دين الله ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي: ترسلون إليهم الكتاب بالنصيحة ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني القرآن والتوحيد ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لأجل إيمانكم بالله ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ وسبب ديني، فلا تتخذوهم أولياء، فهذا كلام معناه راجع إلى الأول ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ راجع إلى قوله: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ سرًا.

وقوله: «تلقون» في محل النصب^(١)، ومعناه: أن لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ملقين إليهم بالموودة سرًا، ولكن لما طال الكلام بين قوله «تلقون» وبين معنى أعيد على لفظ الأول أو معناه، كقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ ثم كرر الكلام الأول فقال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾.

والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

(١) لأنه حال من: تتخذوا (التيبان في إعراب القرآن ٢/١٢١٧).

ثم قال: ﴿وَأَنَّا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ﴾ أضمرتم في أنفسكم ﴿وَمَا أَغَلَيْتُمْ﴾ من نصيحة المشركين ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١﴾.

﴿إِنْ يَشْقَوْكُمْ﴾ ومعناه: كيف تنصحبونهم ولو ظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل ﴿وَالسَّيِّئَاتُ﴾ بالطعن ^(١) ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ أي: تمنوا أن تكفروا بالله كما كفروا.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ التي بمكة ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يُمَيِّزُ ويُفَرِّقُ بينكم وبين أقربائكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿بَصِيرٌ ۝٣﴾ عالم.

﴿فَدَكَانَتْ لَكُمْ آسُوءُ حَسَنَةٍ﴾ وقدوة صالحة ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وفعله وفعل ^(٢) ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ من الكفار ﴿إِنَّا بَرَاءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سوى الله من الأصنام ﴿كَهَنًا بِكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾ العداوة بالقلب دائماً ﴿حَتَّى تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ ومعناه: هلاً تأسيت يا حاطب واقتديت بإبراهيم وتبرأت من أهلِكَ؛ كما تبرأ إبراهيم؛ فإن اقتداءكم بإبراهيم واجب ﴿إِلَّا﴾ في ﴿قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَعِفِرَنَّ لَكَ﴾ فإن ذلك الوعد لموعدة وعدّها إياه.

وقوله ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من عذابه ^(٣) قليل ولا كثير ﴿رَبَّنَا عَلَيْنَا نُوَكَّلُكَ وَإِلَيْكَ أَنْتَنَا﴾ تبنا ورجعنا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بليّة، أي: لا تظهرهم علينا فيرون أنهم على الحق ونحن على الباطل ﴿وَأَعِزَّنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥﴾ ^(٤).

(١) في الأصل: والطعن.

(٢) في الأصل: فصل بين الواو والذين بكلمة: فعل.

(٣) في الأصل: عذاب.

(٤) تفسير الطبري ٣١٩/٢٣.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿فِيهِمْ﴾ أي: في إبراهيم وقومه من المؤمنين ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ والرجاء: الخوف ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ٦ في فعاله.

ثم قال ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ يعني به أهل مكة، يعني يكرمهم بالإيمان فتكونوا كلكم إخواناً ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٧.

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ بَرِّ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: من قبل الدين ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ مكة ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ تصلوهم ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعدلوا معهم بوفاء العهد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٨ الموفين بالعهد.

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ﴾ عن مواصلة ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ يعني أهل مكة ﴿وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ ومنازلكم بمكة ﴿وَوَظَّهَرُوا﴾ أي: عاونوا المشركين ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوْلَوْهُمْ﴾ موالة وتنصحوهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ بمعونة ومودة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٩.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ باليمين واستحلفوهن.

قال ابن عباس: كُنَّ النساء إذا هاجرن يحلفن بالله ما خرجت عن بُغض، وبالله ما خرجت رغبة من أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت للتماس مال الدنيا، وبالله ما خرجت إلا حُبًّا لله ورسوله^(١).

و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ في قلوبهن ﴿فَإِن عَمَسُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ في الظاهر، وظهر عندكم أنها خرجت للإسلام ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ وذلك لمواعدة بين رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأهل مكة في الحديبية، فهاجرت النساء بعد ذلك، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المواعدة بيننا في الرجال لا في النساء» فنزلت الآية^(١).

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ لا يحل كون مسلمة تحت كافر، ولا تمسكوهن بالنكاح أيضاً وقد انقطعت العصمة بينهما.

﴿وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: أعطوا أزواجهنَّ ما أنفقوا على هذه النساء من المهر، لأجل العهد الذي بينكم وبينهم إلى المدة.

وقال مقاتل: فإن لم يتزوجها أحد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء^(٢).
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهنَّ
﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾ جمع عصمة، والمراد به: النكاح، وأصل العصمة
الحبل^(٣).

والمعنى: لا تعتدوا بامرأة كافرة بمكة أنها امرأة لزوجها المهاجر لأنه انقطعت
عصمتها منه بالهجرة إذا تركها كافرة^(٤) في دار الحرب.

ثم قال ﴿وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم على أزواجكم من
المهر إذا لحقن بهم ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ من المهر على أزواجكم إذا لحقن بكم
ودخلن في دينكم ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين الكفار، برد النفقة على أهل
العهد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يكون بين الفريقين من حاصل ﴿حَكِيمٌ﴾ بمطالبة المهر.

(١) وهو من رواية مقاتل، كما في تفسيره ٣/ ٣٥١، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٨.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٣٥١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٥٩.

(٤) في الأصل: كافر.

قال علي بن الحسين: ...^(١) هذه الآيات منسوخة إلا قوله ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: هرب منكم امرأة من أزواجكم ﴿إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: غنمتم غنيمة من العدو ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ من تلك الغنيمة ﴿مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ على نسائهم من المهر.

قال بعضهم: من خمس الغنيمة بعد القسمة.

وقال بعضهم: يدفع ذلك قبل القسمة، ثم يقسم الباقي.

وقد روي أن امرأة عمر رضي الله عنه وهي أم مكتوم بنت خِرَوْل^(٢)، وقيل: أم سلمة، وقيل: فاطمة أخت أم سلمة بنت ابن أبي أمية بن المغيرة ارتدت ولحقت بمكة، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنيمة بمثل مهرها^(٣).

وقيل: إنها نزلت في أم حكيم بنت أبي سفيان حين فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وكانت تبغض زوجها فتركته ولحقت بالطائف، وكانت الطائف دار حرب، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها مثل مهرها من الغنيمة^(٤).

﴿وَأَتَوْهُمُ اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ﴾ (١١) أنه إلهكم.

ومعنى قوله: عاقبتم من العاقبة، أي: غزوتم مرة بعد مرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ﴾ وهي: نساء مكة حين فتح الله مكة على

(١) هاهنا كلمة يظهر أنها مقحمة أو مصحفة، صورتها: واقر.

(٢) كذا في الأصل مجودا، وفي تفسير الطبري ٢٣/٣٣٢، والكشف والبيان ٢٦/٣١٧: أم كلثوم بنت جبرول.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/٢٢٣، الكشف والبيان ٢٦/٣١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٨/٧٠.

رسوله صلى الله عليه وسلم حضرت النساء للبيعة، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمبايعته، بايعهن^(١) ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾ فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، وجلس عمر أسفل منه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترط عليهنَّ وعمر يصافحهنَّ من وراء ثيابهن^(٢).

وقيل: كان ثوب بينهنَّ^(٣) وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحد طرفيه في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما عاهدتهنَّ ألقى ذلك الطرف إليهنَّ يأخذهنَّ بدلاً عن المصافحة، حتى جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنكرة بما صنعت بحمزة، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسرقن» قالت هند: كنت أصبتُ من مال أبي سفيان هئات فما أدري أيحلُّ لي أم لا؟ وكان أبو سفيان جالساً، قال: نعم قد أحللت لك ما أصبتِ فيما مضى وبقي، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولا يزنيَنَّ» قالت هند: وهل تزني الحرة يا رسول الله، فضحك عمر، وقال: لا تزني.

ويُروى أنه قال لها: لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت واحدة منهنَّ، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولا يقتلن أولادهنَّ» قالت هند: نحن ربناهم صغار وأنتم قتلتموهم كباراً، وقد قتل حنظلة بن أبي سفيان يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قتلناهم لأنهم أبوا أن يقولوا لا إله إلا الله»^(٤).

(١) في الأصل: بيعهن.

(٢) الكشف والبيان ٣١٨/٢٦، البسيط ٤٢٦/٢١. وهو خبر مرسل لا يصح.

(٣) في الأصل: بينها.

(٤) وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وهي رواية شديدة الضعف، انظر: تفسير الطبري

﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهٖتَيْنِ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ والبُهتان: هو أن تأتي ولدًا من غير زوجها وتربيته بين أيديها وأرجلها، وتقول لزوجها: هو منك.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ والمعروف طاعة الله ورسوله، لم يأمر إلا بالطاعة لله ورسوله، وقيل: المعروف أن لا يحرقن^(١) ولا يخرقن في مصيبة ولا يُنْحَنَ.

﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ إذا شرطن هذه الخصال ﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿رَجِعِ الْمَعْنَى إِلَى أَوَّلِ السُّورَةِ﴾ ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في المنافقين كانوا يتولون اليهود، وقيل: فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود بأمر المسلمين لينالوا من أثمارهم فنهاهم الله عن ذلك^(٢).

﴿قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ بكفرهم ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ﴾ الذين لا يؤمنون بالبعث ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣) يعني الأموات.

والمعنى: قد قطعوا أطماعهم عن الآخرة ونعيمها كما قطعوا أطماعهم من الإحياء بعد الموت.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الممتحنة يكون المؤمنون والمؤمنات شفعاء له يوم القيامة»^(٣).



(١) كذا في الأصل. وقد يكون الصواب: لا يحلقن كما في الكشف والبيان ٢٦/٣٢٣.

(٢) الكشف والبيان ٢٦/٣٢٣، البسيط ٢١/٤٢٧.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/٢٨٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٢٧.

سورة الصف

مكية^(١)، وهي أربع عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي صَلَّى على ما تقدم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال الكلبي: كان المؤمنون قالوا لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لفعلناه، فنزلت ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّرُ عَلَىٰ تَجَرَّقَ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾^(٤) إلى قوله ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) ففرحوا بذلك، فلما نزلت ابتلي المؤمنون بحرب أحد ففروا^(٦)، ولم ينصروا رسول الله حتى شجَّ وكُسِرَتْ رِبَاعِيته، فنزلت ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٧).

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: بُغْضًا ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٨) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴿جميعًا على مكان من غير انهزام

(١) وقيل مدنية، ورجح الثعلبي أنها مدنية لأمره فيها بالجهاد، وهو قول الجمهور، (الكشف والبيان ٢٦/ ٣٣٩، زاد المسير ٤/ ٢٧٦).

(٢) بلا خلاف (التيبان في عد آي القرآن ٢٤٥).

(٣) في الأصل: نزل..فروا.

(٤) روى ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٣٥٠، نحوه عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة عنه، ولفظه: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به؛ فلما نزل الجهاد، كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٥).

﴿كَأَنَّهُمْ بُيِّنٌ﴾ أي: جدران ﴿مَرَّضُوصٌ﴾ ﴿١﴾ بعضها إلى بعض، أي: ضُمَّ وُشِّدَ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين كانوا به مؤمنين ﴿يَقَوْمَ لِمَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقد ذكرنا تفسيره في سورة الأحزاب، في قوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى﴾.

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: مالوا إلى الباطل والضلال وانصرفوا عن الحق أمال الله قلوبهم عن الهدى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢﴾ أي: لا يوفق الذي سبق في علمه أنه يختم أمره على الفسق^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا﴾ أي: موافقًا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لما كان قبلي من التوراة ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ من ولد قيدار^(٢) [بن] إسماعيل بن إبراهيم خاتم النبيين وإمام المرسلين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٣﴾.

وقال ابن عطاء: في قوله: «أحمد» يعني: أحمد الحامدين حمداً، وأحمد المطيعين طاعة، وأحمد العارفين معرفة، وأحمد المشتاقين شوقاً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ يعني اليهود والنصارى، يُسْمُونَ آيَاتِ اللَّهِ سِحْرًا وَرُسُلَهُ سِحْرَةً.

المعنى: من أكفر ممن اختلق على الله الكذب.

﴿وَهُوَ يَدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ والانقياد لأمر الله ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ﴾ من الضلالة ﴿الْقَوْمَ﴾

(١) الكشف والبيان ٣٥١/٢٦.

(٢) يجوز فيه بالذال وبالذال (الإكمال في رفع الارتفاع ٤/٤٢٥).

الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ الكافرين إلى دينه.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [بِقَوْلِهِمْ] أي: يُرَدُّوا كتاب الله وكلامه فيكذبوه بألسنتهم ونور دينه وكتابه ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ مُظْهِرُ كتابه ومُعْلِنُ أمر رسوله ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ من اليهود.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي التوحيد، وقيل: بالحُجج والبراهين ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: يعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على الأديان كلها، وهي الأديان الخمسة: اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة والشرك، وهي باطلة كلها، فيظهر الله الإسلام على هؤلاء الخمسة حتى تكون كلمة الله هي العليا.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٩﴾ من أهل مكة وغيرهم، ولا تقوم الساعة حتى يصير أهل الأديان كلهم مقهورين لأهل الإسلام.
قال الكلبي: عند نزول عيسى^(١).

﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّعِ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ استفهام بمعنى التقرير ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُؤْهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في أعدائه ﴿بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ﴾ الجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الأموال والأنفس ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ ثواب الله.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي: منازل حسنة طيبها الله لأوليائه ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ موضع إقامة ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ النجاة من الجحيم، وذلك جنات النعيم.

﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا﴾ أي: يعطكم خصلة واحدة أخرى تحبونها، وهي الظفر على

(١) انظر: تفسير سورة التوبة، آية: ٣٢.

أعدائكم: ﴿نَضَرُ مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾ ظفر عاجل وهي فتح مكة ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) بالظفر في الدنيا والنجاة في العقبى.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُوءًا أَنصَارُ اللَّهِ﴾ يعني: أعوان دين الله وأعوان رسوله ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى﴾ مختصر معناه: كما نصر الحواريون لعيسى بن مريم حين قال لهم عيسى ﴿أَبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ وهم أصفياء عيسى ﴿فَمَا مَنَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: جحدت ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قويناهم.

والذين آمنوا هم الشمعونية، والذين كفروا هم: الملكانية واليعقوبية والنسطورية والمرقوسية، ولكل واحد مذهب واختلاف على ما قدمنا، ومع اختلافهم اجتمعوا على قتل المؤمنين وهم الشمعونية، فقتلوا منهم كثيراً، ولحقت بقيتهم إلى الغيران والأسراب في الجبال يترهبون، ومن نسلهم بحيرى الراهب والنجاشي ومن آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأيدنا محمداً وأصحابه ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمُ﴾ اليهود والنصارى ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (١٤) على أهل قريظة والنضير وخيبر وجنود الروم يوم مؤتة ويرموك.

وقوله: «ظاهرين» أي: عاليين^(٢).

(١) تفسير الطبري ٢٣/٣٦٧.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: غالين.

لم يذكر الحديث الموضوع في فضائل سورة الصف، وهو حديث: من قرأ سورة الصف كان عيسى مستغفراً له ما كان في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة جعله الله له رفيقا (الكشف والبيان ٢٦/٣٤٠، فضائل القرآن للمستغفري ١٢٢٧). وقد نبهنا مرارا على أنه حديث مكذوب

سورة الجمعة

مدنية^(١)، وهي إحدى عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ﴾ الدائم الذي لا يزول ملكه، وكل العالم خلقه وعبيده ﴿الْقُدُّوسُ﴾ المبارك الذي يكون منه اليمن والبركة، وقيل: الطاهر من العيوب^(٣) ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾^(٤) في قضائه.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ يعني العرب سُمُّوا آمينين لأنهم على ما خلقت عليه الأمة، قيل: تعلم الكتابة، والكتابة لا تكون إلا بتعلم.

وقيل: سُمُّوا آمينين لأنه لم يكن لهم كتاب وشرع كما كان لليهود والنصارى^(٥).

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ أي: من العرب ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ بالأمر والنهي ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من نجاسة الشرك، ويطهرهم من دنس الكفر ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والفقه الذي فيه الحلال والحرام ﴿وَأَن كَانُوا﴾ وقد كانوا ﴿مِّن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ أي: بعثه الله رسولا إلى العرب وإلى آخرين منهم، أي: العجم، وهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بعد فيستلحقون بهم على الترادف إلى يوم القيامة.

وفي إعراب «آخرين» وجهان:

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٦/٣٦٩، زاد المسير ٤/٢٨٠.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد أي القرآن ٢٤٦).

(٣) انظر تفسير سورة الحشر، آية: ٢٣.

(٤) تفسير السمعاني ٥/٤٣٠.

كسر معطوف على «أُميين»^(١).

ونصب معطوف على الهاء والميم في «ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلم قوماً آخرين»^(٢).

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ إرسال الرسل^(٣) والكتاب ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من كان أهلاً
﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٤) المن الوافر.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ أي: أمروا باستعمال التوراة وما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا﴾ ولم يعملوا بها^(٤).

وهذا مثل عالم لا يعمل بعلمه، عن سهل.

وقال ابن عباس: هم اليهود هم يحملون التوراة ولا يعملون بها^(٥).

﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ من الكتب ولا يدري ما فيه ﴿بُسْ مَثَلُ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بس المثل الذي ضربناه لهم تمثيلاً بالحمار
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥) من علم أنه يموت على اليهودية.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: مالوا عن الإسلام ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ
مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ أي: دون محمد وأصحابه وقد زعمت أنكم أحباء الله ﴿فَتَمَتَّوْا

(١) ويكون المعنى: هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم وبعث في الذين لم يلحقوا بهم (معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٠) وهو الذي لم يذكر ابن جرير سواه (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٧٤).

(٢) معاني القرآن ٥/ ١٧٠، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٠.

(٣) كذا في الأصل، الرسل بالجمع والكتاب بالمفرد.

(٤) البسيط ٢١/ ٤٤٩.

(٥) لا خلاف بينهم في ذلك (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٧٨).

أَلَمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وقولوا: اللهم أمتنا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ أي لا يشتهونه أبدًا ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من خوف ما سلفت به من ذنوبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾ أي: من اليهود أنهم لا يشتهون الموت.

﴿قُلْ إِنَّ أَلَمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ ونازل بكم لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ أي ترجعون ﴿إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن العباد وعلمه وما علموه ﴿فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾ ويجازيكم به.

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ بادروا إليها وأجيبوا داعي الله، ولم يُرَدِّبه العَدُو، عن الأَخْفَش.

﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي اتركوه بعد الأذان، ولا تتخلفوا عن الخطبة والصلاة لأجل التجارة ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الجمعة خير من البيع ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩﴾ ثواب الله في ذلك.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بعد فراغكم عنها ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قد أُبيح لكم طلب الرزق، وقيل: ابتغاء الفضل طلب العلم، مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: تشيع الجنازة وعبادة المريض^(١).

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ باللسان ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾ لكي تفوزوا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ عن مقاتل: أن دحية بن خليفة^(٢) الكلبي كان إذا قَدِمَ العير المدينة استقبلها بالطبول والتصفيق، وكان العير يأتون بالطبول على

(١) البسيط ٤٥٨/٢١.

(٢) في الأصل: حذيفة، وهو تصحيف.

الجمال أيضًا، فقدِمَ يوم الجمعة في وقت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر، ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحد عشر رجلاً وامرأة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو لحق آخرهم أولهم لالتهب الوادي ناراً»^(١).

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ أي: تفرقوا إليها، ولم يقل إليهما، والمذكور^(٢) السابق: التجارة واللهو، ولكن أراد: رأوا تجارة انفضوا إليها وإذا رأوا اللهو انفضوا إليه، فاختصر الكلام.

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ تخطب، فيه دلالة على أن القيام شرط في الخطبة ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب على الصلاة ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ التي جاء بها دحية ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٣).

قال عبد الحميد الحاكم - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الجمعة أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من حضر وبعدد من لم يحضر الجمعة»^(٣).



(١) تفسير مقاتل ٣/ ٣٦١، وهو قول عامة المفسرين: تفسير الطبري ٢٣/ ٣٨٦، الكشف والبيان ٤٢٩/ ٢٦.

(٢) في الأصل: المذكور.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٣٧٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٩.

سورة يذكر فيها المنافقون

مدنية^(١)، وهي إحدى عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ المنافق: هو المضمير للكفر مع إظهار الإيمان، واشتق من نافق اليربوع^(٣).

والمعنى: إذا حضروك منافقو المدينة.

﴿قَالُوا﴾ لك ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ والشهادة هاهنا الحلف، حلفوا بأنك رسول الله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ من غير شهادة المنافقين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم، ويضمرن خلاف ما يظهرون.

﴿أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ لأنفسهم من القتل وإعطاء الجزية ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: منعوا الناس عن دين الله الإسلام ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الصد والكفر.

﴿ذَلِكَ﴾ الصد ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ آمنوا في العلانية وكفروا في السر ﴿وَوُطِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جعل الله أعمالهم الخبيثة حجاباً لقلوبهم لا يبصروا الهدى ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما يأتيهم به الرسول.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي لهم خلق حسنة، وأجسام بسيلة ﴿وَإِنْ

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٦/٤٣٩، زاد المسير ٤/٢٨٦.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد أي القرآن ٢٤٧.

(٣) البسيط ٢١/٤٦٧.

يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^١ أي: يصغي إليهم سمعك إعجاباً بحسن منطقهم ﴿كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ إلى الحائط بعضها إلى بعض، أي: لا تعجب بحسن منطقهم وكلامهم، فلا خير في باطنهم، وليس فيهم شجاعة ولا جراءة ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تكون بالمدينة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لا هم، ولو كانوا هم مؤمنين لا طمأنت قلوبهم بوعده الله.

وقيل: الهاء والميم في عليهم راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

وتم الكلام ﴿هُمْ أَلْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾ ابتداء الكلام، يعني لا تأمنهم ﴿فَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: لعنهم الله ﴿أَنِّي يُؤْفِكُونَ﴾ من أين يكذبون استفهام بمعنى التوبيخ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا﴾ احضروا ﴿يَسْتَعْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ إن حضرتم بقلوبكم وتركتم النفاق ﴿لَوْأَ رُؤُوسَهُمْ﴾ عطفوا رؤوسهم عن الاستغفار، أي: ثنوا ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن الاستغفار ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ متعظمون عن الإيمان. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ماداموا على نفاقهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الذين في علمه أنهم يموتون على النفاق.

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ نزلت في عبد الله بن أبي، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك - أو غزوة أخرى - فخاصم رجل من المسلمين اسمه جُعال رجلاً من المنافقين يقال له جهجاه^(٢) الغفاري، فلطم المخلص المنافق فرآه عبد الله بن أبي فاغتاظ، وقال: عمدنا إلى رجل ليس منا فحملناه على أعناقنا حتى يفعل هو أصحابه فينا ما يريدون،

(١) وهذا قول غريب، لم يذكره المفسرون (تفسير الطبري ٣٩٥/٢٣، الكشف والبيان

٤٥١/٢٦، البسيط ٤٧٢/٢١).

(٢) في الأصل مصحفة، صورتها: حمقا.

والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قيل: سَمَّنْ كَلْبَكَ يَا كَلْكُ، ثم قال لبعض أصحابه: لو كنتم تمنعون جُعال وأصحابه فضل طعامكم لما ركبوا أعناقكم، ولتفرقوا من عند محمد وتركوه وحيداً^(١)، فذلك قوله: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَايِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧) أي: لا يصدقون أن الرزق من الله.

﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ وإنما قال ذلك عبد الله بن أبي عند مخاصمة الرجلين، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فقال للمنافق: أنت والله الذليل المبغض، ومحمد في عز من الله ومودة من المسلمين، ثم جاء زيد بن أرقم وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول المنافق فدعاه، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الرجال يذُبُّون عنه، فحلف وقال: والله الذي أنزل الكتاب ما قلت من ذلك شيئاً، وما عملت عملاً أرجى في نفسي من غزاتي هذه، فصدَّقته الأنصار، وقالوا: يا رسول الله شيخنا وسيدنا لا تُصدِّق عليه قول غلام، فعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفشت الملامة لزيد بن أرقم، قالوا: كذب زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استحيا زيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يذُنْ منه بعد، فنزل قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ والآية التي بعدها^(٢).

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٣٦٥، الكشف والبيان ٢٦/ ٤٥٤.

(٢) انظر الروايات في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠١. وأصله في الصحيحين، فقد روى البخاري ٤٩٠٠، ومسلم ٢٧٧٢: عن زيد بن أرقم، قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي، يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما

ثم قال الله تعالى جواباً له ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ المنعة والقدرة ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ عز الإيمان ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ أي: لا تشغلكم أموالكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ أمر توجه إلى غير الأمور كقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٢) والمعنى: لا تشغلوا بأموالكم وأولادكم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ عن أداء فرائض الله ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ومن يشتغل بتكثير أمواله وتربية أولاده عن إصلاح معاده ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩).

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي يعاين أهوال الموت ﴿فَيَقُولَ﴾ حيثئذ ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [فَأَصْدَقَ] ﴿هَلَا أَجَلْتَنِي حَتَّى أَتَصَدَّقَ مِنْ مَالِي﴾ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٥) (١) المؤمنين.

ويقال: أُحْجَ بذلك المال بيتك يارب (٢).

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ وعاین الموت ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١) من الخير والشر، فتوبوا قبل الندامة.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق يوم القيامة» (٣).

قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد».

(١) في الأصل: وأكون، وهي قراءة أبي عمرو (النشر ٢/ ٣٨٨).

(٢) وهي رواية الضحاك عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٣/ ٤١١).

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٤٤٠، فضائل القرآن للمستغفري ١٢٣٠.

سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

قوله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾
أي: كل ما في السماوات والأرض خلقه وملكه، وهو يستحق أن تحمده الخلائق
لتواتر نعمه عليهم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) يتصرف كيف يشاء^(٣).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ قال الزجاج: خلقكم
في بطون أمهاتكم كفاراً ومؤمنين، والدليل عليه ما ذكر من قصّة يحيى ﴿أَنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ الآية، أخبر أنه خلق كذلك^(٤).

وقال أبو سهل: فمنكم الآن كافر ومنكم مؤمن، فاستويتم في الخلق واختلفتم
في الأحوال.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥) يجزيكم بالخير خيراً وبالشر شراً.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لم يخلقهما باطلاً، ولكن خلقهما لأمر كائن
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ لأن صورة بني آدم أحسن من صور سائر الخلق ﴿وَالْيَهُ
الْمَصِيرُ﴾^(٦) أي: مصير العباد في الآخرة إلى الجزاء.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: ما تسرون في

(١) بيض لتزييلها وعدد آيها، وهي مكية إلا آية منها، في قول الثعلبي (الكشف والبيان ٢٦ / ٤٧٧)

وهو قول الجمهور عند ابن الجوزي، وقال الضحاك: إنها مكية (زاد المسير ٤ / ٢٩١).

وأما عد آيها فهي ثمان عشرة آية في عد الجميع (البيان في عد آي القرآن ٢٤٨).

(٢) تفسير أبي الليث ٣ / ٤٥٤.

(٣) معاني القرآن ٥ / ١٧٩.

قلوبكم وما تعلنون بألستكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ① أي: بما في القلوب.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كيف أهلكهم الله لتعتبروا بذلك ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ أي: أصابتهم عقوبة صنيعهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ②.

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب لهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ البيان من عند الله ﴿فَقَالُوا أَشِئْرُ بَهْدُونَا﴾ أي: آدمي مثلنا يدعوننا إلى دين غير دين آبائنا ﴿فَكْفُرُوا﴾ بالرسول ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بهم ﴿وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن طاعة العباد ﴿حَمِيدٌ﴾ ③ شاكراً لمن أطاعه.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ بعد الموت ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ أمره الله بالجواب المقرون باليمين ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ يوم القيامة، أي: تُخبرون ﴿وَذَلِكَ﴾ البعث ﴿عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ④ هين.

﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ﴾ أنه قادر على البعث ﴿وَرَسُولِهِ﴾ أنه من الله ﴿وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَا﴾ على نبينا وهو القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ⑤.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ لأن الكفار غبنوا بنعيم الجنة، وقيل: هو اسم من أسماء القيامة^(١).

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يصدق بتوحيده ﴿وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ⑥.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ خالدين فيها وبئس المصير ⑦ والمرجع.

﴿مَا أَصَابَ﴾ ابن آدم ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ مرض أو ذهاب مال ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

وقضائه ومشيتته ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يرى أن المصيبة من الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يعرف قلبه بما شاهد من تدبير الله في نفسه وماله، ويعلم أن الخلق كلهم لله يفعل فيهم ما يشاء. وقيل: يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فيما تعبدكم في السرّاء والضراء ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أخبركم عن الله ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن كتاب الله وطاعة رسوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رُسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعتمد المؤمنون في دينهم ودنياهم.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ ولا تقعدوا عن الهجرة بسببهم ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال مقاتل: كان الرجل إذا أراد الهجرة منعه أهله، وقالوا: نشدك بالله أن تترك أهلك وولدك، فمنهم من هاجر ومنهم من تأخر عن الهجرة، فكل من هاجر ورأى من سبق من المهاجرين قد تفقهوا في دين الله غضبوا على نسائهم وأولادهم، وقالوا: لئن جمعنا الله وإياكم في دار الهجرة نعاقبكم ولا ننفق عليكم، لأنكم تثبطونا عن الجهاد، ثم هاجر أهلهم، فأنزل الله هذه الآية وأمرهم بالعفو^(٢).

ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بليّة تبتلون بها ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الجنة لمن ترك ما يحبه ولزم عبادة ربه.

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٤٢١، تفسير أبي الليث ٣ / ٤٥٧.

(٢) تفسير مقاتل ٣ / ٣٦٩.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قال الكلبي: هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ معناه: اتقوا الله ما أطاقتم واحذروا مخالفته ما تطيقون^(١).

﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون ﴿وَأَطِيعُوا﴾ الله والرسول ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ أموالكم في سبيل الله ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ من المنع، أي: تكن النفقة خيرًا لأنفسكم من المنع ﴿وَمَنْ يُؤَقِّ شَحَّ نَفْسِهِ﴾.

قال ابن عيينة: الشح هو الظلم^(٢).

وقيل: البخل، أي: من منع ظلم نفسه وبُخل نفسه حتى يخرج عن حق الله تعالى من ماله^(٣).

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٦) الظافرون بالفوز.

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ صادقًا من قلوبكم طيبة بها أنفسكم ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ ما بين سبع إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١٧) يعني: يقبل اليسير من الأعمال ويعطي الجزيل من الثواب، ويحلم عن جهل العباد.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عالم بما غاب عن علم الخلق وبما شاهده الخلق ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٨).

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة التغابن دفع الله عز وجل عنه موت الفجأة»^(٤).

(١) وهو قول قتادة وسعيد بن جبیر (تفسير الطبري ٢٣/٤٢٧، الكشف والبيان ٢٦/٥١١).

(٢) نقله السمعاني في تفسيره ٥/٤٥٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٤٥٨.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/٤٧٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣١.

سورة الطلاق

مدنية^(١)، اثنتا عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: حلّيتُم لهنَّ عن عقدة النكاح بقولكم: أنت طالق.

﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أبو صالح عن ابن عباس قال: غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة فطلّقها فنزلت هذه الآية^(٣).

معناه: إذا أردتم طلاق النساء فطلّقوهن طواهر من غير جماع.

﴿وَأَحْضُوا لِعِدَّتِ﴾ يريد به الحيض، وقيل: يريد به الأطهار^(٤).

يعني: إن كانت ممن تحيض فثلاث حيض، وإن كانت حاملاً فوضع الحمل، وإن كانت آيسة فثلاثة أشهر.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ فيما أمركم من الطلاق للعدد وإحصاء العدة.

﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ التي طلقتموهن فيه ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ من قبل أنفسهن؛

(١) بإجماعهم، وتسمى: سورة النساء القصوى، الكشف والبيان ٥١٧/٢٦، زاد المسير ٢٩٥/٤.

(٢) إلا في البصري فهي: إحدى عشرة آية (البيان في عد أي القرآن ٢٤٩).

(٣) من رواية الكلبي، كما في البسيط ٤٩٣/٢١، وروي من غير طريق الكلبي، فرواه الثعلبي في الكشف والبيان ٥٢٣/٢٦ من حديث قتادة عن أنس، وهو معلول، والصحيح عن قتادة مرسلًا، كذا رواه الطبري ٤٣٦/٢٣، ولا يصح هذا السبب، والله أعلم.

(٤) على الخلاف الوارد في القرء، انظر: تفسير سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

لأن نفقتها على المطلق، فالى أين تخرج، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ وهو أن تبذو على أهلها^(١).

وقيل: الفاحشة هو الخروج من غير إذن الزوج.

وقيل: إذا زنت فأخرجت لإقامة الحد^(٢).

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ في الطلاق والعدة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ عصاه وتجاوز أحكامه ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بالمعصية واستوجب العقوبة، ثم قال: ﴿لَا تَدْرِي﴾ أيها المطلق ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد التطليقة الواحدة والثنتين ﴿أَمْرًا ۝١﴾ أي: رجعة، تبدو له في رجعتها، وندم على طلاقها.

﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَاهُنَّ﴾ قرب انقضاء عدتهن بعد الطلقتين ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بالموافقة مع حسن الصحبة ﴿وَأَوْفَرُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بطاعة الله بغير ضرار، أي: خلوا سبيلهن بإعطاء المهر والنفقة ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الطلاق والمراجعة؛ حرين مسلمين ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ عند الحُكَّام، أي: لطلب رضا الله تعالى ولا تميلوا إلى أحد الزوجين.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكر من الأمر والنهي ﴿يُوعِظُ بِهِ﴾ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) وهو مروي عن ابن عباس من طريق غريبة (تفسير الطبري ٢٣/٤٣٩).

(٢) فالفاحشة على هذا القول الزنى، وهو قول الحسن والشعبي وابن زيد (تفسير الطبري ٢٣/٤٣٨). ورجح الطبري العموم، فقال: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية، وذلك أنَّ الفاحشة هي كل أمر قبيح تعدى فيه حده، فالزنى من ذلك، والسرقة والبذاء على الأحماء، وخروجها متحولة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتد فيه منه، فأى ذلك فعلت وهي في عدتها، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبها. وفي الأصل: زنى فأخرج..

﴿الْآخِرِ﴾ والذي لا يؤمن لا ينفعه الوعظ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١) يعني: من يتق الله فيما أمره من طلاق السُّنَّة وإحصاء العدة يجعل له مخرجًا من الشبهات في الدين والدنيا؛ فلا يندم، ولا يصير عاصيًا.

وقيل: مخرجًا من غمرات الموت وشديد الآخرة، عن ابن عباس^(١).

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ في الدنيا ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢) يكفيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ أي مُنْفِذُ سابق علمه ما شاء كيف شاء.

قال ابن مسعود ومسروق: إن المتوَكَّل على الله يكفر عنه سيئاته، فأما القضايا فإنها تقع على ما قُضيت لا محالة^(٢).

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٣) من الشدة والرخاء والفقر والغناء، لا يتقدَّم ولا يتأخَّر عمَّا قدر.

﴿وَالَّتِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ المؤمنات ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في حكم عدتهن ﴿فَعَدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ لأنه لما نزل عدة ذوات الحيض سكتوا في الآية والصغيرة، فنزلت الآية ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ يعني: الصغائر عدتهن كعدة الآية ثلاثة أشهر^(٣).

﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ في الطلاق والوفاة ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيما عهد إليه من أمر الطلاق والنفقة والسُّكنى ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^(٤) يُيسر عليه أمره، ويوفقه للعمل الصالح.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمر به وشرع ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ وهو الذي أوحاه إلى

(١) البسيط ٢١/٥٠٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٤٤٨، البسيط ٢١/٥٠٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٤٦٢.

عباده فيما فرض ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيما فرض عليه وأمره ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ يغفر ذنوبه ﴿وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا﴾ على التقوى.

﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾ يعني: المطلقات ﴿مَنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ في المنزل الذي تسكنون ﴿مَنْ وَجَدَكُمْ﴾ سعتكم وطاقتكم على قدر ما تجدون ﴿وَلَا تَضَارَوْهُمْ لِتَضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ﴾ في النفقة والسكنى ﴿وَأَنْ كُنَّ﴾ المطلقات ﴿أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: لولدكم بعد الوضع ﴿فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ نفقة الرضاع ﴿وَأُتِمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: شاوروا في الإرضاع ونفقة الرضاع على أمر معروف جائز صحيح، بغير إسراف ولا تقتير.

﴿وَأِنْ تَعَاسَرْتُمُ﴾ في النفقة، أي: طلبت المرأة النفقة أكثر والرجل يُعطي الأقل ﴿فَسَتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ امرأة أخرى غير أمه^(١).

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ هو لام الأمر، أي: ذو غناء من غناه على قدر غناه ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي: ضيق عليه رزقه ﴿فَلْيُنْفِقْ﴾ على المراضع ﴿وَمِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ على قدر طاقته ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ أي: قدر ما أعطاهَا ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ سعة من الرزق بعد الشدة والضيقة.

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: كم من أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: تعدت وخالفت وخرجت عن أمر ربها ﴿وَرُسُلِهِ﴾ عن أمر رسله ﴿فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: نحاسبها في الآخرة ونعذبها عذابًا شديدًا، لا ندع لها ذنبًا إلا أحصيناه عليها ﴿وَعَدَّ بِنَهَا عَذَابًا تُكْرَهُ﴾ أي: فظيعًا صعبًا.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: جرّبت عقوبة فعلها. والوبال والويل: مما ثقل من الطعام على الأكل^(٢).

(١) تفسير السمعاني ٤٦٦/٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٨٧/٥.

﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝١﴾ أي: صار عاقبة أمرها في الآخرة إلى الخسران.

﴿[أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا] فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ اخشَوْه يا ذوي العقول؛ ولا تعملوا مثل أعمالهم، ثم وصف أولي الأبواب فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝٢﴾ أي: كتابًا وهو القرآن.

وقيل: الذكر الرسول^(١).

﴿[رُسُلًا] يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ ووضحت ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ليدعوهم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الجهل إلى العلم.

وقيل: من ظلمة الدنيا والقبر إلى نور الجنة^(٢).

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ وبمحمد والقرآن ﴿ويعمل صالحًا﴾ خالصًا فيما بينه وبين ربه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مُقِيمِينَ فِي الْجَنَّةِ ﴿أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝٣﴾ بعمله الصالح في الدنيا لأنه قال: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۝٤﴾.

ثم قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾ دعاكم إلى توحيده وطاعته والذي ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ بعضها فوق بعض؛ مثل القُبَّة ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في العدد بعضها تحت بعض ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: الوحي من السماء السابعة إلى الأرض السابعة إلى أهلها ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مما أراد ويريد.

ليس في القرآن آية تدل على أن الأرض سبع إلا هذه الآية.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝٥﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء.

علمًا: نصب على التفسير لكثرة الإحاطة^(٣).

(١) تفسير الطبري ٢٣/٤٦٧، الكشف والبيان ٢٦/٥٩٥.

(٢) البسيط ٢١/٥٠٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/١٨٩.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/٥١٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٢.

سورة التحريم

مدنية، إلا آيتان منها من آخرها^(١)، وهي اثنتا عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية القبطية أم إبراهيم في بيت حفصة بنت عمر، وكانت غائبة، وذلك اليوم يوم عائشة من القِسْمَةِ، فلما رجعت حفصة رأتها في المنزل، وأظهرت ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفصة: «لا تُخبري بهذا الخبر حتى أخبرك بشيء يسُرُّك»، فقالت ما هو؟ قال: «إن أبا بكر وعمر سيملكان بعدي أُمّتي»^(٣)، فقالت حفصة: لا أخبرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي حَرَمْتُ مَارِيَةَ عَلَى نَفْسِي».

فذهبت حفصة وأخبرت عائشة بذلك، وكان بينهما مصافاة من جُملة النساء، فنزل جبريل بخبر حفصة وتبليغه إلى عائشة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حفصة أَلست قد ضمنت أن لا تقولي ذلك مع عائشة، فَلِمَ أَفْشَيْتِ سِرِّي؟» فقالت حفصة: مَنْ أَخْبَرَكَ بهذا، وَظَنَنْتُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ بِذَلِكَ، فقال: «نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ»، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة، وطلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ كُلَّهِنَّ شَهْرًا، ومكث في مشربة مارية أم إبراهيم تسعًا وعشرين ليلةً،

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٧/٢٧، زاد المسير ٤/٣٠٤.

(٢) في الأصل: ثلاثة، وهو خطأ، فقد اتفق العادون على أنها اثنتا عشرة آية (كما في البيان في عدد آي القرآن).

(٣) هذا الخبر بهذه الصياغة من رواية الكلبي، وقد ذكرها من يعتمد عليه، كالفراء في معاني القرآن

فلما سمع عمر بطلاق حفصة قال: لو كان في آل الخطاب خيراً ما طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، ثم جاء جبريل بعد أيام وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها، وقال: راجعها فإنها صوّامة قوّامة، ثم أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ وهي مارية القبطية^(١).

ووجد...^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل حفصة، فوضعت حفصة بين يديه عَسَلًا، وكان لها زِقٌّ من العسل تطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، فلما دخل عليها وسمعت^(٣) بذلك عائشة فأخذتها الغيرة، فأرسلت إلى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: كلما دخل عليكم رسول الله قلن له: نجد منك رائحة المغاير، وهي شيءٌ مثل الصمغ من شجرة يُقال لها العرفط، له رائحة كريهة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ الطَّيِّبَ لأجل الملائكة، ويكره الرائحة الكريهة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت حفصة ودخل على سَوْدَةَ، فقالت: أَكَلْتَ المغاير يا رسول الله فقال: «لا، ولكنني أَكَلْتُ العسل» فقالت: أَجَدُّ منك رائحة المغاير، وكذلك سائر النساء، حتى دخل على عائشة قالت عائشة: إيش هذه الرائحة يا رسول الله، أَكَلْتَ المغاير؟ فقال: «لا، أَكَلْتُ العسل» فقالت: أَجَدُّ منك رائحة المغاير، ولعل النحل الذي منه العسل جلس على العرفط، وأكل نَوْرَهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي حَرَّمْتُ العسل على نفسي، لا آكله أبداً» وإنما قال ذلك لما كرهه من رائحته^(٤).

(١) وممن قال إن المحرمة جاريته: زيد بن أسلم، ومسروق والشعبي وقتادة، وهو رواية علي والعوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٤٧٦/٢٣).

(٢) هاهنا كلمة صورتها: احدان.

(٣) في الأصل: وسمع.

(٤) وممن قال إنه حرم العسل: عبد الله بن شداد، وابن أبي مليكة (تفسير الطبري ٤٨٠/٢٣).

فنزل قوله تعالى: ﴿بَيَّأُهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ يعني: مارية أو العسل^(١).

﴿تَبْتَغِي مَرْصَاتَ أَرْوَجِكَ﴾ يعني: لِمَ تُحَرِّمُ وَلِمَ تَبْتَغِي مَرْصَاتَ أَرْوَجِكَ فِي تَحْرِيمِ الْحَلَالِ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لحلفك بتحريم الحلال ﴿رَّحِيمٌ ۝١﴾ بَيْنَ الْكُفْرَةِ.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: بَيْنَ اللَّهِ وَأَوْجِبَ اللَّهُ كِفَارَةَ أَيْمَانِكُمْ، فَأَعْتَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَبَةً، وَعَادَ إِلَى مَارِيَةِ ﴿وَاللَّهُ مُؤَلِّكُكُمْ حَافِظَكُمْ وَنَاصِرُكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمقاتلتكم ﴿الْحَكِيمُ ۝٢﴾ حَكَمَ بِالْكَفَارَةِ عَلَيْكُمْ.

ثم ذكر الله القصة ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَجِهِ حَدِيثًا﴾ يعني: حَفْصَةَ أَسْرَ إِلَيْهَا حَدِيثَ مَارِيَةِ ﴿فَمَا تَبَيَّنَ بِهِ﴾ عَائِشَةُ ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أَطْلَعَ رَسُولُهُ عَلَى أَخْبَارِ حَفْصَةَ ﴿عَرَفَ﴾ رَسُولُ اللَّهِ ﴿بَعْضُهُ﴾ عَاتَبَهَا فِيمَا أَخْبَرَتْ ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وَلَمْ يِعَاتِبَهَا فِيمَا أَخْبَرَهَا بِهِ مِنْ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ.

وَقُرِئَ: «عَرَفَ بَعْضُهُ»، بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ^(٢)، أَي: عَاتَبَهَا وَجَازَاهَا أَنْ تَطْلُقَهَا بِذَلِكَ السَّبَبِ^(٣).

تَقُولُ الْعَرَبُ: لَا عَرَفَنَّ لَكَ، يَرِيدُونَ: لَا عَاقِبَتَكَ، وَيُقَالُ: عَرَفْتُ حَقَّهُ أَي: جَازَيْتَهُ^(٤).

﴿فَمَا تَبَيَّنَ بِهِ﴾ أَي: نَبَأَ حَفْصَةَ بِمَا قَالَتْ لِعَائِشَةَ ﴿قَالَتْ﴾ حَفْصَةُ ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ مَنْ أَخْبَرَكَ بِمَا قُلْتُ ﴿قَالَ تَبَيَّنَ الْإِلَهُ بِسَرَّائِرِ الْخَلْقِ الْخَبِيرُ ۝٣﴾ بِأَعْمَالِهِمْ

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ٤٩١٢ ، وَمُسْلِمٌ ١٤٧٤ قِصَّةَ الْعَسَلِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَهُوَ أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ تَحْرِيمِ مَارِيَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) وَالتَّخْفِيفُ قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَحْدَهُ (النَّشْرُ ٢/٣٨٨).

(٣) حَدِيثُ طَلَاقِ حَفْصَةَ مَشْهُورٌ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ خَالٍ مِنَ الْعِلَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ ٣/١٦٦، تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٢٣/٤٨٢.

وضمائرهم، وهو الله عز وجل.

ثم وعظهما الله فقال: ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: مالت قلوبكما إلى الحق يا عائشة ويا حفصة.

وقيل: إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما عن الحق^(١).

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي تعاونا على أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ وناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر^(٢).

وقيل: جميع الرسل والأنبياء والمؤمنين^(٣).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: ظهراء.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ وعسى من الله واجب، ولم يبدل الله خيراً منهن؟

فالجواب عنه: أنه مُعلّق بالشرط؛ مظاهرتهما على مغاضبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه قال: «إن تظاهرا عليه»، ثم قال في آخره: «عسى ربه».

والثاني: أنه مُعلّق بشرط طلاقهنّ ولم يطلقهنّ رسول الله^(٤).

ثم قال: ﴿مُسْلِمَتٍ﴾ لأمر الله وقضائه ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ مُصَدِّقَاتٍ بِالْقُلُوبِ وَالْأَلْسِنِ ﴿فَنُتِنَتْ﴾ مُطِيعَاتٌ لِلَّهِ فيما يأمرهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿تَتَّبِعْتِ﴾ من الذنوب ﴿عِدَّتِ﴾ لله مجتهدات ﴿سَبَّحْتِ﴾ صائمات ﴿تَتَّبِعْتِ وَأَبْكَا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ احرسوا أنفسكم بالطاعة،

(١) معاني القرآن للزجاج ١٩٣/٥.

(٢) وهو قول مجاهد والضحاك (تفسير الطبري ٤٨٧/٢٣).

(٣) وهو الذي رجحه ابن جرير في تفسيره ٤٨٧/٢٣.

(٤) الكشف والبيان ٤٨/٢٧، البسيط ٢٠/٢٢، تفسير السمعاني ٤٧٤/٥.

وأهليكم بالدعاء إلى الطاعة ﴿فَارَا وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ والوقود: ما يتوقد بها النار، والحجارة: حجارة الكبريت.

﴿عَلَيْهَا﴾ وعلى النار ﴿مَلَكِيَّةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: غلاظ الأخلاق وإن كانوا رفاق الأجسام، وشداد: أقوياء.

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ من عذاب أهل النار ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له -: بلغنا أن ملكاً من الرّبانية يكسر عظام المُعَذَّب، فيقول: ألا ترحمني؟ فيقول: ويليكَ كيف أرحمك وأرحم الراحمين لا يرحمك.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْزِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا نُجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر ولا تُقبل معذرتكم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَوْنَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ هو النَّدَم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع، والعزم على أن لا يعود^(١).

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يَسْتُرْ عليكم ما مضى من سيئاتكم، من الجمعة إلى الجمعة؛ كفّارات لما بينهن من السيئات، ما لم يبلغ الفواحش ﴿وَيُدْخِلَكُمُ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ أي: هذه الكرامات للتائبين يوم لا يُخْزِي الله النبي، أي: لا يخجله ويرد شفاعته في أُمَّتِهِ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ لا يرد شفاعتهم في إخوانهم وأقاربهم^(٢).

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ٥٠.

(٢) قد قيل: إن التمام على «النبي» وما بعده استئناف، وعليه فلا يكون معطوفاً على ما سبق (بحر العلوم ٣/ ٤٧٠).

قال الداني (في المكتفى في الوقف والابتداء ٢١٩): ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ قيل: هو تام، وعلى ذلك يكون «والذين آمنوا» مبتدأ، ويكون «النور» للمؤمنين، وقيل: التمام «والذين

﴿نُورُهُمْ يَسْعَى﴾ أي: يمضي نورهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يهديهم إلى الجنة، يمشي بعضهم كالبرق وبعضهم كالريح وبعضهم كعدو الفرس، وبعضهم يسلك الرجل بالسرعة، وبعضهم يمشي، وبعضهم يحبوا، وبعضهم يزحف زحفاً، وهو أدناهم، يُعْطَوْنَ قدر منازل أقدامهم، على الصراط ومنهم من يبلغ نُورُهُ مد البصر ﴿يَقُولُونَ﴾ الذين لا يرون إلا مواضع أقدامهم على الصراط ﴿رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا﴾ مخافة أن يذهب نورهم الذي تحت أقدامهم ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما سلف من ذنوبنا ولا تؤاخذنا بها ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٨ من إتمام النور وغيره.

ويكون الصراط على المؤمنين كما بين صنعاء إلى الجند، ويكون على الكافرين مثل حدّ السيف مُدْحَضَةٌ ومزلة.

﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: جاهد كفار مكة بالسيف حتى يسلموا، والمنافقين من أهل المدينة بالغلظة عليهم والتكبر.

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ على الفريقين ﴿وَمَا أُولَئِهِمْ﴾ جميعاً ﴿جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٩ النار.

ثم ضرب مثلاً لوعظ عائشة وحفصة كيلا يغتراً بكونهما من أزواج رسول الله فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ مُرْسَلِينَ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: خالفتاهما بإظهار الإيمان وإسرار النفاق^(١).

آمنوا معه»، وعلى هذا يعطفون على «النبي»، والمعنى: لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يخزون. وهو أجود.

(١) الكشف والبيان ٢٧/٥٨، البسيط ٢٢/٢٧.

﴿فَلَمْ يُعْنِيا عَنْهُمَا﴾ أي: لم ينفعهما صحبتهما من دفع العذاب ﴿مَنْ أَلَّهَ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (١) كذلك عائشة وحفصة إن لم يتوبا لا ينفعهما صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم حثهما على التوبة فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عائشة وحفصة وجماعة المؤمنين ﴿أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ آسية بنت مزاحم ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ وهي [في] عذاب فرعون بسبب إيمانها بالله ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ أي: ابن^(١) لي بيتًا في الجنة وأرينيه كي يهون عليّ عذاب فرعون، فأوحى الله تعالى إليها بالإلهام ارفعي رأسك فرأت بيتًا في الجنة من دُرٍّ أبيض، فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلى هذه المجنونة تضحك وهي تُعَذَّبُ^(٢).

وقالت ﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ الخبيث.

وقيل: «وعمله» وملكه. وقيل: دينه^(٣).

﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤) يعني: القبط وأهل مصر في ذلك الوقت كانوا مشركين.

قيل: إن فرعون شدَّ آسية بأربعة أوتاد وأمر بحجر عظيم رُفِعَ وقُدِفَ إليها، فلما رأت الحجر يهوي إليها دعت بهذا الدعاء، فلما وصل الحجر إليها رفع الله روحها إلى الجنة^(٤).

(١) في الأصل: بين.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٠، الكشف والبيان ٢٧/ ٦١.

(٣) الكشف والبيان ٢٧/ ٦٣، زاد المسير ٤/ ٣١٢. ومن غريب الأقوال تفسير الكلبي عمله أي جماعه، ثم رواه عن ابن عباس بإسناده المطروق (الكشف والبيان ٢٧/ ٦٤، البسيط ٢٢/ ٣٠).

(٤) روي عن جماعة من السلف نحوه (تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٠).

ثم قال: ﴿وَمَرِّمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ﴾ أي: اذكر مريم فإن بها أسوة لكل مؤمنة ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظت فرجها من الفواحش ﴿فَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي في الجيب.

قال الكلبي في تفسيره^(١): أحصنت فرج درعها، فنفخنا فيه، أي: في فرج درعها وكل شيء هو فرج، فمد جبريل درعها ونفخ في الجيب، فوصلت نفخة جبريل في الساعة إلى بطنها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ أي برسالاته التي أداها جبريل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾.

﴿وَكُتُبِهِ﴾ أي صدقت بالإنجيل الذي وعد لولدها، وبسائر الكتب ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْفَلَتَيْنِ﴾^(٢) المطيعين لله تعبه، ولم يقل: من القانتات، لأن تعبهها كان في مسجد بيت المقدس مع العباد وهم الرجال.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ التَّحْرِيمِ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبَةً نَصُوحًا»^(٢).



(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء، آية: ٩١.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٣.

سورة الملك

مكية^(١)، وهي ثلاثون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ قال الخليل بن أحمد: تمجّد.

وقال الحسن: كلمة، ومعناه هو ذو البركة، ومنه جميع البركات والنماء، وهي الزيادة.

وقيل: هو الثابت الدائم الذي لا يزول ملكه، وهو مالك الملوك يُعزُّ مَنْ يشاء ويُذل من يشاء^(٣) ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال الكلبي: خلق الموت ككبش أُمْلَح لا يمر على شيء ولا يطاء على شيء ولا يجد ريحه شيء إلا مات، وخلق الحياة مثل فرس بلقاء أنثى، خطوها مد البصر، وهي دون البغل وفوق الحمار، وهي التي ركبها جبريل يوم غرق فرعون، ولا تمر على شيء ولا تطاء على شيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حيي، وهي التي يراها السامري تحت جبريل فأخذ التراب من أثر حافرها وألقاها على العجل فحيي^(٥).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بين الحياة والموت ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلص عملاً وأزهد في الدنيا وفي تركها ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٦).

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٧/٧٩، زاد المسير ٤/٣١٣.

(٢) وفي المدني الأخير والمكي: إحدى وثلاثون (البيان في عد آي القرآن ٢٥١).

(٣) استوعب الأزهرى الأقوال في تبارك في تهذيب اللغة ١٠/١٣٠.

(٤) نقله في البسيط ٢٢/٣٧، هذا الخبر ونحوه من أباطيل الكلبي.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض ملتصقة أطرافها إلى الأرض ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: مخلوقاته، يعني السماوات ﴿مِنْ تَقَوُّتٍ﴾ أي: اختلاف وتناقض، لأنَّ كلها دليلٌ على توحيده، فهي مستوية في الدلالة ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي: قلب البصر أيها الناظر ﴿هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ (٢) أي: صدوع وشقوق في السماوات (١).

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ إليها ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ مرة بعد مرة ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي يرجع إليك بصرك بعد طول النظر خاسئًا صاغراً ذليلاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٣) أي: مُعْيٍ، ولا ترى شيئاً من ذلك.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ أي: الكواكب ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ إذا استمعوا خبر السماء يُرْجَمْنَ بالشهب ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (٤) في الآخرة. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرِ﴾ (٥) جهنم.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ أي: ألقاهم الخزنة في النار بالكلاليب ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ والشهيق: أقبح الأصوات، ويُسببه صوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ (٦) على الكفار لتأخذهم.

﴿كَأُذُنَ غَمَزٍ﴾ أي: تنقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ على أهل النار ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا﴾ في النار ﴿فَوْجٌ﴾ من الكفار الخمسة الذين هم أعداء الدين دين الله (٢) ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ وزبانيتهما ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) رسولٌ يُنذركم من العذاب.

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ هم ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي كتاب، ولا

(١) معاني القرآن للزجاج ١٩٨/٥.

(٢) وهم مشركو العرب واليهود والنصارى والمجوس وسائر الأصناف (تفسير مقاتل ٣٨٢/٣).

بعث من نبي، فيقال لهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ❶ وهو الكفر ❶.

﴿وَقَالُوا﴾ للخزنة ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ❷ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ❸ أي: بُعدًا لأهل النار وخيبة لهم من قبول العذر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي خافوه ولم يروه حين اجتنبوا المعاصي وأدّوا الفرائض ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ❹ أي: ثوابٌ وافٍ في الجنة.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾ بالتكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ ❺ أعلنوه، لفظ أمر معناه الوعيد ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ❻ وضماير القلوب فكيف يُسرُّون منه.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ السر والجهر والقلوب؛ حتى يكتمون منه، بلى يعلمها ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ❻ اللطيف باستخراج السرائر الخبير بها.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ ذلها لكم بالجمال كيلا تزول ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أمرٌ بمعنى الخبر، أي: تمشون في مناكبها جبالها ونواحيها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ وتأكلون من رزقه ﴿وَالْيَهُ النُّشُورُ﴾ ❽ من القبور.

ثم خوف الكفار فقال: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ مختصرٌ، ومعناه أأمنتم يا أهل مكة من عذاب من هو إله في السماء وإله في الأرض ❹ ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ أي:

(١) وهذا قول الكلبي، كما في تنوير المقباس ٤٧٩، والصحيح أنه منتمة مقولتهم للأنبياء (تفسير الطبري ٢٣/٥١٠).

(٢) هذا كلام من ينفي علو الله على خلقه، ويكفي في ضعفه أنه تقديرٌ لم يدل عليه سياق ولا أثر، ولو قبل هذا التقدير لكان لآخر أن يقدر شيئاً يوافق رأيه، ويحتج به ويجعله تفسيراً، وهكذا يدخل الدخيل في التفسير، وحسبك أن هذا مخالف للتفسير المأثور، وللمعروف عند السلف، ففي تفسير ابن عباس: عذاب من في السماء إن عصيته، (الكشف والبيان

يغور بها وبكم إلى الأرض السفلى ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ١٦ أي: تدور بكم إلى أسفل الأرضين^(١).

١٠٩/٢٧، تفسير السمعاني ١٢/٦) وهو قول الكلبي ومقاتل (كما في تفسير أبي الليث ٤٧٦/٣) فالله هو الذي في السماء، أي: علا عليها، فهو فوقها، كذا نقل الثعلبي عن المحققين (الكشف والبيان ١١١/٢٧) وهذا هو الصحيح.

ولم يكن أهل التفسير في أول الأمر يحتاجون للاستدلال على ذلك لشدة وضوحه، ولذا تلاحظ مثل الطبري لا يزيد على أن يقول: «أأنتم من في السماء، وهو الله» ثم يمضي، وهكذا قال مكّي بن أبي طالب: «أأنتم - أيها الكافرون - الله الذي في السماء أن يخسف بكم الأرض عقوبة على كفركم به»، وكذا قال من قبله الحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص ٣٥٠) ومثله تجد في تفسير البغوي وابن الجوزي وغيرهم، فلما جاء أبو منصور الماتريدي خاض في تأويل هذه الآية على نحو مخالف لما عليه السلف (تأويلات أهل السنة ١١٧/١٠)، وتبعه الوحيد في البسيط ٥٥/٢٢ وبني عليه الرازي، فتكلم على هذه الآية على هذا النحو، إلا أنه زعم أن ظاهر الآية يفضي إلى التشبيه فوجب تأويل الآية باتفاق المسلمين، وقال: واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله: «أأنتم من في السماء، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين... ثم أوّلها على وجوه أوّلها عنده: «أأنتم من في السماء عذابه (التفسير الكبير ٥٩٢/٣٠)، وهذا هو الوجه الذي ذكره المصنف، والعجب أنه يزعم اتفاق المسلمين على ذلك، فإما أن من قدمنا من أهل العلم ليسوا عنده من المسلمين أو أنه صاحب دعوى عريضة، وتوسع في الكلام، يبطل الثقة به، وهذا الذي ذكره هؤلاء هو قول الزمخشري في كشافه ٥٨١/٤ فتوافق المعتزلة والأشاعرة في تأويل هذه الآية.

وزعم الزمخشري والرازي وغيرهم من أهل التأويل أن من أوجه التأويل الصحيحة أن يكون المراد بمن في السماء الملائكة، ووجه صحة هذا عندهم أن الملائكة في السماء، وأن السماء منزلهم، ونسي هؤلاء أن الملائكة عند الله، كما قال تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين عند الرحمن﴾، وهذه قراءة الجمهور من الحجازيين والشاميين ويعقوب من أهل البصرة، فإذا كانت الملائكة - وهي عند الله - فوق السماء فيكون الله فوق السماء، مستوٍ على عرشه، على ما يليق بجلاله وعظمته، بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٠٠/٥.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارة من السماء
﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١٧) أي: عذابي وإنذاري لمن أبى عن توحيدي.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل كفار مكة رُسُلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨)
أليس وجدوا عذاب الله حقًا؟ والنكير: الشيء المنكر في غاية الإنكار^(١).

وحُذِفَت الياء من نكير ونذير لوفق رؤوس الآي.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ﴾ في الهواء غير معتمدات على أرجلهن؛ ولا
واضعات جنوبهن على شيء يحملهن، باسطات بأجنحتهن يضربن بالأجنحة كما
يضرب السابح في الماء ﴿وَيَقْبِضَنَّ﴾ أي: يضممن جناحهن إلى أنفسهن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (١٩).

قل لهم يا محمد: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ﴾ أي قوة ومنعة ﴿يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ
الرَّحْمَنِ﴾ أي: من عذابه ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠) في عبادة الأصنام.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ عنكم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ لَّجُوا فِي
عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١) أي: تمادوا في تكبرهم ونفرتهم من الدين^(٢).

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢)
قال الكلبي: هذا مثل ضربه في أبي جهل ومحمد، فأبو جهل كأنه يمشي مكبًا كما
تكب البهيمة، منكسًا رأسه، راكبًا في الغي، لا يرى يمينه ولا يسره، ولا يعرف قصد
الطريق، فهو أصوص طريقًا أم من يمشي سويًا على صراط مستقيم، وهو محمد
صلى الله عليه وسلم على منهج الإسلام^(٣).

(١) تفسير أبي الليث ٤٧٧/٣.

(٢) تفسير الطبري ٥١٤/٢٣.

(٣) البسيط ٦٠/٢٢.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ لكي تسمعوا الحق وتبصروه ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ ولتعلقوا بها ﴿فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ بنعمه وصنائه.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم من النطف والعلق وكثركم في الأرض ﴿وَالِيَهُ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ للجزاء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ وهو البعث والحساب، استهزاء بهم.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: علم الساعة ونزول العذاب كله عند الله ﴿وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣٠﴾ مخوف من العذاب، مفقه لكم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب ﴿زُلْفَةً﴾ قريبة، أقام الاسم مقام الفاعل ﴿سَيِّئَتِ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ساء العذاب وجوه الذين كفروا، يعني قبحت واسودت ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ أي: تفتعلون من الدعاء، أي هذا الذي كنتم تمنون.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ بالعذاب ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من اتبعني من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمْنَا﴾ فلم يُعَذِّبْنَا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ أي: ينصرهم.

﴿فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا:﴾ ف ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴿فِي جَمِيعِ مَا يَنْبُونَا﴾ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند نزول العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٣﴾ نحن أم أنتم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ يعني: ماء زمزم وغيره^(١) غائراً من الأرض.

(١) في الأصل: وبحيره، وهو تصحيف، تصحيحه من تفسير مقاتل ٣/ ٣١٣ حيث صدر عنه.

﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ ظاهرًا تناله الدلاء.

قال مقاتل: كل معين في القرآن ماءٍ جارٍ إلا هذا^(١).

قال ابن مسعود: مكتوب في التوراة: سورة الملك مَنْ قرأ في ليلةٍ فقد أكثر وأطيب، وهي المانعة تمنع من عذاب القبر^(٢).

وقال عبد الحميد الحاکمي -غفر الله له-: سمعت أبي رحمه الله يروي عن والده عن جده^(٣) بإسنادهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ مَنْ قرأ سورة الملك كل ليلة تدفع عنه عذاب القبر إذا مات»^(٤).

سمعت هذا الحديث وأنا ابن تسع سنين وضاع مني الإسناد.
والحديث المذكور في تفسير الرواس^(٥) عن أبي بن كعب.



(١) تفسير مقاتل ٣/٣١٣.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٦٠٢٥ والمستغفري في الفضائل ٩٥٧ بإسناد صحيح.

(٣) في الأصل: جدي، وهو تصحيف، لأن جده مذكور.

(٤) روى الترمذي في السنن ٢٨٩٠ عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: هي المانعة المنجية تنجي من عذاب القبر، ورواه المستغفري في الفضائل ٩٥٥.

(٥) في الأصل: البراس، وهو تصحيف.

سورة ن

مكية^(١)، وهي اثنتان وخمسون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿تَنْ﴾ قال ابن عباس: الحوت الذي عليها الأرضون^(٣).
وفي الخبر: «أنه لوح من نور»^(٤).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ١٢٩/٢٧، زاد المسير ٣١٨/٤.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد أي القرآن ٢٥٢).

(٣) وهي رواية الكلبي وأبي ظبيان عن ابن عباس (تفسير الطبري ٥٢١/٢٣، الكشف والبيان ١٣٢/٢٧)، وهو من قبيل الإسرائيليات، حيث رووا أن اسم الحوت يهيموت، أو يلوثا، أو لوثوثا، أو بلهوت، ذكر ذلك الثعلبي.

لفظ رواية أبي ظبيان: أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرئ بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السموات، ثم خلق النون فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحركت الأرض فمادت، فأثبت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض، قال: وقرأ: ﴿تَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١). وروايته هذه غريبة منكرة، تفرد بها الأعمش عنه، ولم أره في شيء من الطرق صرح بالسماع، وقد رواه بعضهم عن الأعمش فأسقط ذكر أبي ظبيان، فيكون الحديث منقطعاً (رواه الطبري ٥٢١/٢٣)، ومما يدل على نكارتة مخالفة سعيد بن جبير وعكرمة فيه، فقد روى ابن جرير عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس أنه قال: حروف الرحمن مقطعة، أو اسم مقطع (تفسير الطبري ٥٢٤/٢٣) وهذا هو الصحيح عن ابن عباس من جهتين: الأولى: رواية أصحابه المفسرين المشهورين عنه، الثانية: أنه المشهور عن ابن عباس في باقي الحروف المقطعة، والله أعلم.

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ٥٢٥/٢٣، وفيه فرات بن أبي الفرات وهو ضعيف الحديث (لسان الميزان ٣٢٥/٦)، والراوي عنه: محمد بن زياد الجزري كذاب (كتاب المجروحين ٢٥٠/٢).

وقيل: هي الدَّواة^(١).

وروى أبو صالح عن ابن عباس: هي السمكة التي تحمل الأرض، وتحت الحوت ثور، وتحت الثور صخرة، وتحت الصخرة الثَّرى، ولا يعلم ما تحت الثَّرى إلا الله عزَّ وجل^(٢).

قيل: أول شيء نزل من القرآن خمس آيات من سورة اقرأ ثم نزل ثانية ﴿تَنْزِيلَ الْقَلَمِ﴾ إلى قوله ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْمَفْتُونُ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٤) أي: ما يكتب بنو آدم بعضهم إلى بعض.

وأما القلم: قال قتادة: هو نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا القلم ما قام دين، ولم يصلح عيش.

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما خلق الله القلم ثم النون وهي الدَّواة»^(٥).

«وما يسطرون»: كرام الكاتبين الذين يكتبون أعمال بني آدم^(٦).

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾^(٧) هذا موضع القسم، أي: ما أنت يا محمد بحمد الله بمجنون كما يزعم أهل مكة.

وقيل: بنعمة ربك: بما أنعم الله عليك من العقل والنبوة والقرآن؛ فلست بمجنون.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾^(٨) أي: مقطوع، والمن: القطع.

(١) الكشف والبيان ٢٧/١٣٧.

(٢) وهو تفسير الكلبي، كما في تنوير المقباس ٤٨٠.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٠٣٤) وفي إسناده يحيى بن الغساني متهم.

(٤) وهو قول جميع المفسرين البسيط ٢٢/٧٣.

وقيل: لا يَمُنُّ عليك بهذا الأجر^(١).

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ قال سهل: خلقه آداب القرآن؛ أمرٌ ونهيٌ وعدلٌ وإحسانٌ وإيتاء ذِي الْقُرْبَىٰ والنهي عن الفحشاء والمنكر.

وسُئِلَت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: خلقه الآي العشر من أول سورة المؤمنين^(٢).

واجتمع في خلقه: السخاوة والألفة والنصيحة والشفقة.

﴿فَسَتُبْصَرُ وَتُبْصَرُونَ ٥﴾ أي: ستعلم يوم القيامة عند كشف الغطاء ويعلمون، يعني: هؤلاء الكفرة أيضًا.

﴿بِأَيْكُمُ الْمَفْتُونُ ٦﴾ أي: مع أيكم المفتون الجَنِّي الذي قد فتن حين أفسد بني آدم بالصرعة^(٣).

وقيل: هو مفعول قام مقام المصدر، كما قام المصدر مقام المفعول في قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ١١٢﴾ يعني المسموع.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ٧﴾ وهو أبو جهل ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٧﴾ لدينه، أبو بكر وأصحابه الذين سبقوا إلى الإسلام.

﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ٨﴾ وكان صناديد قريش يَدْعُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى استلام أصنامهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ٩﴾ أي: ودُّوا لو تلين لهم في دينهم فيلينون لك في دينك، وقيل: تمنُّوا أن تكفر أنت يا محمد فيكفرون ولا يؤمنون.

(١) تفسير السمعاني ١٧/٦.

(٢) أصله في صحيح مسلم ٧٤٦، ورواه الحاكم في المستدرک ٣٩٣/٢ بلفظ المصنف.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/٥٣٠، معاني القرآن، للزجاج ٥/٢٠٥، الكشف ٤/٥٨٥.

﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (١) ضعيف القلب، وهو الوليد بن المغيرة.

وقيل: كان يحلف كاذبًا ويجعل الله عُرْضَةً لِيَمِينِهِ. والمهين: الحقير (١).

﴿هَمَّازٍ﴾ وهو الذي يغتاب الناس وكذلك اللّماز ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (١١) يمشي بالنميمة بين الناس لِيُفْسِدَ بَيْنَهُمْ.

﴿مَنَاعٍ لِلْحَيْرِ﴾ يمنع عن الإسلام أهله وبنى أخيه.

وقيل: شحيح بماله، وكان موسرًا، وله عشر بنون، فكان يقول لهم: مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ مِنْعَتُهُ رَفْدِي ﴿مُعْتَدٍ﴾ غشوم ظلوم عند القدرة على عباد الله ﴿أَثِيمٍ﴾ (١٢) فاجر بربه.

﴿عُتْلٍ﴾ شديد الخصومة، الجافي الخلق، لئيم الضريبة.

وقيل: رجب البطن أكل شروب ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي مع هذه العيوب ﴿زَنِيمٍ﴾ (١٣) والزّينم الملتصق بالقوم دعي ليس منهم.

قال الشاعر:

زَينم ليس يُعْرِفُ مَنْ أبوه بغى الأم ذو حسبٍ لئيم (٢)

قوله: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنِينٍ﴾ (١٤) معناه: بأن كان ذا مالٍ كثيرة جعل مجزاة هذه

النعمة:

﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٥) أحاديثهم وأكاذيبهم.

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٨١.

(٢) البيت غير منسوب، وهو في: تفسير الطبري ٢٣/ ٥٣٧، البسيط ٢٢/ ٨٧، الجامع لأحكام

القرآن ١٨/ ٢٣٤.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾^(١) يعني: الأنف، والخرطوم أنف البهائم والسباع، وهو عبارة عن الوجوه، أي: يسود وجهه وتزرق عيناه، مكوي الوجه، مغلولاً في الحديد^(٢).

قيل: دخول النار، يُقال: سنسمه وسماً^(٣) لا يفارقه أبد الدهر، وهو ما ذكره الله تعالى في القرآن: تعبيره من العيوب في القرآن بقي وسماً على أنفه إلى يوم القيامة. وإنما ذكر الأنف لأن الكي على الأنف أفحش^(٤).

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يعني: أمرنا هؤلاء الكفار بمتابعة الرسول كما أمرنا أصحاب الجنة بالشكر لله تعالى على ما أعطاهم؛ والتقرب إليه بالمواساة مع الفقراء من ثمرها؛ فتركوا أمر الله تعالى.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾^(٥) وأقسموا أن يصرموها إذا أصبحوا، أي: تحالفوا أن يقطعوها عند الصباح قبل خروج الفقراء ﴿وَلَا يَسْتَنْوَنَ﴾^(٦) أي: تركوا الاستثناء وهو كلمة: إن شاء الله.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ بالليل ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيرِ﴾^(٧) كالليل الأسود المظلم، سمى الليل والنهار كلاهما صريماً، كل واحد يتصرم عن الآخر ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾^(٨) إذ نادى بعضهم بعضاً وقت الصباح:

﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾^(٩) بستانكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١٠) الثمار والزروع قبل علم

(١) الكشف والبيان ٢٧/٢٠٨.

(٢) في الأصل: نسما، وهو تصحيف.

(٣) قال الواحدي (في البسيط ٢٢/٩٥): وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة ولا يعلم أن الله عز وجل وصف أحداً وصفه له، ولا بلغ من ذكر عيوبه ما بلغه من ذكرها عنه؛ لأنه وصف بالحلف، والمهانة، والغيب للناس، والمشي بالنمائم، والبخل، والظلم، والإثم، والدعوة؛ فالحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة. كالوسم على الخرطوم وأبين ما يكون في الوجه.

المساكين.

﴿فَانْطَلِقُوا﴾ إلى البستان ﴿وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ يتسارون فيما بينهم.

﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ ﴿٢٤﴾ سائل.

﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: قصد ﴿قَادِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ في زعمهم.

وقيل: على منع من الثمار، يُقال: حاردت السنة إذا منعت خيرها^(١).وقيل: «حرد»: غضب، «قادرين»: مقدرين إحراز^(٢) ما في جنتهم دون الفقراء.

﴿فَإِنَّمَا رَأَوْهَا﴾ يعني: الجنة محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ أخطأنا الطريق، فلما

أمعنوا النظر عرفوها، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ حرمانا ثمرة جنتنا ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾

أعدلهم قولا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ﴾ لا تحرموا ولا تمنعوا الفقراء حقوقهم ﴿وَلَا تُسَبِّحُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

الله وتعظمونه وتستغفرون من سوء نياتكم، وهذا عن ابن سهل^(٣).وقال الكلبي ومقاتل: لولا تستننون في قسمكم^(٤).

﴿قَالُوا﴾ حيثئذ ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ تنزيها له ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ لأنفسنا بترك حقوق

الفقراء.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ أي: لام بعضهم بعضا ﴿قَالُوا يَكُونَلَنَا إِنَّا كُنَّا﴾

﴿طَالِعِينَ﴾ ﴿٣١﴾ في نعمة الله بما أعطانا من رزقه، ثم رجعوا [إلى] أنفسهم ورجوا من الله

العقبى بما أصابهم، وقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ بعد توبتنا في الدنيا ﴿إِنَّا

إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ في عطاياه.

(١) البسيط ٢٢/١٠١، وقد تصحف في الأصل.

(٢) في الأصل: إحراد، وهو تصحيف.

(٣) كذا في الأصل، وأظن الصواب: عن أبي سهل.

(٤) البسيط ٢٢/١٠٦.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ في الدنيا لمانع الزكاة ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٣).

﴿إِنَّ لِمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (٣٤) كلمة «عند» كلمة ضمان في العرف.

﴿فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) استفهام بمعنى الإنكار^(١).

وكان الكفار يقولون: إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن وإياهم في الوعد سواء،

فنزل ﴿فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥).

﴿مَا لَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦).

﴿أَمْ لَكُمْ﴾ أهل مكة ﴿كِتَابٌ﴾ من الله ﴿فِيهِ تَذَرُوسُونَ﴾ (٣٧) وتقرؤون ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا

تَخَيَّرُونَ﴾ (٣٨) تستهون ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾ عهود وثيقة محكمة: لا ينقطع عهدكم

إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ (٣٩) بأنا وعدناكم عدة تقضوا بها لأنفسكم.

﴿سَلِّمُوا﴾ يا محمد ﴿إِنَّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (٤٠) كفى، بأن لهم في الآخرة مثل ما يكون

للمؤمنين.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ شهدوا على ما قالوا ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ بشهادتهم.

وقيل: أراد بالشركاء الأصنام، أي: فليأتوا بأصنامهم لكي تحتج لهم^(٢)

وتمنعهم من عذاب الله ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٤١) أن دينهم الحق.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي: عن شدة من الأمر، والمراد: اشتد به أمره كشف

عن ساقه، وقيل: يكشف عن ساق العرش^(٣).

﴿يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) السجود، وصارت أصلاهم

(١) والتوبيخ والتقرير عند الزجاج (معاني القرآن ٥/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: بهم.

(٣) والثاني غريب، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٠، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٨٥.

كصياصي البقر.

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة عند عيان الموت؛ أو مُعَايِنَةُ عَذَابِ النَّارِ ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تَعْلُوهُمْ كَأَبَةٍ ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ ١٢ ﴿أَصْحَاءُ فَلَمْ يَجِيبُوا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْإِقَامَةَ فَلَا يَقُومُونَ إِلَى الصَّلَاةِ.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٣ ﴿سَنَأْخُذُهُمْ بِالْعَذَابِ دَرَجَةً دَرَجَةً، كُلَّمَا جَدَّدُوا مَعْصِيَةَ جَدَّدْنَا لَهُمْ نِعْمَةً، وَنُنْسِيهِمُ الشُّكْرَ وَالِاسْتِغْفَارَ.

﴿وَأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ﴾ ١٤ أي: عَذَابِي فِي الْآخِرَةِ شَدِيدٌ.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: تَسْأَلُ أَهْلَ مَكَّةَ عَنِ التَّبْلِيغِ أَجْرًا ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ﴾ فِي مَغْرَمِهِمْ وَمَا يُلْزِمُهُمْ مِنَ الدِّيُونِ ﴿مُتَّقِلُونَ﴾ ١٥ ﴿عَنِ الْإِجَابَةِ، وَقِيلَ: عَنِ الْغَرَمِ.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أَمْ بِأَيْدِيهِمُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ١٦ ﴿مِنْهَا مَا يَحَاجُونَكَ.

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ قَلْبِكَ﴾ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴿يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿إِذْ نَادَى﴾ أي: دَعَى اللَّهَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ١٧ ﴿مَمْلُوءٌ غَمًّا﴾ ١٨، وَقِيلَ: سَاخَطَ عَلَى قَمَا مَلِكٍ فِي زَمَانِهِ ٢١ إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَى نِينَوَى.

وَنَدَاؤُهُ: أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُوهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّي﴾ أي: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَّ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ ﴿لَنِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ وَهُوَ الصَّحْرَاءُ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ١٩ ﴿مَلُومٌ، وَالْعَرَاءُ: الْمَكَانُ الَّذِي لَا نَخْلُ فِيهِ

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٥٣.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: سَاخَطَ عَلَى مَلِكٍ فِي زَمَانِهِ... الخ.

ولا شجر، ولكن الله رحمه ونبذه بالعراء غير مذموم.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ بالتوراة والنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المرسلين.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ أي: قد كادوا ليصيبونك بأعينهم ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ لأنهم لم يجدوا حيلة في دفع رسول الله عن أنفسهم إلا هذا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: عظة وتخويف للعالمين.

وكان الكفار قصدوا أن يصبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينهم بغضا له، وكان العرب يقولون: نظر إليّ فلان نظرة كاد يأكلني، وكان الرجل إذا حسد إبلًا لرجل أراد أن يعينها بعينه يجوع ثلاثة أيام، ثم نظر إلى إبله وقال: لم أر كالיום إبلًا^(١)، فيصيبها بالعين.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العين حق، فإذا رأى أحدكم ما يعجبه فليبرك»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: «لو كان شيء سبق القدر؛ لسبق العين القدر»^(٣).

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة ن أعطاه الله ثواب الذين حسنت أخلاقهم»^(٤).

(١) أي: كهذه الإبل.

(٢) رواه أحمد في المنسند ١٥٧٠٠.

(٣) رواه مسلم في الصحيح ٢١٨٨.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/١٣٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٥.

سورة الحاقة

مكية^(١)، وهي اثنتان وخمسون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢﴾ قال محمد بن مروان^(٣): سُمي اليوم الحاقة لأن فيه حق للمؤمن جزاء عمله، وللكافر جزاء عمله.

وقال الكلبي: الحاقة الساعة، ما الحاقة: تعظيم لأمر القيامة^(٤).

ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾ أي شيء أعلمك أمر القيامة؟ وهذا تفخيم ثانٍ.

ولأن اسم الحاقة لم يكن من نبأ لأن نبأ قوم، ثم ابتدأ ذكر التعظيم؛ وقال: ما الحاقة تهويلًا للسامعين^(٥).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ۝٤ قوم صالح ۝٥ وَعَادُ ۝٦﴾ قوم هود ﴿بِالْقَارِعَةِ ۝٧﴾ سُميت القيامة قارعة لأنها تفرع القلوب^(٦).

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٧ / ٢٧١، زاد المسير ٤ / ٣٢٨.

(٢) إلا في البصري والشامي فأية (البيان ٢٥٣).

(٣) هو السدي الصغير، انظر: الكشف والبيان ٢٧ / ٢٧٤، البسيط ٢٢ / ١٢٨.

(٤) قارن مع تنوير المقياس ٤٨٢.

(٥) كذا في الأصل، وهو بمعنى ما نقل عن أهل المعاني أنهم قالوا: إنما قيل له: وما أدراك ما الحاقة مع أنه يعلمها؛ لأنه إنما يعلمها بالصفة، فقيل تفخيماً لشأنها: وما أدراك ما الحاقة، أي: كأنك لست تعلمها إذا لم تعانها؛ ولم تر ما فيها من أهوالها (معاني القرآن للزجاج ٢١٣ / ٥، البسيط ٢٢ / ١٣٢، معالم التنزيل ٨ / ٢٠٤).

(٦) وهو قول المبرد، كما في البسيط ٢٢ / ١٣٣، وتفسير السمعاني ٦ / ٣٤.

ثم ذكر عذابهم وقال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝﴾ بعذاب طغى وعلا عليهم، وهو صيحة جبريل.

وقيل: بطغيانهم أقام الفاعل مقام المصدر، أو هو مصدر على لفظ الفاعلية كالعاقبة واللاغية.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝﴾ شديدة عنت على خزائنها، تحرق إحراق النار من شدة بردها.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ۝﴾ أي: سلطها ﴿وَكُنُوزَهُمْ أَشَدُّ حُسُومًا ۝﴾ دائمة متتابعة كتتابع الكي على المقطوع ينحسم دمه، وكل شيء متتابع حاسم، والجمع: حسوم كشاهد وشهود^(١).

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ۝﴾ هلكى وموتى في هذه الأيام ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝﴾ أصول نخل ساقطة متعلقة، قد خوى مكانها، وخويت من مكانها أي: خلا.

وقيل: خاوية بالية^(٢). ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝﴾ أي: نفس باقية.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ۝﴾^(٣) قومه، «ومن قبله»: بفتح القاف من الأمم الماضية^(٤).

﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ ۝﴾ المقلوبات قرياتهم؛ وهم قوم لوط ﴿بِالْحَاطَةِ ۝﴾ الخطأ الذي أصرُّوا عليه.

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧٣، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٤.

(٢) البسيط ٢٢/ ١٤٢.

(٣) ضبطها في الأصل: قبله، وعلي هذا الضبط جاء التفسير، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب والكسائي، وقرأ الباكون كما أثبت في الرسم (النشر ٢/ ٣٨٩).

(٤) الكشف والبيان ٢٧/ ٢٨٥، البسيط ٢٢/ ١٤٣.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ فرعون وقومه وقوم لوط، جحدوا رسل الله ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ (١٠) زائدة على الأخذات.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ على خُزَّانِهِ في زمن نوح ﴿حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١) أي: السفينة ﴿لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ أي: قصة السفينة، وقيل: عينُ السفينة تذكرة عن سفينة نوح ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ (١٢) أي: تحفظ هذه الصنعة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) وهي النفخة الأولى (١).

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿فَذُكَّتَا ذَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (١٤) فُضِرَتِ الجبال عن الأرض فذُكَّتَا ذكةً واحدة؛ حتى صيرتا غباراً، وهذا الذُّقُّ إنما يكون للجبال التي من الصخور، فأما ما كان من الرمل فهو يسير على وجه الأرض سير السحاب، حتى تصير هباءً مثوراً فتستوي الأرض.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٥) قامت القيامة، ووجبت المحاسبة من الله، والمُجازاة بالأعمال.

﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ لهيئة الرحمن ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦) ضعيفة متمزقة من الخوف بعد ما كانت مُحكمة.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: مَنْ بقي من الملائكة بعد الصَّيْحَةِ ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أطراف الأرض (٢)، وهي رجاً مقصور، ورجوان، وجمعه الأرجاء (٣). ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: فوق رؤوسهم.

(١) في قول ابن عباس، وهو الصحيح، وفي قول الكلبي ومقاتل: الثانية (البسيط ١٥٣/٢٢).

(٢) وعن السعيد بن جبير وابن المسيب: أرجاء السماء، وهي رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٥٨٢/٢٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢١٦/٥، البسيط ١٥٦/٢٢.

وقيل: فوق كواهلهم ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَنٌ ۝١٧﴾ أعداد من الملائكة.

وحَمَلَةُ العرش اليوم أربعة^(١)، لكل واحد صُور أربعة، وَجْهُ إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر. وقيل: وجه فرس مكان ثور^(٢).

وكل صورة تدعو للخلق الذي هو على صورته.

وقيل: ثمانية أراد ثمانية أجزاء من الملائكة، لأن الملائكة تسعة أجزاء، فثمانية أجزاء منها الكروبيون يحملون العرش^(٣).

﴿يَوْمَئِذٍ تَعْرُضُونَ﴾ على الله ثلاث عرضات: عرض للحساب والمقادير^(٤)، وعرض للخصومات والقصاص، وعرض لتطهير الكتب^(٥).

﴿لَا تَخَفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ على الله، أي: مستورة.

ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وفيه حسناته ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ۝١٩﴾ أي: تعالوا يا أهل القيامة، تقول العرب: ها يا رجل وهاؤما لرجلين، وهاؤم للجماعة^(٦).

﴿إِنِّي طَنَنْتُ﴾ أي: علمتُ وأيقنت في الدنيا ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ۝٢٠﴾.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١﴾ في الجنة يرضاه.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾ رفيعة الغرف.

(١) وهو قول ابن إسحاق، رواه عن ابن جرير في التفسير ٢٣ / ٥٨٤.

(٢) وهذا من قول وهب بن منبه (تفسير أبي الليث ٣ / ٤٩٠) فهو من الإسرائيليات المنكرة.

(٣) الكشف والبيان ٢٧ / ٢٨٥، البسيط ٢٢ / ١٤٣.

(٤) كذا في الأصل، وفي تنوير المقباس وتفسير أبي الليث: المعاذير. وكلاهما صحيح.

(٥) وهو تفسير الكلبي، كما في تنوير المقباس ٤٨٣، وتفسير أبي الليث ٣ / ٤٩١.

(٦) البسيط ٢٢ / ١٦٥ ..

﴿قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣) واحدها قطفٌ، أي: ثمرها قريبة.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: عملتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤) في الدنيا.

قال الكلبي وابن عباس: نزلت في الصَّائمين خاصَّةً^(١). وقيل: على العموم^(٢).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ وفيه سيئاته ﴿فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً﴾ (٢٥) بشمال، يتحسّر على فوت كتابه يميناه، ولا تنفعه الحسرة.

﴿وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةً﴾ (٢٦) يتمنى أنه لم يُبعث ولم يُحاسب.

﴿يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) يا ليت الصيحة التي أخرجتني من القبر كانت هلكة وموتة لا حياة بعدها.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ (٢٨) لم ينفعني كثرة المال.

﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٩) ذهب عني حُجَّتِي.

ويقول الله تعالى للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (٣٠) يديه إلى عنقه.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٣١) أدخلوه فأحرقوه.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) أدخلوه في دُبُرِه وأخرجوه من

فَمِه، ثم يلوي فَضْل السلسلة على عنقه، والسلسلة سبعون ذراعًا، كل ذراع سبعون باعًا، والباع ما بين مكة والكوفة، ذكره الكلبي في تفسيره^(٣).

(١) البسيط ١٧٣/٢٢.

(٢) وهو الصحيح.

(٣) تنوير المقباس ٤٨٤، وعن نوف البكالي نحوه كما في تفسير الطبري ٥٨٩/٢٣، والبسيط

١٧٨/٢٢، فقد يكون الكلبي أخذه منه.

قال ابن عباس: لو وُضعت حلقة منها على ذُرْوَةِ جبل لذاب كما يذوب الرصاص^(١).

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ أي: لا يحث نفسه ولا غيره على برّ الفقراء.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) أي: قريبٌ شفيعٌ.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ (٣٦) وهو غسالة أهل النار؛ ما يسيل من أجسامهم من القيح والصدید فهو طعامهم وشرابهم.

﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٧) الذين أخطؤوا طريق الهدى والتوحيد.

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) أي: أقسم بما تبصرون من أمر الدنيا ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩) من أمر الآخرة.

وقيل: بما تبصرون من صناعي وما لا تبصرون من برّي لأوليائي.

وقال الجنيد: ما تبصرون من آيات الرسالة على حبيبي وما لا تبصرون من سرّي معه^(٢).

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) ما تسمعون من محمد من الوحي قول رسول كريم، وهو جبريل، جاء به من عند الله، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمداً ساحرٌ، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عقبة: كاهن؛ فأقسم الله تعالى بالدنيا والآخرة أنه وحيٌّ يُوحى إليه، وبرّاه مما قاله أعداء الله^(٣).

(١) من رواية مقاتل (البيضا ١٧٩/٢٢).

(٢) هذه الأقوال وغيرها في الكشف والبيان ٣١٨/٢٧.

(٣) تفسير أبي الليث ٤٩٢/٣.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤١﴾ أي لا تصدقون به أنتم ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ أي: لا تذكرون فتعتبروا ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ على سيد الجن والإنس أجمعين صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: بعض ما يُلقَى إليكم من الوحي ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: بالقوة والقدرة^(١).

وقال أبو سهل: أخذنا منه يمينه، أقام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء يمينه^(٢).

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ والوتين: حبل القلب، والمعنى: لو فعل غير ما أُمر لعُذِّبَ بعذابٍ كان فيه هلاكه.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَكِيزِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ أي: ما منكم من أحدٍ يحجز عنه العذاب إذا عُدِّبَ، عن الأخفش^(٣).

﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَتَذَكُّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ أي: عِظَةٌ للمتقين والمتعظين. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿مُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ بما أنزل الله، ومنكم من يعلم أنه الحق فيجحدُه عمدًا للحسد.

﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ يوم القيامة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ يندمون على ترك الإيمان به.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿٥١﴾ أي: هو كلام الله تعالى يقينًا.

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٥٩٢.

(٢) حكاه الطبري في تفسيره ٢٣ / ٥٩٣.

(٣) وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢٣ / ٥٩٤، الكشف والبيان ٢٧ / ٣٢٣).

ثم خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: سبِّح ربك العظيم باسمه.

وقيل: اذكر اسم ربك بالتوحيد.

وقيل: الاسم زائدة، معناه: نَزَّه ربك العظيم وعَظَّمَهُ وَمَجَّده، عن ابن سهل^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة الحاقة لم يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(٢).



(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أبي سهل.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧ / ٢٧٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٣.

سورة سأل سائل

مكية^(١)، أربع وأربعون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ﴾ يعني دعا داع من الكفار على نفسه بعذاب، ذلك العذاب ﴿وَاقِعٌ﴾ لا محالة.

وهو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء؛ فنزل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣).

﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ على الكافرين ﴿لَيْسَ لَهُ﴾ أي العذاب ﴿دَافِعٌ﴾ إذا نزل، فنزل العذاب به فقتل صبراً يوم بدر.

﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي: لا مدفع لله، وهو ذو المعارج، وهي: السماوات والحُجُب، والمعارج: مواضع العروج^(٤).

ثم وصف المعارج فقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ واحد ثم ابتداء وقال: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٥) تمييزه: عزه^(٥).

والروح ها هنا جبريل، ذكره الكلبي في تفسيره^(٦).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/ ٣٢٧، زاد المسير ٤/ ٣٣٥.

(٢) وفي الشامي: ثلاث، (البيان في عد آي القرآن ٢٥٤).

(٣) الكشف والبيان ٢٧/ ٣٣١، البسيط ٢٢/ ٢٠٠، وعن مجاهد نحوه، رواه الطبري ٢٣/ ٥٩٦،

دون أن يسمى النضر.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٠.

(٥) كذا في الأصل.

(٦) وهو قول الأكثرين (زاد المسير ٤/ ٣٣٦).

وقال أبو سهل: تمام الكلام عند قوله: «تخرج الملائكة»، «والروح إليه» صفة عروج الملائكة^(١).

ثم ذكر وقوع العذاب بالكفار فقال: «في يوم» أي: العذاب نازل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة^(٢)، حتى يفصل الله بين الخلائق، ولولا ذلك لكان لذلك اليوم غاية تفنى فيها الجنة والنار، ولكن يوم القيامة له أوّل وليس له آخر.

وقيل: معنى الآية أن لو وُلّي محاسبة الخلق إلى غير الله لم يتفرّغ منه في خمسين ألف سنة^(٣).

ثم عزّى رسوله وقال: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ الصبر الجميل: هو الرضى بغير الشكوى، خاضعًا لا يسخط.

كما قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ أي: الكفار يرون العذاب بعيدًا غير كائن ﴿وَنَزَلَهُ قَرِيبًا﴾ ثم بين وقته فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ يعني: الفضة المذابة تسيل سيلًا حتى تشق وتصير أبوابًا وخروفاً، ثم تزول عن مكانها. ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ ذات ألوانٍ الصوف التي تطيره الرياح.

(١) وهذا قول غريب، ولم يذكره أصحاب الوقف، لا ابن الأنباري ولا الداني. والصحيح ما ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ٦٠٠: وقوله: ﴿تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: تصعد الملائكة والروح، وهو جبريل عليه السلام إليه، يعني إلى الله جل وعز، والهاء في قوله: «إليه» عائدة على اسم الله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يقول: كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره، من فوق السموات السبع.

(٢) فيكون يوم من صلة واقع، وهذا جوزه الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٢٠، ولكن قول أهل التفسير على خلافه، كما سبق وذكرناه عن الطبري، وانظر: الكشف والبيان ٢٧/ ٣٣٨.

(٣) وهو قول الكلبي، كما في الكشف والبيان ٢٧/ ٣٤٠، وهو بعيد.

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾^(١) ابن كثير: برفع الياء، والباقون بفتح الياء^(١).

ومعنى الضم: لا يسأل قريب عن ذي قرابة، ومعنى الفتح: أن يرى الإنسان أباه وأُمَّه وزوجته وقريبه فلا يسأله النَّصْر لما دخله من الخوف^(٢).

﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ قال قتادة: يعلمون ويعرفون^(٣) يوم القيامة قومٌ قومًا وناسٌ ناسًا، ولا يكلموهم من هول يوم القيامة^(٤).

وقال الزجاج: يُبْصِرُ الملائكة بمعرفة المجرمين بأسمائهم وأنسابهم^(٥).

ثم قال: ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنى الكافر ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾ نفسه ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾^(٦) بجميع أولاده ﴿وَصَحْبِهِ﴾ أي: زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾^(٧) من أبيه وأُمَّه ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي ثَوَّيَهُ﴾^(٨) أي: عشيرته التي تنتهي إليه وتحوزه في المأوى ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني أهل الدنيا ﴿ثُمَّ يُجْزِيهِ﴾^(٩) ذلك من عذاب الله لافتدئ بهم.

ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا ينجيه الافتداء بجميع ذلك، ثم وصف عذابهم فقال: ﴿إِنَّهَا لَطَفٌ﴾^(١٠) اسمٌ من أسماء النار، وهي مأوى الكفار ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾^(١١) قلاعة للأطراف وللأعضاء ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾^(١٢) يعني: أدبر عن التوحيد وأعرض عن الإيمان، لأن النار تقول يوم القيامة: إِلَيَّ أهلي إِلَيَّ هلي.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾^(١٣) أي: جمع ماله من الحرام، وأَوْعَى جمعه في الأوعية، ولم يُؤدِّ

حق الله عنه.

(١) بخلف عن ابن كثير، وكذا قرأ أبو جعفر (النشر ٢ / ٣٩٠).

(٢) تفسير الطبري ٢٣ / ٦٠٥، معاني القرآن للزجاج ٥ / ٢٢٠.

(٣) في الأصل: يعلمن يعرفن، والتصحيح من تفسير الطبري ٢٣ / ٦٠٥.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٢٣ / ٦٠٥.

(٥) هو في معاني القرآن له ٥ / ٢٢٠ مختصرا.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝﴾ ضجورًا بخيلًا جزوعًا.

وقيل: تفسيره ما ذكره الله ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝﴾ أي: هلعٌ جزعٌ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾ أي ممنعٌ.

وقيل: الهلوع دعاءٌ عند المحنة نساءٌ عند النعمة^(١).

﴿إِلَّا الْمُصْلِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝﴾ لا يغفلون عن أدائها في مواقيتها ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝﴾ أي: حظٌ معروف جعلوا ذلك على أنفسهم يؤدُّونه ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝﴾ الذي ليس بمرزوق^(٢).

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحروم فقال: «هو الذي يحمل نخل الناس ولا يحمل نخله، ويزكوزرع الناس ولا يزكوزرعه»^(٣).

﴿وَالَّذِينَ يَصَّدَّقُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝﴾ للجزاء ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۝﴾ خائفون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝﴾ أي: لم يأمنهم منه أمان فكيف يُقَصِّرون في أداء حقه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ ۝﴾ عن الفواحش ولا يرسلونها ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ ۝﴾ الأربع ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ۝﴾ من جواربهم ما شاءوا ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝﴾ على الحلال ﴿فَمَنْ أَبْغَىٰ ۝﴾ أي طلب لفرجه ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ ۝﴾ من الفساد ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝﴾ المتجاوزون الحدَّ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝﴾ والأمانات: ما يأتمنهم الله عليها من أمر

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٦١١، الكشف والبيان ٢٧ / ٣٥٧.

(٢) وأطال الطبري في رواية الأقوال الواردة فيه (تفسير الطبري ٢٣ / ٦١٤).

(٣) غريب، وقد ذكره أبو منصور في تأويلات أهل السنة ١٠ / ٢٠٨، ولم أقف عليه، ولا ذكره السيوطي في الدر المنثور.

دينهم، وما ائتمنوا عليه من حقوق العباد وعهد الله في شرائعه، يرعونه ويحفظونه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يقومون بأدائها ولا يكتُمونها وإن كانت على أنفسهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ منعمون.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ مسرعين إليك عامدين نحوك.

وقيل: مهطعين ناظرين إليك بالعداوة.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّينَ ﴿٣٧﴾﴾ حَلَقًا حَلَقًا، وجماعة جماعة، والعِزَّة: طائفة، وجمعه عزون^(١).

﴿يَطْمَعُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون: إن كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فنحن ندخلها قبلهم.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ﴿٣٩﴾﴾.

ثم ابتداء وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من النُّطْفِ والعَلَقِ والمَضْغِ، وَمِنْ حُكْمِنَا أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَصَالِحِ الْعَمَلِ، فَلَمْ يَطْمَعُوا فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ كَفَّارٌ.

وقيل: إنا خلقناهم مما يعلمون ويعقلون، أي: من جنس العقلاء، فلم تركوا العمل بالعقل.

و«ما» في هذا القول بمعنى «مَنْ»^(٣).

(١) الكشف والبيان ٢٧ / ٣٦٤.

(٢) وهو تام (المحتسب ٢٢ / ٢٣٥).

(٣) تفسير أبي الليث ٣ / ٤٩٧.

﴿فَلَا أَقْسِرُ رِبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فالمشارك مائة وثمانون مشرقاً والمغرب كذلك، أقسم الله بنفسه، وقال: ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ مقتدرون.
 ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أطوع وأعقل وألزم لأمري ﴿وَمَا لَنَا بِمَسْبُوقِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ عاجزين إن أردنا ذلك.

﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ أمرٌ بمعنى الوعيد يخوضوا في الباطل ويلهوا عن طاعتي وتوحيدي ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ﴾ أي: يُعَانِنُوا يومهم ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ يُخَوِّفُونَ من عذابه.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ جمع سريع ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يعني: إلى علم منصوب لهم يُسرعون^(١).
 وقرأ: «إِلَىٰ نُصُبٍ» إلى أصنام^(٢).

﴿خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة عند معاينة النار أبصارهم ﴿تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ وهو انحناء ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ يُخَوِّفُونَ به، فلم يؤمنوا.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين لأماناتهم وعهدهم راعون»^(٣).

(١) هذا التفسير على قراءة: نُصُبٍ، بفتح النون وجزم الصاد، وهي قراءة الجمهور إلا ابن عامر وحفصا، فإنهما قرآ كما أثبت (النشر ٢ / ٣٩١).

(٢) البسيط ٢٢ / ٢٣٨.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧ / ٣٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٧.

سورة نوح

مكية^(١)، ثمان وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ هو نوح بن لمك، ونوح بالسريرية الساكن سكنت إليه الأرض في طول المدة.

﴿أَنْ أُنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو الطوفان.

﴿قَالَ نُوحٌ﴾ يَقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ ﴿من العذاب﴾ مُبِيرٌ ﴿مُفْهِمٌ﴾ بلغه تعرفونها.

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ فيما نصحت لكم ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ في الشرك ﴿وَيُخْرِجَكُمُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى مُتَهَيِّ آجالكم حتى تموتوا غير ميتة المُستأصلين بالعذاب ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني به العذاب في الدنيا، وهو الغرق.

فلما كذبوا برسالته ولم يؤمنوا وأقام فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا فلم يُصَدِّقوه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ إلى التوحيد ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ ﴿إِلَى التَّوْحِيدِ﴾ إِلَّا فِرَارًا ﴿وَتَبَاعَدًا﴾ مِنَ الْإِيمَانِ ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إِلَى التَّوْحِيدِ ﴿لَتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ يَا رَبِّ ﴿جَعَلُوا أَصْدِعَهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا دعائي ﴿وَأَسْتَغْشُوا شِيَابَهُمْ﴾ غَطُّوا رُؤُوسَهُمْ بِشَابِهِمْ حَتَّى لَا يَرُونِي ﴿وَأَصْرُوا﴾ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجَهَالَتِهِمْ ﴿وَأَسْتَكَبَرُوا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿أَسْتَكَبَرَا﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿عَلَانِيَةً﴾ ثُمَّ

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/٣٨٣، زاد المسير ٤/٣٤١.

(٢) في الكوفي، وتسع في البصري والشامي، وثلاثون آية في المدينيين والمكي (البيان في عدد آي القرآن ٢٥٥).

إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ ﴿١﴾ أَظْهَرْتُ الْحُجَّةَ وَالْبَيِّنَاتِ عَلَى تَوْحِيدِي ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ﴿٢﴾
أي: دعوت بعضهم دون بعضٍ في السرِّ.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿٣﴾ ﴿لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ يَغْفِرُ لِلتَّائِبِينَ، وَإِنْ تَبَتُّمُ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿٤﴾ ﴿مُتَابِعًا عِنْدَ الْحَاجَةِ﴾ ﴿وَيُؤَمِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ ﴿٥﴾ ﴿أَيَّ إِبِلٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ﴾ ﴿وَنَبَاتٍ﴾ ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٦﴾ ﴿أَيَّ: بَسَاتِينَ﴾ ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿٧﴾
تجري لمنافعكم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿أَيَّ: لَا تَخَافُوا عَظَمَةَ اللَّهِ﴾.

الوقار هاهنا معناه العظمة، وهو سعة القدر، وأصله: ثبوت ما به الشيء يكون عظيمًا من الحلم والعلم^(١).

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ﴿٩﴾ ﴿أَيَّ: نَقَلَكُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؛ مِنْ نَظْفَةٍ إِلَى عِلْقَةٍ ثُمَّ إِلَى مُضْغَةٍ. وَقِيلَ: صَبِيًّا ثُمَّ شَبَابًا ثُمَّ شَيْخًا﴾^(٢).

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿١٠﴾ ﴿مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مِنْهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَ مِائَةِ عَامٍ، وَغِلَظَ كُلُّ سَمَاءٍ كَذَلِكَ﴾.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَالْقَمَرُ وَإِنْ كَانَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فَجَازَ إِضَافَتَهَا إِلَى الْكُلِّ لِأَنَّ سَمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ جُمْلَةِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، فَمَا جُعِلَ فِيهَا كَانَ فِيهِنَّ﴾^(٣).

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ﴿١٣﴾ ﴿يَعْنِي: أَنْبَتَكُمْ [جَعَلَكُمْ] تَنْبُتُونَ نَبَاتًا﴾^(٤).

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٢٩/٥، البسيط ٢٢/٢٥٥.

(٢) وأهل التأويل على الأول (تفسير الطبري ٢٣/٦٣٦)، والثاني ضعيف، لأنه ليس كلهم ينتقلون في هذه الأطوار بخلاف الأول.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/٦٣٧.

(٤) لا بد من الزيادة كي يتم المعنى، وهي في معاني القرآن للزجاج ٢٣٠/٥.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ عند النفخة الآخرة.
 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ مُمهِّدًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾
 طُرُقًا بَيِّنَةً وَاسِعَةً.

والفجج: هو المسلك بين الجبلين، وجمعه فججاج^(١).
 وقيل: فججاجًا مختلفةً.

فلما لم يجيئوه ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمَ عَصَوْنِي﴾ فيما دعوتهم إليه ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ
 مَالَهُ، وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١﴾ يعني كبراءهم وأشرافهم ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ۝٢٢﴾
 يعني: كبيرًا.

﴿وَقَالُوا﴾ للضعفاء ﴿لَا تَذَرْنَّ ءَالَهُتَكُمُ﴾ بقول نوح، كان الرجل يُوصي ولده
 الصغير بذلك في مواجهة نوح ﴿وَلَا تَذَرْنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾
 وهي: أصنامهم الخمسة.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس بسببهن ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة الأوثان ﴿إِلَّا
 ضَلَالًا ۝٢٤﴾ خسارًا وهلاكًا.
 ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾^(٢) وما زائدة ﴿أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ أي: أغرقوا في الدنيا
 وأدخلوا نارًا في العقبي.

وسمى ذنوبهم خطيئات وإن كانوا عمدوها لأنه على مخالفة الحق، فمعناه:
 بخطيئتهم ومن أجل خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا نارًا^(٣).

وفي الآية دليل على ثبوت عذاب القبر.

(١) البسيط ٢٢ / ٢٦١.

(٢) في الأصل: خطاياهم. وهي قراءة أبي عمرو (النشر ٢ / ٣٩١).

(٣) تفسير الطبري ٢٣ / ٦٤١، البسيط ٢٢ / ٢٧١.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ﴿٥٥﴾ يمنعوهم من الغرق.

﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾ بعد ما أوحى الله إليه أنه: «لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن»: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٦١﴾ أحدًا، وأصله من دار يدور^(١).

وقال أبو سهل: الديار متخذ الدَّير والدَّار وسكانها، والله تعالى استجاب لنوح دعاءه وأهلكهم جميعًا، وقد بقي عاج^(٢) لم يهلك لأنه منكر لتوحيدك ليس من ساكن الدَّار، ولو كان المعنى ما قاله الفراء كان نقضًا في الإجابة، لأنه قال: هو من دُرْتُ، وهو فيعال من ذلك، كما قرأ عمر بن الخطاب: «الحي القيام»^(٣).

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾ ﴿٦٧﴾ ثم استغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين من ورثته، ثم عم الجميع من تقدم ومن تأخر: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وكان بين نوح وآدم عشرة آباء كلهم مؤمنون.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ ﴿٦٨﴾ دَمَارًا وهلاكًا.

والظالمين: أراد به الكافرين الذين يظلمون أنفسهم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلاة والسلام»^(٤).

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٣١/٥.

(٢) يعني: عوج بن عنق، وهو من الأباطيل الداخلة من رواية الإسرائيليات.

(٣) معاني القرآن للفراء ١٩٠/٣.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٨٤/٢٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٨.

سورة الجن

مكية^(١)، وهي ثمان وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ اتفق القراء على قراءة «أنه استمع» بنصب الألف، وإن كان بعد القول؛ لأن معناه: بأنه استمع^(٣).

قال المفسر الكبير: صورة الجن بخلاف صورة آدمي والملائكة، والله تعالى سَمَّى الجنَّ في كتابه بثلاثة أسماء سوى الاسم المعروف وهو الجن.

أولها: سَمَّاهُمْ رجالاً بقوله ﴿يَعُودُونَ بِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

والثاني: سَمَّاهُمْ ناساً بقوله: ﴿يُوسِسُونَ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۖ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۖ﴾.

والثالث: سَمَّاهُمْ نفرًا في هذه الآية.

قيل: كان تسعة نفرٍ من جنِّ نصيبين^(٤) استمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/ ٤١٥، زاد المسير ٤/ ٣٤٦.

(٢) بلا خلاف، كما في البيان في عد آي القرآن ٢٥٦.

(٣) ولوقوعه موقع المصدر، والتقدير: أوحى إلي باستماعهم، انظر المسألة في: معاني القرآن للفرأ ٣/ ١٩١، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٣، الكشف ٤/ ٦٢٢، الدر المصون ١٠/ ٤٨١٠.

(٤) كتب فوقها: اسم موضع، وتحتها: في اليمن أهـ. ونصيبين غير اليمن، فهي من بلاد الجزيرة، والمشهور بضبطها: فتح الأول وكسر الثاني، ثم ياء علامة الجمع الصحيح (معجم البلدان ٥/ ٢٨٨، تاج العروس ٤/ ٢٧٨)، والقول بأنهم من اليمن هو قول الضحاك، رواه ابن جرير عنه في التفسير ٢٣/ ٦٤٨، وذكره الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٣٣.

وسلم، ثم رجعوا إلى مَنْ وراءهم وأخبروهم بعجيب ما سمعوا^(١).

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب ﴿فَقَامَتَا بِهِ﴾ أقررنا أنه كلام الله نزل من عنده ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ﴾ في الربوبية، والله تعالى أمر رسوله بأن يُخبر أهل مكة بإيمان الجن بهذا القرآن ليعلموا أنهم أولى بالإيمان به، لأنَّ محمدًا منهم.

ثم حكى عنهم وقال: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: عظمة ربنا وآلاؤه ونعمه على خلقه.

وقيل: مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ^(٢).

(١) انظر: الكشف والبيان ٢٧/٤١٧، وتفسير سورة الأحقاف، آية ٢٩.

وسبب نزول هذه الآية ما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم؛ انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، قال: وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث.

قال: فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حدث، قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يتتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء؛ قال: فانطلق نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ قال: فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، قال: فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ﴾ قال: فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ۖ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ﴾ (رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/٦٤٨).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٦٥٠، الكشف والبيان ٢٧/٤١٩. وهذه الآية مما يخطيء الناس في تفسيرها، وقد تُسبب إلى بعض الناس أن المراد أب الأب، وظنوا أن ذلك من قول سفهة الجن، قال ابن جرير: أولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عني بذلك: تعالت

﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ٣ ﴿أي: هو أعظم وأجلّ مِنْ أَنْ يتخذ لنفسه امرأة أو ولداً.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ ٤ ﴿جَوْرًا وكَذِبًا، يعنون إبليس^(١)، سمّوه سفيهاً لجهله وعتوه على الله.

﴿وَأَنَا ظَنَنْتَ﴾ قبل سماع القرآن ﴿أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ٥ ﴿بأنّ له شريكاً، يظنون أن ما قاله الكفار صدق، فهذه كلها حكاية من كلام الجن، وهم تسعة من جنّ نصيبين، ولم يكونوا هذه التسعة قبل ذلك مؤمنين، ولكنهم كانوا متورعين في الكفر.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ٦ ﴿تكبراً وفساداً.

عظمة ربنا وقدرته وسلطانه؛ وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأنّ للجد في كلام العرب معنيين: أحدهما الجد الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: ﴿فَقَامَتَا بِهِمَا وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ٧ ومن وصف الله بأن له ولداً أو جداً أو هو أبو أب أو أبو أم، فلا شك أنه من المشركين. والمعنى الآخر: الجد الذي بمعنى الحظ؛ يقال: فلان ذو جد في هذا الأمر: إذا كان له حظ فيه، وهو الذي يقال له بالفارسية: البخت، وهذا المعنى قصده هؤلاء النفر من الجن بقتلهم: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ ٨ إن شاء الله. وإنما عنوا أنّ حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد؛ لأنّ صاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأنّ الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفاً ضعف خلقه الذين تضطهرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد؛ وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نزهاوا الله عن اتخاذ صاحبة والولد بقوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ٩.

وقيل: خطأ وإثماً^(١)، وأصل الرهق: العيب.

وقصة ذلك: أن الرجل في الجاهلية إذا نزل في أرض قفرة، وجنّ عليه الليل، وجاءت الوحشة، عقل بغيره ثم قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه، ثم يبيت في جوار الجن آمناً، يحفظونه إلى الصباح، فقال سادة الجن عند ذلك: سُدْنَا حتى بلغ سؤددنا الإنس، وزادهم تعوُّذ الإنس رهقاً أي: كبراً وطغياناً^(٢).

ومعنى الرّهق في قوله ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ أي: بخساً ولا ظلمًا، عن الفراء.

والرهق: السّفه، والقول أيضًا عن الأزهري، وهو الحدة والخفة.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ يعني الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ رسولاً بعد عيسى.

وقيل: ظنُّوا أن لا يبعث الله أحداً بعد الموت للجزاء.

ثم رجع إلى حكاية الجن فيما بينهم ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أي: انتهينا إلى السماء قبل أن آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ ﴿٨﴾ أي: حراساً أشداء، معهم شهبٌ ترمي بها، وهو النجم المضيء الذي قدر أصل الرجم.

ذكر الكلبي في تفسيره: أن الحرس يحرسون بلا حَوْل ولا قوّة إلا بالله، وكانت السماء لا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد، خمسمائة عام، وكانت الجن تقعد مقاعد منها، وتسمع خبر السماء من الملائكة، وتُخبر الكهنة، فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا حرساً وشهباً يرمى بها إليهم، فأنكروا ذلك وحكوا فيما

(١) تفسير الطبري ٢٣/٦٥٦.

(٢) الكشف والبيان ٢٧/٤٢٥.

بينهم، وعجبوا من ذلك، وقالوا: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾ ❶ أي: يجد شهابًا قد أرصد له^(١).

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ مِنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ حين منع الشيطان من الاستراق بإرسال محمد: يكذبوه فيهلكهم ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ❷ وهو أن يؤمنوا فيهدتوا.

ثم حكى قول الجن ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: مِنَّا المطيعون لله وَمِنَّا الكفرة ﴿كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا﴾ ❸ أي: كُنَّا جماعة متفرقين ومذاهب مختلفة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: علمنا يقينًا ﴿أَن لَّنْ تَعْجَزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ ❹ أي: لن نفوته، يُدركنا حيثما كُنَّا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ الدعوة إلى الإسلام من الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ﴿وَتَوْحِيدِهِ﴾ ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ ❺ لا ينقص من حسناته، ولا يحمل عليه ذنب غيره فيظلم به.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ وأخلص دينه ﴿فَأُولَئِكَ نَحْرَوُا رَشَدًا﴾ ❻ قصدوا طريق الرشd، عن الزجاج^(٢).

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ العادلون عن الحق ﴿فَكَانُوا لِحَظَمَةٍ حَطَبًا﴾ ❼ أي: بمنزلة الحطب في النار وانقطع كلام الجن.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْلَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، قال الكلبي: هي طريقة الكفر^(٣).

(١) نحوه في البسيط ٢٢ / ٢٩٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥ / ٢٣٥.

(٣) وهو قول أبي مجلز والربيع وزيد بن أسلم واختيار الفراء، انظر: معاني القرآن للفراء

٣ / ١٩٤، تفسير الطبري ٢٣ / ٦٦٣، البسيط ٢٢ / ٣١١.

﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۝١٦﴾ يعني: كثيرًا من السماء، ومالاً كثيرًا، وهذا مثل قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾ الآية.

وفي الخبر: «لو كانت الدنيا تزِن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(١).

وقال مقاتل: أراد أهل مكة، لو استقاموا على طريقة الإسلام والهدى لأسقيناهم ماء كثيرًا^(٢).

غداً: كثيراً موسعاً، ووسّعنا لهم أموالهم، وعليهم أرزاقهم.

شبه المال بالماء لأن القليل منه يكفي، والكثير يهلك، ولأن طبع الماء التحول من مكان إلى مكان، والمال يتحول من مالك إلى مالك، وهو مثل قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَآتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

وهذا القول أجود لأن الله تعالى ذكر الطريقة مُعَرِّفَةً بالألف واللام، فكان المراد بالطريقة طريقة الهدى، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم داعٍ إلى الهدى، وقد سبق ذكره في قوله: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۖ﴾، وذلك أنه حبس عنهم سبع سنين، ثم قال: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم بالشدة والرخاء^(٣).

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ أي: توحيد الله ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝٧﴾ قال الكلبي: يُكَلِّفُ الكافر أن يصعد جبلاً من صخرة ملساء في النار، يُجذب من أمامه

(١) رواه الترمذي ٢٣٢٠، وابن ماجه ٤١١٠، وهو صحيح.

(٢) تفسير مقاتل ٤٠٧/٣.

(٣) وهو قول الجمهور، انظر: تفسير الطبري ٦٦٤/٢٣، معاني القرآن للزجاج ٢٣٥/٥، تفسير أبي الليث ٥٠٦/٣، الكشف والبيان ٤٣٩/٢٧.

بسلاسل من حديد، ويُضرب من خلفه بمقامع من حديد، ولا يبلغ أعلاها أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها انحدر إلى أسفلها، ثم يُكَلَّف ارتفاعها ثانيًا، وهو قوله ﴿سَارُّهُفُهُ، صَعُودًا﴾ (١).

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ بُنيت لذكر الله، وهو الأذان والإقامة والصلاة ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ﴾ فيها ﴿أَحَدًا﴾ (١٨) ولا تشركوا.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ يعني محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿يَدْعُوهُ﴾ ويذكره بالوحدانية في صلاة الصبح بطن نخل ﴿كَادُوا﴾ وهم التسعة من جن نصيبين ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (١٩) كادت الجن أن تسقط عليه تعجبًا عليه، وحرصًا على حفظ القرآن (٢).

واللبد: المركب بعض الشيء على البعض، ومنه اللبد (٣).

وقرئ: «اللبدا» (٤) بتشديد الباء جمع لابد.

وقيل: يعني به الكفار يكونون على الرسول متكاتفين بعضهم فوق بعض ليزيلوه عن الدعوة (٥).

(١) نقله في البسيط ٢٢/٣١٣.

(٢) وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٣/٦٦٦).

(٣) أي: الذي يفرش، معاني القرآن للزجاج ٥/٢٣٧.

(٤) وهي قراءة شاذة، مع أن الثعلبي نسبها إلى أبي جعفر، فلعلها في شاذه (الكشف والبيان ٢٧/٤٥٩).

وتوجيهها على الجمع، مثل: راع وركع، وغاز وغزى، (معاني القرآن للزجاج ٥/٢٣٧). وفي الأصل: اللبدا. وهو تصحيف.

وفي هذا الحرف قراءة متواترة أخرى، وهي قراءة هشام: لبدا، بضم اللام (النشر ٢/٣٩٢)، وهي لغة صحيحة فيه (الكشف والبيان ٢٧/٤٥٩).

(٥) وهو قول قتادة، ورجحه ابن جرير (تفسير الطبري ٢٣/٦٦٧).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (١٠) ﴿قُلْ﴾ لكفار قريش ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (١١) ﴿لا أقدر أَدفع الضر عنكم، ولا أسوق المنفعة إليكم، ولكنه إلى الله ذلك.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يمنعني من عذاب الله أحد أن أعصيه ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (١٢) أي: ملجأ ولا حرزاً^(١).

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾ نصب على البدل^(٢)، معناه: لن أجد من دونه منجى إلا بلاغاً، أي: لا ينجيني شيء إلا أن أبلغ رسالات ربي فذلك التبليغ ينجيني من عذاب الله.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (١٣) ﴿لا مخرج له منها.

ثم انقطع الكلام، وابتدأ فقال: ﴿حَقَّ﴾ يعني: أمهلهم حتى ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني عذاب الآخرة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ (١٤) ﴿كفار مكة أم المؤمنون.

وقيل: هذا جواب قولهم: إِنَّ خزانة جهنم تسعة عشر، ونحن وهم أما نستطيع أن يتعلّق بواحدٍ منهم جماعة كثيرة فننّجوا، فنزلت الآية.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: لا أدري أقرب ما توعدون من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ (١٥) ﴿أي: أجلاً.

(١) في الأصل: حدرا، وهو تصحيف، وهذا قول قتادة.

(٢) أي: من «متحدًا»، وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن ٢٣٧/٥، وعليه فيكون الاستثناء متصلاً، وفيه أقوال أخرى (الدر المصون ١٠/٥٠١).

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (١) والغيب هاهنا نزول العذاب (١)، ثم

استثنى المرسلين فقال:

﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ فإنه نُطْلِعُهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِنَ الْغَيْبِ بِالْوَحْيِ.

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢) من الملائكة يحفون

جميعاً عند تبليغ الوحي، ويخبروا به الكهنة، ثم يخبروا به الناس، فيقع به المُساوآت بينهم وبين الأنبياء (٢).

وقيل: إذا بعث الله رسولاً جعل حوله ملائكة لأن الشياطين كانوا يأتون للأنبياء على صورة جبريل، وربما لا يعرفوا الأنبياء، فإذا جاء الشيطان تخبر الملائكة النبي ويقولون: هو شيطان فاحذروه، وإذا جاءه جبريل يخبرونه أنه جبريل يأتي بالوحي (٣).

﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ ليعلم محمد وسائر الأنبياء أن الملائكة قد أبلغوا ﴿رَسَلَاتِ

رَبِّهِمْ﴾ من كلام الشيطان.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علم بما عندهم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (٤)

(١) تفسير أبي الليث ٥٠٨/٣.

(٢) وهذا قول غريب، إذ أن الملائكة يحفون بالأنبياء كي لا تصل إليهم الشياطين، فكيف يخبروا به الكهنة، ولا يظن أنه سقط منه شيء، وأن الصواب: كيلا يخبروا به الكهنة..، فإن مما يدفع توهم التصحيف ذكره القول الثاني على خلاف هذا.

وذكر الفراء قولاً يشبه أن يكون صواب هذا القول، وهو: ذكروا أن جبريل - صلى الله عليه - كان إذا نزل بالرسالة إلى النبي صلى الله عليه نزلت معه ملائكة من كل سماء يحفظونه من استماع الجن الوحي ليسترقوه، فيلقوه إلى كهنتهم، فيسبقوا به النبي صلى الله عليه، فذلك الرصد من بين يديه ومن خلفه (معاني القرآن للفراء ١٩٦/٣).

فلعل هذا هو صواب القول، ولا سيما أن الفراء من مصادره. ويكون صواب قوله: يحفون جميعاً.. يحفون جبريل..

(٣) تفسير أبي الليث ٥٠٨/٣.

نصب على الحال، أي: في حال العدد^(١).

وفي التفسير: أنَّ جبريل كلما نزل بالوحي نزل معه سبعون ألفاً من الملائكة في أيديهم مزاريق من نارٍ يطردون الشياطين كيلا يحفظوا القرآن.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعبٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ قرأ سورة الجن أُعطي مِنَ الأجر عدد كل حي صدَّق بمحمدٍ وكل من عتق رقبة »^(٢).



(١) معاني القرآن للزجاج ٥/٢٣٨، الكشف والبيان ٢٧/٤٦٤، الكشف ٤/٦٣٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/٤١٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٩.

سورة المزمل

مكية، إلا قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخر السورة^(١)، وهي عشرون آية في الكوفي^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُرَقَلُ﴾^(٣) وهو الملتف في ثيابه^(٤).

هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، نُودي في تلك الحالة، وأمر بالقيام للصلاة في بعض الليل وهجوم النوم.

﴿قُرِئَ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥) ۖ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ قَبْلَ فَرَضِ الصَّلَاةِ^(٦) الخمس^(٧)، والمعنى: قُم أكثر الليل أو قُم نصف الليل.

﴿وَأَنقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾^(٨) من نصف الليل؛ أو زد على النصف، خير الله في هذه الساعات ثم قال: ﴿وَزِدْ عَلَيْهِ وَرَقِيلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(٩) أي: اقرأه قراءة متفصلة^(١٠).

والترتيل: ترتيب الحروف على حقا^(١١).

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ٤٦٧، زاد المسير ٤/ ٣٥٢.

(٢) وكذا الشامي والمدني الأول، إلا المدني الأخير فهي ثمان عشرة آية، وإلا البصري والمكي بخلف فهي تسع عشرة (الباب في عد آي القرآن ٢٥٧).

(٣) الكشف والبيان ٢٧/ ٤٦٩.

(٤) في الأصل: الصلاة.

(٥) وهو قول مقاتل (البيضاوي ٢٢/ ٣٤٩).

(٦) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٨١، الكشف والبيان ٢٧/ ٤٧٧، البسيط ٢٢/ ٣٥٠.

(٧) معني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٠.

وقال الكلبي: يقرأ آية أو آيتين أو ثلاثة، ثم يقطع آية أو آيتين أو ثلاثة، ثم يقطع^(١).

والترتيل: التثبيت، والحدرد: الإسراع.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ أي: نزل عليك قولاً فيه أمرٌ ونهيٌ، لا يُؤدِّيها أحدٌ إلا بتكلف، فكان العمل به ثقيلاً^(٢).

وقيل: ليس بخفيف ولا سفساف، بل هو ثَقِيلٌ؛ لأنه كلام الله له قدرٌ ومنزلةٌ وثقل^(٣).

ويُقال: ثَقِيلٌ في الميزان يوم القيامة^(٤).

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: ساعته، وناشئة كل شيء ابتداءه، معناه: ساعات الليل^(٥).

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾^(٦) موافقة لقراءة القرآن لعلّة السمع، يعني: يتوطأه قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهّم في الأداء والاستماع؛ ما لم يكن ذلك بالنهار. وقرئ: «أشدّ وطأً»، أي: أشدّ ثقلًا على المصلي، وكلما كان أثقل كان ثوابه أكثر^(٧).

﴿وَأَقْرَبُ قِيلًا﴾ يعني القرآن بالليل أثبت قراءة منه بالنهار.

(١) نحوه في تنوير المقباس ٤٩٠.

(٢) رواه ابن جرير عن الحسن وقتادة (تفسير الطبري ٢٣ / ٦٨١).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣ / ١٩٧.

(٤) تفسير أبي الليث ٣ / ٥١٠، البسيط ٢٢ / ٣٥٤.

(٥) تفسير الطبري ٢٣ / ٦٨٣.

(٦) في الأصل: وطأً، وهي قراءة وعليها جاء التفسير، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباؤون كما أثبت (النشر ٢ / ٣٩٣).

(٧) تفسير الطبري ٢٣ / ٦٨٤، الكشف والبيان ٢٧ / ٤٩٢.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ (٧) تصرفاً في حوائجك وإقبالاً وإدباراً، يعني: في تبليغ الرسالة ودعوة الخلق إلى الحق.

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قال سهل: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتك إلى ربك، وتقطعك^(١) عن كل سواه^(٢).

﴿وَتَبْتَئِلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٨) أخِصَّ الله بالدعاء والعبادة والقراءة إخلاصاً. ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود للخلق غيره ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (٩) بعبادتك فيكون ناصرًا لك على أعدائك.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذبيهم ﴿وَأَهْبِزْهُمْ هَزَبًا جَمِيلًا﴾ (١٠) وهو المجانبة والاعتزال بالقول الحسن الذي لا جزع فيه. ونسختها آية السيف^(٣).

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾ هذا تهديدٌ عظيمٌ للكفار، لأنه قال: كفر ربهم معاقباً لهم فذرني وإياهم^(٤).

أولي النعمة: هم أهل الغناء والمال والتنعم^(٥). ﴿وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾ (١١) إلى انقضاء آجالهم، فقتلوا بيدٍ.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (١٢) أي: أعددنا لهم قيوداً وبعد القيود سعيراً ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ لا يسوغ لأكله ولا يجري في حلقه، وهو الضريع، له شوكٌ كشوك العوسج ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣) مؤلماً.

(١) في الأصل: يقطعك، والتصحيح من المصادر، فالمراد هو البسمة.

(٢) تفسير التستري ١٨٠، الكشف والبيان ٢٧/ ٥٠٤.

(٣) وهو قول الكلبي ومقاتل على أصلهما في أن كل ما فيه أمر بالصبر والموادعة منسوخ بآية القتال (الكشف والبيان ٢٧/ ٥١٠، البسيط ٢٢/ ٣٧٠).

(٤) كذا في الأصل.

(٥) الكشف والبيان ٢٧/ ٥١٤.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي تزلزل عند قيام الساعة ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾^(١) والكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل: السائل، هال الرمل والماء إذا صبَّ وسيله^(١).
 ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بإيمان مَنْ آمَن وتكذيب مَنْ كَذَّب ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾^(١٥) فَغَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴿وَخَالَفَهُ﴾ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾
 أي: عاقبناه عقوبةً شديدةً.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ عذاب يوم القيامة ﴿إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ بالله والبعث في الدنيا ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١٧) يعني: كيف السبيل إلى امتناع عذاب هذا اليوم وهذه حاله، يعني: لو كان في الدنيا لصار الصبي يشيب.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ منشقُّ بهول ذلك اليوم ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾^(١٨) كائنًا وهو البعث.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ آيات القرآن، وقيل: هذه السور ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(١٩) أي: مَنْ شاء اتخذ سبيلاً إلى طاعة ربه، وهو الإسلام والتوحيد، حتى ينجوا من عذاب النار.

ثم رجع إلى أول القصة من قيام الليل، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ﴾ أي: أدنى من نصفه ﴿وثلثه﴾^(٢) أدنى من ثلثه^(٢).
 وقرأ: «ونصفه وثلثه» أي: يقوم نصفه وثلثه^(٣).

(١) البسيط ٣٧٧/٢٢.

(٢) وهذا التفسير على قراءة: ونصفه وثلثه، وهي قراءة أبي عمرو التي يفسر عليها المصنف، ولم يضبطها في الأصل، لكن علم ذلك من التفسير (تفسير الطبري ٦٩٧/٢٣، الكشف والبيان ٥٢٥/٢٧).

(٣) قرأ ابن كثير والكوفيون بنصب الفاء والثاء وضم الهاءين، كما أثبت بالرسم العثماني، وقرأ الباقون بخفض الفاء والثاء وكسر الهاءين (النشر ٣٩٣/٢).

﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ من المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم ساعات تقدير الليل والنهار ﴿عَلِمَ أَنَّ لَّنْ لَّخُصُوهُ﴾ أن لن تقدروه، ولن تطيقوا قيام الليل ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: تجاوز عنكم ﴿فَأَقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في صلاة الليل.

قال ابن عباس: ما تيسر مائتا آية إلى ثلاثمائة آية^(١).

﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَى﴾ لا يطيقوا قيام الليل للتهجد ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يسافرون فيها ﴿يَتَّبِعُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: رزقه ﴿وَأَخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحاربون أعداء الله في سبب دينه ﴿فَأَقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي من القرآن ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من الصدقة، والعمل الصالح، صادقاً من قلوبكم، طيبة بها أنفسكم ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ﴾ أي: مالٍ ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: تجدوا ثوابه ﴿هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ هو صلة وعماد، أي: تجدوه خيراً وأعظم أجراً، أفضل ثواباً من تجارتكم ومعاملتكم ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بعد استغفارهم.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة المزمل رفع الله تعالى عنه العُسر في الدنيا والآخرة»^(٢).



(١) وهو من رواية الكلبي، ولذا لم يخرجوه، وعن السدي والحسن: مائة آية (البسيط ٣٨٧/٢٢).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/٤٦٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٠.

سورة المدثر

مكية^(١)، وهي ست وخمسون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ بشيابه.

وتقدير الآية: يا أيها الطالب صرف الأنوار^(٣) بالذثار أقبل إلى الإنذار، وقم إلى الكفار، وأنذرهم بالنار.

قال مقاتل: إنَّ كفار مكة لما آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعوا بإتيان مقدّمات الوحي؛ قام إلى جبل حراء ليتوارى عنهم؛ فبينما هو يمشي إذ سمع منادياً فوق رأسه يقول: يا محمد، يا محمد، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً، فمضى، ثم نودي ثانياً، فنظر ولم ير شيئاً، ففزع وظنَّ أنه شيطان، ثم نُودي من قفاه، فنظر خلفه ثم نظر إلى السماء فرأى سريراً بين السماء والأرض وعليه جبريل، مثل النور المتوقد يتلألاً، فغشي عليه فزعاً، فما لبث إلا ساعة حتى أفاق، فرجع إلى منزله وبه رعدة ورجلاه يصطكان، فدخل على خديجة على هذه الحالة، وقال: «دثروني»، وقد أخذه مثل الحمى، فدثروه بقطيفة، فاستدفأ، فأتاه جبريل وهو متقنع في القطيفة، وقال: يا أيها المدثر بشيابه، المضطجع على فراشه: ﴿فُؤَادَكَ لَرِجْكَ﴾ كفار مكة بالعذاب^(٤).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/٧، زاد المسير ٣٥٨/٤.

(٢) إلا المدني الأخير والمكي والشامي فإنها خمس، البيان في عد آي القرآن ٢٥٨.

(٣) لعله هكذا، فإنها في الأصل بدون ألف.

(٤) تفسير مقاتل ٣/٤١٠. وكان الأولي به أن ينقل حديث البخاري ومسلم في بدء الوحي فإنه أصح سياقة، وأنقى ألفاظاً، فعن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، قلت: يقولون: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ٢ أي: عَظِّمَهُ ونزّهه عما يقول عبدة الأوثان ﴿وَرَبَّكَ فَطَهِّرْ﴾ قال الكلبي: لا تكن غادراً، يُقال للغادر: دَنَسَ الثياب ^(١).

وقال مجاهد: عملك فأصلح ^(٢).

وقال الزجاج: ثوبك فقَصِّرْ، لأنَّ تقصير الثواب أبعد من النجاسة ^(٣).

وقال ابن سيرين: طَهَّرْها بالماء ^(٤).

﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ٥ قال قتادة: الرجز هاهنا صنمان: إساف ونائلة عند البيت، وكان المشركون يمسحون وجوههما، فأمر الله بالمباعدة عنهما ^(٥). وقيل: الرجز المائم.

﴿وَلَا تَقْنَنَّ سَتَكْرُتُ﴾ ٦ أي: لا تعط شيئاً طمعاً في زيادة مجازاة أكثر منه، ورفع ^(٦) تستكثر لأنه حال متوقع، أي: مستكثر ^(٧).

[سورة العلق: ١] فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت: فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال: فدثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۖ كُفِّي الْقَدِرَ ۚ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾» (صحيح البخاري ٤، ٤٩٢٢، صحيح مسلم ١٦١).

(١) وهو قول الجمهور (تفسير الطبري ٩/٢٣، البسيط ٩٨/٢٢).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٢/٢٤.

(٣) معاني القرآن ٥/٢٤٥.

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ١٢/٢٣.

(٥) رواه ابن جرير في التفسير ١٣/٢٣.

(٦) في الأصل: وروح. ولا معنى له.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/٢٤٦.

وقيل: معناه لتستكثر، فلما تركت اللام ارتفعت الراء.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (٧) اصبر على طاعة ربك.

وقيل: اصبر على أذى الكفار لرَبِّكَ.

﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّافُورِ﴾ (٨) أي: نُفَخَ فِي الصُّورِ وهي النفحة الآخرة.

﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ وإنما كرر مبالغة في الوعيد،

ولأنه وصف حال المؤمنين باليسير بقوله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) فأراد أن يكون حال الكافرين على خلاف المؤمنين في الذكر.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (١١) فأنا كافي لعقوبته.

ومعنى قوله: وحيداً قيل من صفة الله تعالى، أي: خلقته وحدي بلا معونة أحد.

وقيل: خلقته وحيداً منفرداً لم يكن له مأل ولا ولد، لأنه لم يعرف له أب فالتزق بقريش (١).

وأراد به الوليد بن المغيرة المخزومي.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَمْدُودًا﴾ (١٢) كبيراً ذا مدد ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ (١٣) لا يغيبون عنه،

وهم عشرة قائمون بين يديه، ومنهم خالد بن الوليد سيف الله أسلم بعده.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (١٤) بسطت له في الجاه بسيطاً ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥) في

ماله وولده وجاهه زيادة ﴿كَلَّا﴾ لا أزيده، بل أقطع ذلك عنه، فلم يزل وليد بعد نزول هذه الآية في نقصانٍ من المال والجاه، حتى صار بحال يسأل الناس، ومات فقيراً (٢).

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/٥. والصحيح الذي عليه أهل التأويل أن المراد

بالوحيد هو الوليد بن المغيرة، وكان يسمى بمكة: الوحيد، وبذلك جاء الماثور (تفسير

الطبري ١٩/٢٤، الكشف والبيان ٤٠/٢٨).

(٢) تفسير أبي الليث ٥١٦/٣، البسيط ٤٢٣/٢٢، وهو من تفسير الكلبي.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يَلِينَا عَيْنًا﴾^(١) يعني: عن آياتنا مُعرَّضًا معاندًا لها.

﴿سَارُّهُقُهُ صَعُودًا﴾^(٢) وهو جبلٌ من صخرة ملساء في جهنم، إذا وضعوا عليها

أيديهم ذابت، وإذا رفعوها عادت^(١)، وقد ذكرنا صفة صعوده في سورة الجن.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ يعني: الوليد تفكَّر في أمر محمد ﴿وَقَدَّرَ﴾^(٣) القول فيه ماذا يقوله

له ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لعن اللعان ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾^(٤) الباطل الذي لا يجوز ذلك على محمد.

﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ أي: لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾^(٥) كرهه للتقيح ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾^(٦) وتأمل ﴿ثُمَّ عَبَسَ

وَسَرَ﴾^(٧) وجهه، حتى كلع وجهه وزاد في العبوسة ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ﴾^(٨) أعرض

عن القرآن وتكبر عن الإيمان ﴿فَقَالَ﴾^(٩) لأصحابه ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾^(١٠) يأثره

ويرويه عن غيره محمد^(٢) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(١١) سَأْصِلِيهِ سَقَرٌ ﴿١٢﴾ سادخله

بما فعل سقر ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا سَقَرُ﴾^(١٣) تعظيمًا لأمرها.

وسقر مؤنثة مُعرَّفة لا تنصرف^(٣)، ثم وصفها فقال: ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾^(١٤) أي: لا

تبقى على أهلها في الحرق ولا تذر منه شيئًا لا تحرقه.

وقيل: لا تحييه حياة تنفعه ولا تُميته فيستريح.

﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾^(١٥) مُغَيَّرَةٌ للجلد بالإحراق كلما نضج بُدِّل مكانه غيره.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(١٦) مَلَكًا خازنًا للنار، وثمانية عشر آخر، أعينهم كالبرق

الخاطف، وأنبياهم كصياصي البقر، وشفاهم تمس أقدامهم، يخرج لهب من

أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع في كف أحدهم مثل ربيعة ومضر،

نُزعت الرحمة من قلوبهم، غضاب على أهلها، يأخذ أحدهم سبعين ألفًا يلقيهم

(١) هاهنا جملة مقحمة لا معنى لها، وهي: واقتحامها ﴿فَكَ رَقَبَةٌ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾.

(٢) البسيط ٢٢/٤٣٠.

(٣) لعلتين: التأنيث والتعريف (معاني القرآن للزجاج ٥/٢٤٧).

حيث أراد، فيهوي أحدهم في جهنم مسيرة أربعين سنة، لا يضرهم حر النار، لأن نورهم أشد من حر النار^(١).

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ يعني: خزنة النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لأن الكفار يقولون: ليس لتسعة عشر عندنا خطر، لأنه ذكر أن أبا أسد بن كلد^(٢) قال: أنا أكفي من جملة تسعة عشر سبعة عشر، أحمل عشرة على ظهري وسبعة على صدري، أما تكفون أنتم اثنين^(٣).

﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ بصدق محمد؛ لأن القرآن أنزل على موافقة التوراة والإنجيل في عدد الملائكة.

﴿وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ وتصديقاً بتصديق أهل الكتاب ﴿وَلَا يَتَابَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ وهو ابن سلام وأصحابه، لا يشكُّون في حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أهل النفاق ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ أي: مشركو العرب ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي صفة في قلتهم؟ هلا ذكر عشرين أو ثلاثين إذ ذكر تسعة عشر.

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بهذا المثل والتقدير في العدد ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: جنود الملائكة من الزبانية وغيرهم إلا الله عز وجل ﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني سقر ﴿إِلَّا ذِكْرِي﴾ [البشر] ﴿أَي تَذَكُّرًا لِلْخَلْقِ﴾.

(١) وهو قول مقاتل في تفسيره ٤١٧/٣، وانظر: الكشف والبيان ٦٠/٢٨، البسيط ٤٣٦/٢٢.

(٢) كذا ورد اسمه في الأصل، وقد صدر المصنف عن تفسير مقاتل ٤١٧/٣، وفيه: قال أبو الأشدين، واسمه: أسيد بن كلد. ومثله في البسيط ٤٣٧/٢٢.

وكما ثبت عندنا ثبت في نسخة من تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٦٣/٢٨، وفي نسخة أخرى منه كما في تفسير مقاتل، والله أعلم.

(٣) تفسير مقاتل ٤١٨/٣، البسيط ٤٣٧/٢٢.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ٣٢﴾ يعني: حقاً والقمر ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا أَدْبَرَ ٣٣﴾^(١) جاء بعد النهار، وقُرئ: «أدبر» أي: ولَّى وذهب^(٢).

﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤﴾ وأضاء ﴿إِنِّهَا﴾ يعني دكدكة سقر ﴿لِإِحْدَى الْكُبَرِ ٣٥﴾ أي إحدى العظام من دركات النار ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ٣٦﴾ معرفة وُصفت بالنكرة فانتصبت.

وقيل: يرجع معناه إلى أول السورة يعني قم نذيراً للبشر.

﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ أي: يتقدم إلى الطاعة فيؤ من أو يتأخر عنها فلا يؤ من.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ مرهونة في النار بذنوبها^(٣).

وقيل: كل نفس بما عملت مأخوذة من الخير والشر، إلا من اعتمد على الفضل والرحمة والسعادة دون الكسب.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٣٩﴾ هم الذين يُعطون كتبهم بأيمانهم^(٤).

وقال الحسن: هم أصحاب الجنة لا يُرهنون في النار^(٥).

﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ ٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤١﴾ أي رجالاً من أهل الجنة يسألون رجالاً من أهل النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٤٢﴾ أي: أي شيء أدخلكم في سقر ﴿قَالُوا﴾ جواباً لهم ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٤٣﴾ من الموحدين المؤمنين ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ٤٤﴾

(١) في الأصل: «إذا دبر»، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي وشعبة وأبي جعفر، وقرأ نافع ويعقوب وحمة وخلف وحفص: إذا أدبر، كما أثبت الآية (النشر ٢/ ٣٩٣).

(٢) الكشف والبيان ٢/ ٣٩٣.

(٣) في الأصل: بذنوبه.

(٤) في الأصل: بيمينهم بأيمانهم.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٥.

﴿٤٤﴾ لا نتصدق عليهم ﴿وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْحَاضِرِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ كنا نتبع الغواة من الأباطيل، والطعن على الرسل، ونحوض معهم فيما خاضوا.

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤٦﴾ بأنه غير كائن.

﴿حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ الموت على تلك الحالة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَعَهُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ من الملائكة المُقَرَّبِينَ والأنبياء المرسلين.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ عن القرآن، ثم شبههم بالحمر الوحشية فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ﴿٥٠﴾ أي نافرة، بكسر الفاء ونصبها^(١).

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ﴿٥١﴾ قيل: هو الأسد.

وقيل: القنّاص والرّامي، وأصله الأخذ بالقسر^(٢).

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ من قريش ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثْقَلَةً﴾ ﴿٥٢﴾ منشورة من الله: إلى فلان بن فلان هذا محمد رسولي إليك فصدّقوه.

﴿كَلَّا﴾ أي: لا يكون ذلك، ثم ابتداء ببل، فقال: ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٥٣﴾ وعذابها.

﴿كَلَّا﴾ حقاً يا محمد ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ ﴿٥٤﴾ عظة من الله تعالى لمن قرّ عن طاعته.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ﴿٥٥﴾ أي: من شاء الله أن يتعظ بالقرآن يتعظ به.

(١) قرأ أبو جعفر ونافع و ابن عامر بنصب الفاء: مستنفرة، وقرأ الباقون بكسرها (النشر

٣٩٣/٢). وتخريج القراءتين على اسم الفاعل أو المفعول (الكشف والبيان ٨٦/٢٨،

البيضاوي ٤٥٩/٢٢).

(٢) البيضاوي ٤٦٠/٢٢).

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: ما يتعظون إلا أن يشاء الله لهم ذلك ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (٥٦) أي: هو أهل أن يُتقى عنه عقابه، وتُتقى محارمه، وأهل أن يغفر ذنوب المذنبين^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة المدثر أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّ بمحمدٍ وكذَّب به»^(٢).



(١) وهو معنى قول قتادة، كما في تفسير الطبري ٤٤ / ٢٤.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨ / ٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤١.

سورة القيامة

مكية^(١)، وهي تسع وثلاثون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ﴾ اتفقوا أن معناه أقسم، وتكلموا في إثبات لا:

قال ابن عباس: هو تأكيد للقسم، كقول القائل: لا والله^(٣).

وقال الفرّاء: «لا» ردُّ لكلام المكذّبين الذين أنكروا البعث، فقليل: ليس الأمر كما ذكرتم؛ ولكن أقسم بيوم القيامة^(٤).

وسُميت قيامة لأنهم يقومون من قبورهم للمجازاة.

﴿وَلَا أُقْسِمُ﴾ أقسم ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس أحد يوم القيامة إلا يلوم نفسه، إن كان محسنًا يلومها هلا ازدادت، وإن كان مُسيئًا فهو ألوم وألوم^(٥)».

وقيل: النفس اللوامة الكافرة تلوم نفسها^(٦) على ما فرطت في أمر الله، وهي نفسٌ

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/١٠٧، زاد المسير ٤/٣٦٨.

(٢) إلا الكوفي فأربعون (البيان في عدّ آي القرآن ٢٥٩).

(٣) لم أقف عليه من قول ابن عباس، فلعله من رواية الكلبي عنه، وهو قول أبي بكر بن عياش (تفسير الطبري ٢٤/٤٨، الكشف والبيان ٢٨/١١١).

(٤) معاني القرآن ٣/٢٠٧.

(٥) نقله الواحدي في البسيط ٢٢/٤٧٥ عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٦) في الأصل: نفسه.

أَمَّارَةٌ قَرِينَةُ الْحَرَصِ وَالْأَمَلِ، عَنِ التَّسْتَرِيِّ^(١).

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ﴿٣﴾ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَا نَبَعْتُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿بَلْ قَدَرِينَ﴾ رَدَّ لِحِسَابَانِ هَذَا الْكَافِرِ وَإِثْبَاتِ بَخْلَافِهِ ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ﴿٤﴾ أَطْرَافُ أَصَابِعِهِ مَعَ صَغَرِ عِظَامِهَا.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُلْحِقَ أَصَابِعَهُ بِالرَّاحَةِ مُسْتَوِيَةً حَتَّى تُصِيرَ كَخَفِّ الْبَعِيرِ، حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ بِهَا^(٢).

﴿كَلَّ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ﴾ أَيُّ: الْكَافِرِ ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ ﴿٥﴾ أَيُّ: يَعْمَلُ بِالْفُسْقِ وَالْفُجُورِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَقِيلَ: يَرْكَبُ الْمَعْصِيَةَ وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ يَوْمًا بِيَوْمٍ، وَيَقُولُ: سَوْفَ أَتُوبُ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى شَرِّ عَمَلِهِ، فَقَدْ فَجَرَ أَمَامَهُ^(٣).

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿٦﴾ أَيُّ: مَتَى هُوَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ، وَأَيَّانَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ لَفْظَيْنِ، يَعْنِي: أَيُّ أَوَانٍ.

ثُمَّ أَجَابَهُمْ ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ ﴿٧﴾ أَيُّ: فَزَعٌ وَتَحِيرٌ.

يُقَالُ لِمَنْ رَأَى الْبَرْقَ وَفَزَعُ مِنْهُ: بَرِقَ، وَيُقَالُ لِمَنْ رَأَى الْأَسَدَ وَهَابَهُ: أَسَدَ.

وَقُرئ: «بَرَقَ»^(٤) بِالنَّصْبِ مِنَ الْبَرْقِ، يَعْنِي: شَخَصَ وَتَلَا^(٥).

﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿٨﴾ أَيُّ: ذَهَبَ ضَوْؤُهُ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ﴿٩﴾ وَلَمْ يَقُلْ جُمِعَتْ

(١) تفسير التستري ١٨٢.

(٢) تفسير مقاتل ٤٢١/٣.

(٣) وهو قول ابن عباس وأصحابه (تفسير الطبري ٥٣/٢٤).

(٤) وهي قراءة أبي جعفر ونافع (النشر ٣٩٣/٢).

(٥) الكشف والباين ١٢٣/٢٨، البسيط ٤٨٣/٢٢.

لتذكير القمر، أي: جمعا في ذهاب نورها، قيل: أخذ نورهما ويبيعث إلى جهنم حتى يكون مدد النار.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: أبا جهل ﴿إِنِّ الْمَفْرُوءَ﴾ المذهب.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي: لا مفر ولا ملجأ ولا منجى، وأصل الوزر: الحصن.

﴿إِلَىٰ رِيكِ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: يُساق إلى المحشر الذي يُحاسب الربُّ فيه.

﴿يَنْبُؤُا الْإِنْسَنُ﴾ أي: يخبر الكافر ﴿بِمَا قَدَّمْ﴾ قبل موته ﴿وَأَخَّرَ﴾ من سيئة عمل بسببته بعد موته.

وقيل: بما قدَّم من المعصية وآخر من الطاعة^(١).

﴿بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ دخلت الهاء للمبالغة، كما يُقال: رجل علامة ونسابة وهجاء.

وقيل: معناه من الإنسان على نفسه بصيرة وهي جوارحه؛ تُبصر ما يفعل فتشهد يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ الآية^(٢).

وقال الكلبي: للإنسان من نفسه شاهد يشهد عليه في القيامة^(٣).

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ معناه: وإن اعتذر وقال: لم أفعل؛ لم يُقبل عُذره^(٤).

(١) تفسير الطبري ٦١ / ٢٤.

(٢) الكشف والبيان ١٣٣ / ٢٨.

(٣) البسيط ٤٩٢ / ٢٢.

(٤) معاني القرآن ٣ / ٢١١، البسيط ٤٩٤ / ٢٢. وهو قول الجمهور، ورجحه ابن جرير في التفسير

٦٥ / ٢٤، لدلالة ظاهر التنزيل.

وقال أبو سهل: معناه وإن أرحى ستوره واستتر من الناس؛ لا يُمكنه أن يستتر من جوارحه، والمعاذير واحدها: معذار، وهو الستر^(١).

ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو الوحي قبل فراغ جبريل ليتعجل به مخافة النسيان ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) أي: تأليفه.

﴿فَإِذَا قَرَأَهُ﴾ أي: فرغ جبريل من القراءة ﴿فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) أي: مقروءه.

والقرآن اسم، والقراءة مصدر، وفي الآية دليل أن القراءة عين والمقروء غير، لأنه أمر بمتابعة المقروء مع ترك القراءة.

وقيل: اتبع حاله واجتنب حرامه^(٢).

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) أي: بيان حاله وحرامه، وإجماله وإضماره، وتفسير ذلك كله، كما بين في زكاة الذهب والفضة والإبل والبقر وركعات الصلاة، وغير ذلك.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) كلا: رد وتنبية، إن ارتدعوا عما يؤدي إلى العذاب، ليس الأمر كما تزعمون، بل تحبون العاجلة التي تتعجلونها من الدنيا.

وقيل: «كلا» حقاً.

﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢١) فلا تعلمون لها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ

(١) وهو قول السدي كما في تفسير الطبري ٢٤ / ٦٤، واختيار الزجاج في معاني القرآن ٥ / ٢٥٣.

(٢) وهو قول قتادة، وردة الواحدي بقوله: المعنى: فاتبع قرآنه، أي: اقرأه إذا فرغ جبريل من قراءته. وهذا أولى؛ لأنه أمر أن يدع القراءة، ويستمتع من جبريل، حتى إذا فرغ جبريل قرأه، وليس هذا موضع الأمر باتباع ما فيه من الحلال والحرام (البيضاوي ٢٢ / ٤٩٩).

آخرته أضرب بدنياء»^(١).

ثم بيّن حال من يعمل لآخرته ولم يمهل؛ فقال فيمن عمل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ناعمة حسنة مشرقة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ كما قال في آية أخرى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿٢٤﴾.

والنظر مقيد بالوجه، مقرون بحرف: «إلى»، ولا يُراد به إلا النظر إلى الله تعالى بلا حجاب.

وما قاله المعتزلة وبعض أهل الزيغ -لعنهم الله-: أن المراد به الانتظار؛ أو النظر بالقلب؛ أو غير ذلك؛ فهو باطل؛ لأنَّ النظر بهذه الوجوه لا يقرب بحرف إلى، لأنَّ نظر القلب هو التفكير، ويُقال في باب التفكير: نظرت في علوم النجوم والفلسفة، ولا يُقال: إلى علم النجوم، وفي باب الانتظار يُقال: نظرت زيداً بحذف الصلة أصلاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾.

وفي هذه الآية قيّد النظر بحرف «إلى» علم أنه الرؤية بالعين كما يعرفه العبد اليوم بقلبه بلا كيف؛ فكذلك يراه غداً بعينه بلا كيف، والله الهادي والمُرشد، وبه الثقة^(٢).

ووصف حال من لم يعمل لآخرته فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ﴿٢٥﴾ كالحة ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: داهية منكورة، والظن هاهنا اليقين، والفاقرة: الكاسرة لفقار ظهره^(٣).

(١) رواه أحمد في المسند ١٩٦٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٧٣/٢٤، الكشف والبيان ١٤٥/٢٨، تفسير السمعاني ١٠٦/٦، تفسير ابن كثير ٢٧٩/٨.

(٣) البسيط ٥١٣/٢٢.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَةَ﴾ (٣٦) أي: حقاً إذا بلغت الروح إلى التراقي ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾

﴿٣٧﴾ أي: هل من طيبٍ يرقى فلا تخرج النفس.

وقال مقاتل: يقول بعض الملائكة للبعض من يرقى بالروح^(١) ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب^(٢).

﴿وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (٣٨) أي: تيقن المريض مفارقة الأهل والولد والدنيا ﴿وَأَلْتَفَتِ

السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ (٣٩) أي: التفّت على المريض أمر الدنيا وأمر الآخرة، لأنه آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة^(٣).

والساق: عبارة عن مُلاَقاة الشدة؛ لأنَّ الرجل إذا أصابته داهيةٌ شمّر عن ساقه واستعدّ للشرّ.

وقيل: هو التفاف الساق في الكفن.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٤٠) لأنَّ الربَّ يجازيه في القبر، لأنَّ القبر إمّا روضة أو

حُفْرة، وكل عبد يسوقه إلى المحشر كاتباه وحافظاه؛ حتى يشهدا على عمله.

ثم ذكر الكافر فقال: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَٰى﴾ (٤١) أي: لم يُصدّق الله ورسوله ولا

صَلَّى لله عزَّ وجل ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٤٢) كَذَّبَ الله ورسوله وأعرض عن الإيمان ﴿فَرَّ

ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (٤٣) أي: يتبختر في المشي^(٤)، وأصله يتمطّط أي: يتمدد تكثراً،

فاجتمعت ثلاث طاءات فبدلت الطاء الثالثة ياء^(٥).

(١) في الأصل: بروح.

(٢) البسيط ٥١٧/٢٢.

(٣) أي شدة الدنيا مع شدة الآخرة (الكشف والبيان ١٦٢/٢٨، البسيط ٥٢٠/٢٢).

(٤) تفسير الطبري ٨١/٢٤.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٤٢٨.

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ۖ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ ﴿٣٥﴾ يروح ويجيء..

ومعنى التكرار: ويلٌ لك يوم تحيا، وويلٌ لك يوم تموت، وويلٌ يوم تُبعث، وويلٌ لك يوم تُساق إلى النار.

وقال أهل التفسير: نزلت في أبي جهل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعزعه، وقال: أولى لك فأولى، أي: وليك أمرٌ محذور فاحذره، فقال اللعين: إني لا أخافك ولا أخاف ربك^(١).

وهذه الكلمة مشتقة من الويل وهو الهلاك.

وهو فعلٌ مقلوب؛ قُدِّمت لام الفعل وأُخِّرَت الياء والواو، وإذا قُدِّمت أو أُخِّرَت عن مواضعها صارت ياءً، كقولنا: قوس وجمعه قِسي، وأصله قَوْوس، وأظهر من هذا قوله: أدنى، وهي في الأصل: أدون، لأنه دون.

والأيم جمعه أيامى، وأصله: أيام.

ومعنى أولى: أي أوَّيْلُ لك، وأصله بواوين، فحول إحدى الواوين ياء، وذهب عن موضعه، فصار: أولى، ومعناه أشد الهلاك وأهوله أَزَفَ منك، فالحذر الحذر.

ثم قال: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أي الكافر ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿٣٦﴾ لا يؤمر ولا ينتهي ﴿أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً﴾ قبل أن يُخلق بشراً ﴿مِّن مِّنِي يُمْنِي﴾ ﴿٣٧﴾ قرئ بالياء من مني، وبالتاء من نطفة، تُقَدَّفُ في الرحم^(٢).

﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً﴾ بعد النطفة ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ ﴿٣٨﴾ أي: خلقه فسوّاه أي سَوَّاه أعضاءه؛ كما خلق جنسيه من الأدميين.

(١) الكشف والبيان ١٧٦/٢٨، البسيط ٥٢٨/٢٢.

(٢) بالياء قرأ يعقوب وحفص وهشام بخلف عنه، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٣٩٤/٢).

﴿وَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ (٣٦) أي: من المنى.

وقيل: من أبي جهل، فالذكر عكرمة بن أبي جهل، والأنثى خولة بنت أبي جهل
كانا من عباد الله الصالحين^(١).

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ﴾ أليس الذي فعل هذا ﴿عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (٣٧) بعد
البلى.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة القيامة شَهِدْتُ أَنَا وَجَبْرِيلُ لَهُ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَجَاءَ وَوَجْهُهُ مَسْفَرًا عَلَىٰ وَجْهِهِ الْخَلَائِقُ»^(٢).



(١) وهذا قول غريب، فالآية على العموم.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٠٨/٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٢.

سورة الدهر

مكية^(١)، وقيل: مدنية وهي ثلاثون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ معناه: قد مضى على آدم^(٣) ﴿حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾ مُدَّةً من الزمان: أربعون سنة قبل أن يُنفخ فيه الروح ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾^(٤) لم يذكر اسمه، ولم يُعلم ماذا يُراد به، كان قلبه موضوعاً بين مكة والطائف زماناً طويلاً^(٥)، لم يعلم [أنه]^(٦) يكون الخليفة الذي وعد الله به ملائكته.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ وهو نطفة الرجل ونطفة المرأة، فنطفة الرجل: أبيض غليظ يكون منها العظم والعصب والعروق والقوة، وهي تجري من بين الصلب، ونطفة المرأة: أصفر، تجري من بين الترائب، يكون منها اللحم والدّم والشعر والظفر، فيختلطان، فذلك قوله أمشاج^(٧).

وقوله ﴿تَبَتَّ لَيْهِ﴾ نخبره بالعمل [﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾]^(٨).

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي: بينا له الطريق؛ طريق الهدى وطريق الضلالة ﴿إِنَّمَا

(١) وقيل مدنية، الكشف والبيان ١٨٩/٢٨، زاد المسير ٣٧٤/٤.

(٢) كذا ثبت في الأصل، وفي البيان ٢٦٠: وهي إحدى وثلاثون آية في جميع العدد.

(٣) تفسير أبي الليث ٥٢٥/٣.

(٤) وهي رواية الكلبي عن ابن عباس، الكشف والبيان ١٩١/٢٨، البسيط ٨/٢٣، الجامع لأحكام القرآن ١١٩/١٩.

(٥) في الأصل: أقدمه، وهو تصحيف. وقد يكون صواب الجملة: لم يعلم قدره وأنه يكون الخليفة الذي وعد الله به (الجامع لأحكام القرآن ١١٩/١٩).

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢٥٧/٥، البسيط ٩/٢٣.

شَاكِرًا ﴿لِنِعْمَائِهِ﴾ فيستحق الثواب والدرجات ﴿وَمَا كَفُورًا﴾ ﴿٣﴾ فلا يوحّده فيستحق العقاب في الدرجات، وأي المسلمين سلكه لا يخلو من الابتلاء، حتى لو أُثيب علم على ماذا يُثاب، وإن عوقب علم على ماذا يُعاقب، والله تعالى عالم بما يكون من ابن آدم قبل الابتلاء.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ من النار، فيسلكون مع الشياطين ﴿وَأَغْلَالًا﴾ تُغْل بها أعناقهم ﴿وَسَعِيرًا﴾ ﴿٤﴾ نارًا موقدة.

ثم بين ما أعدّه للمخلصين ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ في الجنة ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ أي: مشربة خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ﴿٥﴾ وهو: ماء من عين تُسمى كافورًا، هكذا ذكره الكلبي^(١).

وفسّر الله تعالى به فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يعني: كافورًا من عين يشرب بها عباد الله ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يعني: تلك العين في الجنة ﴿تَفْجِيرًا﴾ ﴿٦﴾ كما تُفجّر الأنهار في الدنيا تفجيرًا، أي: تشقيقًا، وهو إجراء الأنهار^(٢).

ثم نعتهم فقال: ﴿وَهُمْ بِالْأَذْرِ﴾ في الدنيا وَيُتِمُّونَهُ بالوفاء به ﴿وَيَخَافُونَ﴾ من نقضه ﴿يَوْمًا﴾ عذاب يوم ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ﴿٧﴾ منتشرًا، حين تنشق السماء، وتتناثر الكواكب، وتُسفّ الجبال، وخُسفت الشمس والقمر، وتفرّغ الملائكة.

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَى حَيْهٍ﴾ الطعام وشهوته إليه ﴿مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ المسكين الذي يطوف على الأبواب، واليتيم لا والد له فيطعمه. والأسير: يعني الذي أسر من أهل الشرك في يد المسلمين.

قال قتادة: أمر الله تعالى بالإحسان إلى المشرك، ووعد به الجزاء خيرًا، فوالله

(١) البسيط ٢٣/٢٣. وذكر قتادة ومجاهد: إن الشراب يمزج لهم بالكافور (تفسير الطبري ٩٣/٢٤).

(٢) وعن مجاهد وقاتادة والثوري: يعدلونها ويقودونها حيث شاؤوا (تفسير الطبري ٩٥/٢٤).

لأخوك المسلم أعظم عليك حرمة^(١).

قال سهل بن عبد الله التستري: نزلت الآية في علي بن أبي طالب، فكان الحسن والحسين قد مرضا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عيادة هما، وقال لعلي: لو نذرت بشيء، فنذر: إن شفاهما الله تعالى يصوم ثلاثة أيام، وليس لهم شيء من الطعام في ذلك اليوم، فلما ظهر عليهما علامة الصّحة أصبح صائما، وفاطمة وجارية لهما في البيت كلهم صائمون، فاستقرض عليّ من شمعون اليهودي الخيري ثلاثة أصواع شعير، فطحنت فاطمة منها شيئا، وطبخت خمسة أقراص، فلما كان عند الإفطار جاء سائل، وقال: أنا مسكين من المسلمين لم أطعم منذ يوم فأطعموني يا أهل بيت الرحمة والنبوة، فقال عليّ: نحن لم نأكل يوما، نطعمه حتى يشبع، فأطعموه الكلّ وناموا جائعين، ثم صاموا غداً وطحنوا وطبخوا مثلها من الأقراص، فجاءهم عند الإفطار يتيماً وقال: لم أطعم منذ يومين فأطعموني يا أهل بيت الشفقة والرحمة، فأطعموه وبقوا جائعين، وأصبحوا صائمين وفاءً لنذرهم، واتخذوا من الأقراص مثلها فجاءهم عند الإفطار أسير، وقال: لم أطعم منذ ثلاثة أيام، وأنتم على دين الإسلام، وتقولون: نحن نشفق على خلق الله كلهم، فرفع الأقراص من بين أيديهم وأطعم الأسير، ولم يشربوا في الأيام الثلاثة إلا بالماء القراح، فلما أصبح علي أخذ بيد الحسن والحسين وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان علي تصطك رجلاه ويضطرب قلبه، وكانت فاطمة على مصلاتها تنضح عيناها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذه الشدة يا علي»، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة فرآها وغارت عيناها، فقال: «واعجباً أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يموتوا جوعاً». فنزل جبريل بهذه السورة^(٢).

(١) تفسير عبد الرزاق ٣٣٦/٢، تفسير الطبري ٩٧/٢٤، الكشف والبيان ٢٨/٢١٠.

(٢) هذا حديث موضوع، وله تنمة فيها شعر ركيك منسوب لعلي، والحديث رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/٢٢٦، وقد حكم عليه بالوضع شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية،

وقيل: من قوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ إلى قوله: ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ نزلت بالمدينة^(١).

﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: يقولون في أنفسهم: إنما نطعمكم لأجل الله.

والوجه: يُذكر ويُراد به الرضا، فعَلْتُ ذلك لوجه فلان أي: رضاه^(٢).

﴿لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ لا نطلب منكم مكافأة ولا ثناء.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ يعني: يوم تعبس فيه الوجوه، وهذا فعل نقل عن فاعله إلى غيره، كقوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ ويُقال: لَيْلٌ نَائِمٌ وَبَيْتٌ كَاتِمٌ.

وقال الشاعر:

نهارهم ظمان أعمى وليلهم وإن كان بدرًا ظلمة بن جَمِير

[ابن] الجَمِير: القمر في آخر ليلة في الشهر^(٣).

﴿فَقَطْرِيرًا﴾ والقمطير: الشديد الغليظ، يُقال: اقمطرَّ اليوم، وهو أشد الأيام في

البلاء^(٤).

﴿وَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهَهُمْ﴾ أي: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ في وجوههم

وأطلقنا الحديث عليه وعلى شواهد في: «مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني»، فليراجعه من أراد الاستزادة.

(١) وصاحب هذا القول إنما قاله كي يصحح هذه الرواية الضعيفة، وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على أنها نزلت بمكة (منهاج السنة النبوية ١٧٤ / ٧).

(٢) تفسير الطبري ٩٨ / ٢٤.

(٣) البيت لابن أحمر، شعره ١١٤، الزاهر ١١ / ٢، الأضداد ١٢٧، المخصص ٣٧٨ / ٢، معجم مقاييس اللغة ٣٠٥ / ١. وحكي فيه بالتصغير (تاج العروس ٢١٢ / ٦).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٥٩ / ٥.

﴿وَسُرُّورًا﴾ في قلوبهم.

﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أمر الله وفيما ابتلاهم من المصائب ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٢﴾
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴿١٣﴾ أي: في حال إتكانهم على السُرر.

والأرائك: جمع أريكة وهي الحجال.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ ﴿١٤﴾ لا حرًا مؤذيًا ولا بردًا مؤذيًا.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ هي منصوبة على أول الكلام، وجزاهم بما صبروا جنةً
دانيةً عليهم ظلال أشجارها ﴿وَوُذِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ سُخِّرَتْ ثمرتها، حتى ينالها
القاعد والقائم في أي حال كان.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يطوف عليهم الغلمان ﴿بِإِنَانٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ دھوم حام^(١)
﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ قَوَارِيرُ [مِن فِضَّةٍ] كيزان لا عرى لها مُدَوَّرَة الرأس من بياض
الفِضَّة وصلابتها وصفاء القوارير^(٢).

وقوارير كل قوم من أرضهم، وأرض الجنة من فضة، فالقارورة منها.

﴿قَدَّرُوهَا﴾ يعني الخدم قَدَّرُوهَا ﴿تَقْدِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ مقدار ما يشربه العبد ويروي، لا
يفضل ولا وكس.

ثم قال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ والزنجبيل عينٌ في الجنة^(٣)
﴿عَيْنًا فِيهَا﴾ في الجنة ﴿سُمِّيَ سَلْسِيلًا﴾ ﴿١٩﴾.

قال مقاتل: هي عين الخمر تنبع من تحت العرش، وهي شديدة الجري^(٤).

(١) كذا في الأصل، ولعلها: دھوم جام، وهي كلمة بالفارسية.

(٢) تفسير أبي الليث ٥٢٨/٣، تفسير السمعاني ١١٨/٦.

(٣) وقيل: يمزج لهم بالزنجبيل (تفسير الطبري ١٠٧/٢٤).

(٤) تفسير مقاتل ٤٢٩/٣.

وقيل: معنى العين أي: سَلَّ^(١) الله إليها سبيلاً^(٢).

﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ﴾ أي مُحَلَّلُونَ يُقَالُ: لجماعة الحلي الخلد، يعني: مُسَوَّرُونَ.

وقيل: مُخَلَّدُونَ لا يخرجون عن حد الصغر^(٣).

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ أي: كاللؤلؤ المثور على الثوب الأخضر.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ نعمة دائمة ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ وهو استئذان الملائكة لدخولهم، إذ لا يدخل رسول رب العزة عليهم إلا بإذنهم، فأنت مُلْكٌ أكبر من هذا، وإذا بلغ رسول رب العزة من الملائكة إلى بابه واستأذن بالدخول قال البواب: إني لا أستطيع لك الإذن، ولكنني أطلبُ لك الإذن منه، فيقول للحاجب الذي يليه، وذلك للحاجب الذي يليه، هكذا إلى سبعين حاجبًا، حتى يدخل عليه المَلَكُ، فهذا هو المَلَكُ الكبير^(٤).

وإذا دخل عليه الملك فيبلغه السلام من رب العرش، كقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَّحِيمٍ﴾ والتحفه قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمُ﴾ والبشارة بالرضا كقوله ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

ثم قال: ﴿[عَلَيْهِمُ] ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ﴾ قيل: السندس هو الديباج الرقيق الفاخر ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ والإستبرق: الديباج الغليظ^(٥).

(١) كأن صورتها في الأصل: سبل، والتصحيح من المصادر.

(٢) تنوير المقباس ٤٩٥، تفسير أبي الليث ٥٢٨/٣، والنكت والعيون ١٧١/٦، ونسبه إلى علي بن أبي طالب، وقال ابن الجوزي بعد أن أورده: لا يصح (زاد المسير ٣٨٠/٤).

(٣) ولا يمتوتن، وكلا القولين في تفسير الطبري ١١٠/٢٤.

(٤) وهو مجموع قول الكلبي ومقاتل (الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٤٤).

(٥) معاني إعراب القرآن للزجاج ٢٦٢/٥.

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ولكل واحدٍ من أولياء الله ثلاثة أسورة؛ سوارٌ من ذهبٍ وسوارٌ من لؤلؤٍ وسوارٌ من فضةٍ.

﴿وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾^(٢١) والشراب الطهور: الذي لا يتغير ولا يتنجس ولا تصيبه آفة، وطهرت به قلوبهم من الغش والغُل والحسد.

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ لأعمالكم في الدنيا ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾^(٢٢) أي: عملكم مقبولا ومرضيا.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^(٢٣) مُتَفَرِّقًا سورةً بعد سورةٍ.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فازْصَبْ بقضاء ربك ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٢٤) يعني من كفار مكة، والآثم: الفاجر، والكفور: الذي كفر بنعم الله.

قال الكلبي ومقاتل: الآثم هو الوليد، والكفور عتبة بن أبي ربيعة^(١).

ف قيل: كان الوليد يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دين آبائه، ولم يحصل له مقصوده، فقال لعُتبة بن ربيعة: أنت أقرب إلى محمدٍ وأرفق، اذهب وعِظْهُ حتى يرجع إلى ديننا، فجاء فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب، فقال: يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله، أنت خيرٌ أم عبد المطلب، أنت خيرٌ أم عبد مناف، إنهم لم يدعوا شيئاً مما تدّعي، فارجع من مقالتك، فإن أخذت في هذه الطريقة طمعاً في الدنيا فإننا نقاسمك في أموالنا حتى تكون أغنى من أحدنا، وإن كان لامرأةٍ تخطبها خطبناها عليك، وإن كان للرئاسة سودناك على أنفسنا، فلم يُجبه رسول الله، فقال: هلا تُجيبني، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ رافعاً صوته: ﴿حَمَّ﴾^(١) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ وَقُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ حتى بلغ إلى قوله ﴿إِنَّا أَعْرَضُوا فَقُلْ أَذَرْتَكُمْ صَبِغَةً مِّثْلَ صَبِغَةِ عَادٍ وَثَبَّ عُتْبَةُ

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢٩، الكشف والبيان ٢٨/ ٢٥٨، البسيط ٢٣/ ٥٨.

وقال: يا محمد إني أن تحرقني، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته حتى انتهى إلى آية السجدة وسجد، وفرَّ عتبة إلى أصحابه مُتغيِّر اللون، قيل: ما أصابك؟ فقال: سمعت كلامًا عجيبيًا ما سمعت أذنائي مثله، وخِفْتُ أن يحرقني، فقالوا: أكان شِعْرًا؟ قال: ومن أشعر منِّي، فعرضوا عليه الأرجاز والأسجاع فكان يرد عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ إِنْ كَفُورًا﴾ (١).

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالإخلاص في صلاة الفجر والظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء، ثم أمر بالتطوع ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يختارون استصلاح الحياة العاجل، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ يتركون قدامهم يومًا شديدًا أهواله وعذابه. ﴿تَحْنُ خَلْقَهُمْ وَشَدَدَنَا أَسْرَهُمْ﴾ قوينا خلقهم.

وقيل: مفاصلهم (٢)، وقيل: أراد شدة المصرتين حتى يحفظان البول والغائط ولا يسترخيان، قيل: الإرادة (٣).

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أهلكننا هؤلاء الكفرة وبدلنا خيرًا منهم وأطوع لنا طاعة.

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذَكُّرٌ﴾ عِظَةٌ من الله تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ

(١) انظر تفسير مقاتل ٤٣٢/٣، وقد سبق ذكر ذلك في تفسير سورة فصلت، والمصنف ذكر القصة في تفسير سورة غافر.

(٢) تفسير الطبري ١١٨/٢٤.

(٣) أي إذا أراد استرخي فأخرج، وهو مروي عن قتادة قال: الأسر هو الشرح، وذلك مصري الإنسان، تسترخيان عند الغائط ليسهل خروج الأذى، فإذا خرج انقبضا (تفسير السمعاني ١٢٣/٦).

سَيِّلاً ﴿٢٩﴾ طريقاً لنجاته.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ من اتخاذ السبيل والعمل بالخير ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٣٠﴾ حكم بما هو كائن وبما يكون.

﴿يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ ﴿يُكْرِمُ مَنْ يَشَاءُ بدينه﴾ ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ مؤلماً موجعاً.

والرحمة الجنة، والظالمين: منصوب معطوف على الأول، أي: يُدْخِلُ الظالمين في عذابه.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال]: «مَنْ قرأ سورة الدَّهْر كان جزاؤه على الله تعالى جَنَّةً عَدْنٍ وحريراً»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨ / ١٩٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٣.

سورة المرسلات

مكية^(١)، خمسون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾^(١) هم الملائكة تبعًا كعرف الفرس، هي جمع الجمع، كرجال ورجلات، وتنزل بالمعروف أيضًا^(٣).

﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾^(٢) هي الرياح الشديدة ﴿وَالنَّشِيرَاتِ شَيْرًا﴾^(٣) هي: البعث يوم القيامة، ينشر المؤمن^(٤).

وقيل: هي المطر^(٥).

﴿فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا﴾^(٤) القرآن أنزله الله آية آية ﴿فَالْمُلْكِيَّتِ ذِكْرًا﴾^(٥) المنزلات وحياً^(٦). قال: مقاتل يعني جبريل.

وقيل: هو الملائكة، قال ابن عباس: هم الملائكة^(٧).

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾^(٥) حُجَّةٌ وتخويفًا، أو: بمعنى الواو، يعني إعدارًا وإنذارًا^(٨).

(١) في قول الجمهور (الكشف والبيان ٢٨ / ٢٦٧، زاد المسير ٤ / ٣٨٢).

(٢) في عد الجميع، كما في البيان في عد آي القرآن ٢٦١.

(٣) في قول مسروق وأبي صالح (تفسير الطبري ٢٤ / ١٢٤).

(٤) غريب، وقد نقله أبو الليث في تفسيره ٣ / ٥٣١.

(٥) الكشف والبيان ٢٨ / ٢٧٣.

(٦) تفسير أبي الليث ٣ / ٥٣١.

(٧) في رواية العوفي عنه (تفسير الطبري ٢٤ / ١٢٨).

(٨) وهو قول قتادة (تفسير الطبري ٢٤ / ١٢٩).

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَقْعٌ﴾ (٧) هذا موضع القسم، يعني: القيامة^(١).

﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨) كالطمس على الكتاب لأنه يذهب نور النجوم ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩) شُقَّتْ وانفطرت بعد أن كانت سقفاً محفوظاً.

فأول تحوُّل السماء أن تصير واهية، ثم الانشقاق، ثم الانفتاح، ثم الانفراج، ثم تتلاشى فتصير كأنها لم تكن.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِّتَ﴾ (١٠) قُلعت من أصلها.

فأول شيء من تبدُّل الجبال قلعها، ثم سيرها، ثم كسير السحاب، ثم كونها كالعهن، ثم بسها وإمهالها، ثم انتسافها، ثم صيرورتها مشوراً، ثم تلاشيها حتى استوت بالأرض؛ فتصير قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتَ﴾ (١١) بُدِّلَت الواو بالالف، وُقِرَّتْ: وُقَّتْ على الأصل^(٢)، أُحضرت وجمعت لوقتٍ جعل لهم.

﴿لَا إِلَهَ يَوْمَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١٢) أي: أُخِّرَتْ، يعني: الطمس والنسف وجمع الرسل وغير ذلك.

﴿لَيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ (١٣) والقضاء ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ (١٤) تعظيماً له، أي: لم تكن تعلم ما يوم القيامة، وما أعدَّ فيه من الثواب والعقاب لأولياء الله وأعدائه ما لم يأتك خبرٌ من الله عزَّ وجل.

﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥) للرسول بالوعد والوعيد، والويل: دعاء بالهلاك والشدائد والأهوال العظام.

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٦٥/٥.

(٢) قرأ أبو عمرو وابن وردان وابن جماز بخلف: وقتت، وقرأ الباقون: أقتت (النشر ٢/٣٩٦).

وقيل: معناه ويلٌ للمكذِّبين بما سبق ذكره في هذه السورة من صفات القيامة^(١).

﴿لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية عند التكذيب ﴿ثُمَّ نُنْعِهُمُ الْآخِرِينَ﴾ أي: سنُلحق بهم الغابرين من الكافرين ﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ وهم كفار مكة ﴿وَيَلُومِيذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٢) للرسول وبهذا الوعيد.

﴿لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يا أهل مكة، أخبرهم ببدا خلقهم ومكثهم في أرحام الأمهات ليعتبروا؛ فلا يُكذِّبوا بالبعث، والمهين: الضعيف.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ رحم المرأة، والمكين: الحريز.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أجل مؤقَّت: تسعة أشهر أو ما شاء الله.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ مكثكم في الأرحام^(٣).

﴿فَنَعَمَ الْقَادِرُونَ﴾ وَيَلُومِيذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿وَقُرِئَ﴾ بالتشديد فقدَرنا، خلقكم من النطف، ثم قال: فنعم القادرون؛ جمع بين الفعلين، كقوله ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمِلُهُمْ﴾.

﴿لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِهَاتَا﴾ تكفثهم وتضمُّهم ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ والكفث في اللغة: الجمع، ومعناه كنَّا وسِتْرًا للأحياء في البيوت والأسراب، وللأموات في القبور والأجداث^(٤).

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسَىٰ شَمِخَاتٍ﴾ جبلاً ثوابت مرتفعات في الهواء ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ﴾ من السحاب ﴿مَّاءَ فُرَاتًا﴾ وَيَلُومِيذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿عَذَابًا حُلُوًّا طَيِّبًا نَمِيرًا فَرَاتًا لَا

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٨.

(٢) ولم يكرر كتابة هذه الآية، في بعض مواضعها، كما فعل في سورة الرحمن.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٧، البسيط ٢٣/ ٩٠.

زغافاً ولا مُراً ولا ملحاً، ولكن ماء زلال بالغ في العذوبة.

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢١) وهو المحشّر ثم النار لأنهم كانوا يكذبون به.

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٣٠) قال الكلبي رحمه الله: يُنطلق بأهل النار

إلى النار حتى انتهوا إليها خرج منها لسانان من النار، فأحاطوا بهم، فيكونا عليهم

كالسُّرادق، وهو قول الله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ثم يخرج من ذلك السرادق

ثلاث شعب - أي فرق من الدخان - وهو قوله: ﴿إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٣٠) فتظل

ذلك السرادق عليهم، فيقبلوا فيه، فكان مقيل أهل الجنة في ظلال طاعتهم، وهو

قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤) ومقيل أهل النار في

ظل ذي ثلاث شعب^(١).

﴿لَا ظِلِّيلٍ﴾ أي: لا كنين من الشمس التي فوق رؤوسهم، ولا طيب بارد ﴿وَلَا

يُعْنِي مِنَ الْهَبِ﴾ (٣١) أي لا يُنجيهم ذلك من لهب النار.

﴿إِنَّهَا﴾ يعني النار ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ يعني تطاير منها شرر ﴿كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢).

قال الكلبي: يعني قصور الأعراب وخيامهم التي تُبنى على الماء^(٢).

وقال مقاتل: شرر تلك النار في الكثرة عدد نجوم السماء وورق الأشجار، ولا

يقع منها شيء إلا على أكتاف الرجال^(٣).

ثم شبه سواد شررها فقال: ﴿كَأَنَّهُ جَمَلَتِ صُفْرٌ﴾ (٣٣) أي: سود، والعرب تُسمي

الإبل السود: صُفْراً.

قال الشاعر:

(١) البسيط ٩٤ / ٢٣.

(٢) نقله في البسيط ٩٧ / ٢٣.

(٣) لم أجده في تفسير مقاتل ٤٣٧ / ٣.

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب^(١)

والإبل قد يزاد سوادها إذا كانت مطلية بالقطران.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ مقدار أربعين سنة، عن مقاتل
﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ في هذه المدة ولا يحتجون.

قال الجنيذ: أتى لهم أوان العذر فيعتذروا، وأي عذر لمن أعرض عن منعمه،
وكفر نعمه وأياديه^(٢).

ولم يقل: «فيعتذروا»؛ لأنَّ معناه لا ينطقون^(٣) بالحجة ولا يؤذن لهم ثم
يعتذرون^(٤).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمٌ أَلْفَصَلٌ ﴿٣٨﴾﴾ أي: الحكم بين الخلائق كلهم
﴿جَمَعَكُمْ﴾ يا أُمَّة محمد ﴿وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ من الأمم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ لهم حيلة ومكر
يقدرون عليه ﴿فَكِيدُونِ ﴿٤٠﴾﴾ واحتالوا لأنفسكم، لا تنجوا من عذابي^(٥) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾﴾ بالإيمان والبعث.

ثم بين الله مستقر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٢﴾﴾ أي: في خيام
من الدرر، وظلال الأشجار، وعيون الأنهار ﴿وَفُوكَةٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٣﴾﴾ كُؤًا وَشَرْبُوهَا هَنِيئًا
من طعام الجنة وشرابها، لا تخافون منه سوء عاقبة ولا داء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾
من الإيمان والطاعات في الدنيا.

(١) البيت للأعشى، وهو في تهذيب اللغة ١٢/١٢٠، وتفسير أبي الليث ٣/٥٣٤، والكشف
والبيان ٢٨/٢٩٣، الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٦٤.

(٢) الكشف والبيان ٢٨/٢٩٤.

(٣) في الأصل: يمتطون، وهو تصحيف.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٣/١٠٣، البسيط ٢٣/١٠٣، التبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٦٥.

(٥) البسيط ٢٣/١٠٥.

﴿إِنَّا كَذَّلَكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٤) من المؤمنين في الجنة.

ثم رجع إلى ذكر الكفار فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٥) ﴿كُلُوا وَامْتَعُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿إِنَّكُمْ تُجْزَمُونَ﴾ (٤٦) ﴿كَافِرُونَ لَا حِطَّ لَكُمْ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧) ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا وَصَلُّوا﴾ ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨) ﴿لَا يُصَلُّونَ﴾.

وقال بنو ثقف: الصلاة مشقة علينا ما بقينا، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) بقضية الصلاة ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠) إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا حديث أصدق منه، ولا دعوى أبلغ من دعوة محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

قيل: إن تكرار قوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مفيد جدًا خلافا لما قاله بعض أهل الزيغ، لأنه ذكر بين كل وعيد (٢)، فصل كلامهم ثم بنى عليه التوعيد، فكان التوعيد راجعا إلى ما يليه من الكلام، والله أعلم.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة والمرسلات كُتِبَ له أنه ليس من المشركين المُكذِّبين» (٣).



(١) وهو قول مقاتل، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣٥، والكشف والبيان ٢٨/ ٢٩٥.

(٢) في الأصل: لكل لو عيد.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٢٦٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٤.

سورة عم يتساءلون

مكية^(١)، أربعون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١) الأصل فيه: عمّا، فحذفت الألف للفرقة بين ما للاستفهام والخبر، كقوله ﴿فَبِمَ نُبَشِّرُونَ﴾^(٢).

والأصل فيه -في عم-: عن ما، إلا أن النون شاركت الميم في الغنة فأدغم فيه^(٣).

والمعنى: عن أي شيء يتساءلون، توبيخ على صورة الاستفهام ثم بين وقال: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾^(٤) يعني: القرآن، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم كقوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^(٥) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ^(٦)﴾^(٤).

وقيل: النبأ العظيم هو القيامة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٧).

وقيل: هو البعث^(٥).

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾^(٨) بين تصديق وتكذيب.

ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ رد عليهم اختلافهم، وقيل: حقاً ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾^(٩) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿وَعِيدٌ عَلَىٰ إِثْرٍ وَعِيدٌ، أي: سيعلمون عند الموت ما يفعل بالمكذبين.

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨ / ٣٠١، زاد المسير ٤ / ٣٨٧.

(٢) وإحدى وأربعون في البصري، البيان في عد أي القرآن ٢٦٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥ / ٢٧١.

(٤) وهو قول مجاهد (تفسير الطبري ٢٤ / ١٤٩).

(٥) تفسير الطبري ٢٤ / ١٥٠، تفسير أبي الليث ٣ / ٥٣٦.

ثم نبّه على قدرته: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝٦﴾ مقامًا ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ ثباتًا للأرض كيلا تميل ﴿وَحَفَلْنَاكُمْ أَرْوَاجًا ۝٨﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ استراحةً لأبدانكم ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ سترًا ومسكنًا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ مطلبًا للمعيشة ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ غلاظًا، غلظ كل سماء خمس مائة عام ﴿وَجَعَلْنَا ۝١٣﴾ الشمس ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ وقادًا مُضيئًا^(١).

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ يعني السحاب، وقيل: الرياح^(٢).

﴿مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ أي: صبابًا، والماء متجوج، وأقام الفاعل مقام المفعول، يُقال: ثججته فثج أي: أصيبته فصب^(٣).

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ أي بالمطر ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ يعني الحبوب كلها وألوان النبات ﴿وَجَعَلْنَا الْفَأَّ ۝١٦﴾ بساتين^(٤) ملتفة.

وقال الزجاج: كل ما يحصد فهو حبٌّ، وكل ما تأكله الدواب فهو نبات^(٥).

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ۝١٧﴾ ميعادًا، يبعث فيه الأولين والآخرين ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ يعني: تأتي كل أمة مع إمامهم ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝١٩﴾ قرئ: بالتخفيف لأجل لفظ السماء، وبالتشديد لتكثير الأبواب^(٦)، فصارت أبوابًا متشقة لنزول الملائكة^(٧).

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٧٢.

(٢) الكشف والبيان ٢٨/ ٣٠٨.

(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ٤٧٠، البسيط ٢٣/ ١٢٤.

(٤) في الأصل: تين، سقطت: بسا.

(٥) معاني القرآن له ٥/ ٢٧٢.

(٦) قرأ الكوفيون بالتخفيف، وقرأ الباقون بالثقل (النشر ٢/ ٣٦٤).

(٧) الكشف والبيان ٢٨/ ٣١٧.

﴿وُسَيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ من أماكنها ﴿فَكَانَتْ﴾ فصارت ﴿سَرَابًا﴾ ﴿٢٠﴾ أي: تُرى كأنها

سراب^(١).

وقيل: صار ماءً بين السماء والأرض^(٢).

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ﴿٢١﴾ ترصد أعداء الله، تشهق مرة وتزفر أخرى، إلى أن

يُلْقَى فيها أهلها فتسكن.

وقال أبو سهل: مِرْصَادًا لَأَنَّهَا عَلَى الْمَمَرِ^(٣).

﴿لِّلظَّالِمِينَ مَاءٌ بَارِدٌ﴾ ﴿٢٢﴾ وهم الكفار، أي: مرجعاً لهم ﴿لِّلْبَاقِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ﴿٢٣﴾

والحقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، وكل يوم ألف سنة من أيام الدنيا.

وقد فسّره بغير هذا التفسير من المقادير، وهذا أقرب، ذكره الكلبي رحمه الله.

ولا تَعْلَقُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِمَنْ يَنْكُرُ التَّائِيدَ فِي النَّارِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ الْأَحْقَابَ

وَلَمْ يُقَدِّرْهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: مِائَةٌ حَقْبَ، وَلَا أَلْفَ حَقْبَ، وَلَكِنْ قَالَ: أَحْقَابًا، فَكُلَّمَا مَضَى حَقْبٌ يَخْلُفُهُ حَقْبٌ آخَرٌ، إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى^(٤).

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ ﴿٢٤﴾ والبرد: النوم، لأن بالنوم تخرج الأنفس فتبرد

الأجسام، ولا شراباً بارداً، إنما يشربون: ﴿[إِلَّا] حَمِيمًا﴾ حَارًّا ﴿وَعَسَاقًا﴾ ﴿٢٥﴾ متناً.

قوله: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ ﴿٢٦﴾ أي جوزوا وفق أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ لا يقرّون

بالبعث ﴿لَّا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ وقيل: لا يخافون الحساب.

(١) البسيط ٢٣/١٢٦.

(٢) غريب لم أقف عليه.

(٣) الكشف والبيان ٢٨/٣١٨.

(٤) وهو معنى قول الحسن (الكشف والبيان ٢٨/٣٢٥).

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ ٣٨ ﴿بالتشديد، وهو مصدر مكذب، وقرئ: «كِذَابًا» مصدر آخر منه^(١).

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ كتبناه في اللوح المحفوظ ﴿كِتَابًا﴾ ٣٩ ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم ذوقوا ﴿فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ٤٠ ﴿على العذاب. قال ابن عباس والضحاك: هي أشد آية في القرآن^(٢).

﴿إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ مَقَارًا﴾ ٤١ ﴿والمفاز والفلاح واحد، أي: يفوزون بالبقاء في الجنة، ثم فسر المفاز وهو موضع الفوز^(٣).

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ ٤٢ ﴿بساتين فيها كُرُمٌ﴾ ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ ٤٣ ﴿أي: جوارٍ [لسن] بسنٍ صغارٍ لا يصلحن للغشيان، ولا كبارًا يُعَافِ ميسهن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ٤٤ ﴿والدهاق: الملائى، والكأس: إذا لم يكن فيه شراب لا يُسَمَّى كأسًا^(٤).

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي: في الشراب يمينًا كاذبة ﴿وَلَا كِذَابًا﴾ ٤٥ ﴿تكذيب بعضهم لبعض؛ كما في شراب الدنيا، يشربون الحرام ويلغون ويكذبون ويكذبون ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ ٤٦ ﴿كافيًا، من قولهم: حسبي ذلك، أي: كفاني.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ٤٧ ﴿لا يقدر الخلق أن يكلموه إلا بإذنه.

(١) قرأ الكسائي بتخفيف الذال (النشر ٢/ ٣٩٧).

(٢) أي على الكفار، هكذا رواه الطبري في تفسيره ١٦٩/ ٢٤ عن عبد الله بن عمرو، ونقله

الواحدي عن الضحاك (البيضا ٢٣/ ١٣٦).

(٣) البيضا ٢٣/ ١٣٦.

(٤) تفسير الطبري ١٧٣/ ٢٤، تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٤، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٧٥.

وقيل: لا يملك أحدُ شفاعته لغيره إلا بإذنه.

ولا حُجَّة في الآية لمن أنكر رؤية الله لأن هذا يكون من وقتٍ دون وقتٍ.

ولأنَّ هذا موصول بقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ وذلك الوقت لا يُكَلِّم أحدٌ أحدًا من هَيْبَةِ رب العرش وهول يوم الحشر.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ ملكٌ على صورة الإنسان، يقوم عن يمين العرش صفًا واحدًا، ويقوم الملائكة كلهم صفًا.

وعن مجاهد: أن الرُّوح خَلَقَ ليسوا من الملائكة، لهم رؤوسٌ وأيدي وأرجل، وهم يأكلون ويشربون.

ولعله استدللَّ عليه بقول الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [فرق]^(١) بين الروح والملائكة.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ بالشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال في الدنيا قولاً صواباً، وهو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿ذَلِكَ أَلْيَوْمُ الْحَقِّ﴾ الكائن لا مُحَالَة، وهو حق أي: عدل ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا﴾ أي: مرجعاً بالطاعة فليتخذ.

ثم خَوَّفَ كفار مكة: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ في الآخرة، إن كل ما هو آتٍ قريب ﴿يَوْمَ يُنْظَرُ أَلْمَرَّةُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ورجلاه وعيناه، أي: يرى كل أحد ثواب طاعته وعقاب ومعصيته.

﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرْبًا﴾ قال مقاتل: يجمع الله تعالى الدواب والوحوش والسباع والطيور فيقضي بينهم، حتى تقتص الجماء من القرناء، ثم يقول

(١) هاهنا كلمة ساقطة، لا يصعب تخمينها، لعلها كما أثبت أو: عطف، أو: غير.

الله تعالى لهم: من ربكم؟ فيقولون: الرحمن الرحيم، وكان الخلاق كلهم وقوفاً ينظرون إليهم، فيقول لهم عز وجل: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم، وكنتم لي مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي خلقتكم، فيصرون تراباً، وذلك التراب هي القترۃ التي ترهق وجوه الكفار لقوله ﴿تَرَهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٤١).

فحينئذ يتمنى الكافر أن يكون تراباً، أي: يتمنى أن يكون خنزيراً أو دُبّاً فيصير تراباً ولا يُحاسب بعمله^(١).

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ [قرأ] سورة عم يتسائلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة»^(٢).



(١) تفسير مقاتل ٣/ ٤٤٤.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٣٠٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٥.

سورة النازعات

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وهي خمسٌ وأربعون آيةً ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ^(١) هم الملائكة ينزعون الأرواح من الأبدان ^(٣).

قال مقاتل: هو ملك الموت يُخرج روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصُوف المُبتل، يخرج نفسه من حلقه كما يخرج روح الغريق في الماء ^(٤).

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ ^(٢) هو ملك الموت ينشط روح الكافر من قدمه أو حلقه نشطًا عنيفًا. وقيل: تنشط روح المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير بالرفق ^(٥).

قال أبو سهل: النازعات: هم الرُّماة في سبيل الله، وهو الذي ينزع القوس من النبل إغراقًا، والناشطات: اللذين ينشطون من وادٍ إلى وادٍ كما ينشط الثور البري من أرضٍ إلى أرضٍ ^(٦).

ثم قال: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ ^(٣) هي: الخيل إذا جَرَتْ بالفرسان جريًا شديدًا ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ ^(٤) هي الخيل العراب تسبق البراذين إلى الغارة ^(٧).

(١) بالإجماع، الكشف البيان ٢٨/ ٣٦١، زاد المسير ٤/ ٣٩٣.

(٢) وست في الكوفي (البيان في عد آي القرآن ٢٦٣).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ١٨٥.

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٤٤٥.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ١٨٧، الكشف والبيان ٢٤/ ١٨٧.

(٦) وهذا على قول عطاء، رواه الطبري ٢٤/ ١٨٦، البسيط ٢٣/ ١٥٦.

(٧) وهو غريب، حكاه الماوردي عن ابن شجرة (النكت والعيون ٦/ ١٩٣)، وعنه ابن الجوزي

في زاد المسير ٤/ ٣٩٤.

وقيل: طيران الملائكة في السماوات يسبقون الشياطين بالوحي إلى الأنبياء^(١).

﴿فَالْمُدْرِتِ أَمْرًا﴾ هم الملائكة فَوْضَ لهم تعالى تدبير العباد...^(٢)، مثل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل^(٣).

وقيل: هم أمراء أجناد الغزاة، يُدبِّرون أمر الحرب.

وهذه كلها قسمٌ، وقيل: جوابه محذوف، ومعناه: لتبعثن^(٤) وقيل: جواب القسم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ والبعث أولى بكونه جوابًا.

بَيْنَ مَتَى يُبْعَثُونَ فقال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ والراجفة: الاضطراب، أي: تزلزل الأرض في النفخة الأولى ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادَّةُ﴾ النفخة الثانية ﴿فُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي مضطربة ﴿أَبْصَرُهَا﴾ وتلك القلوب ﴿خَشِعَةٌ﴾ خاضعة ذليلة، وهم الذين كانوا مُنكرين للبعث، قيل: القلوب مضطربة والأبصار خاشعة شاخصة^(٥).

﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ وهو أول حال الرجل وشبابه لغةً، والمراد به: الحياة الثانية، وهو إنكار البعث.

﴿إِنَّا لَكَا عَظْمًا مَّخْرَجَةً﴾ بالية، وقرئ: ناخرة.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: ذات خسر، وقيل: مخسرة، يعني: لو بُعثنا خسرنا ولكن كُذِّبَ محمد، ولعنهم الله على إنكارهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي: صيحة من صيحات إسرافيل يسمعونها وهم في بطون الأرض ﴿فَإِذَا

(١) وعليه الجمهور (البيوط ٢٣/١٦٦).

(٢) في الأصل هنا: اتهم، وهي مقحمة لا معنى لها، وقد ذكر هذا القول أبو الليث في تفسيره ٥٤٢/٣.

(٣) نقل الواحدي الإجماع على هذا القول (البيوط ٢٣/١٦٧).

(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن ٣/٣٣١.

(٥) الكشف والبيان ٢٨/٣٨٠.

﴿هُم﴾ جميعاً ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ ﴿١٤﴾ أي: وجه الأرض ^(١).

وقيل: الساهرة اسمٌ من أسماء القيامة لأنها تسهر، ولأن نوم الخلائق وسهرهم على الأرض ^(٢).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأَوْدِ الْمَقَدَسِ ﴿المُطَهَّرِ﴾ ﴿طَوًى﴾ ﴿١٦﴾ أي: لم يكن لك ولا لقومك به علمٌ لأنه بمدين.

وطوى: اسم وادٍ كلم الله فيه موسى، ولكن أخبرتك عن حاله، ناديته ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿١٧﴾ أي: تكبر وعلا وادّعى الربوبية ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزُكَّ﴾ ﴿١٨﴾ أي: تزكاً وحداً وتفعل الخير ﴿وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَحْتَنِي﴾ ﴿١٩﴾ أدلك على وحدانية الله وصفاته فتوحدوه.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ ﴿٢٠﴾ اليد والعصا ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ أي: أعرض عن الحق وهو يسعى في غلبة موسى وقهره بجمع السحرة ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ ﴿٢٣﴾ جمعهم وقال في خطبته: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: ربكم ورب أصنامكم ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: عاقبة عقوبة كلمته الأخيرة؛ وكلمته الأولى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ والآخره قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿٢٦﴾، وكان بين كلمتيه عشرون سنة، وأخذه الله بعد كلمته الآخرة بأربعين سنة ^(٣).

ويقال: نكال الأولى الغرق ونكال الآخرة النار ^(٤).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما نزل من القرآن ﴿لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَحْشَىٰ﴾ ﴿٢٧﴾ فاعتبروا به يا أهل مكة.

(١) وهو المشهور من أقوال أهل التأويل وقول جميع أهل اللغة وأكثر المفسرين كما قال الواحدي (تفسير الطبري ١٩٧/٢٤، البسيط ١٨٢/٢٣).

(٢) غريب، لم أقف عليه.

(٣) تنوير المقباس ٥٠٠.

(٤) تفسير أبي الليث ٥٤٣/٣.

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ ^(١) وَتَمَّ الْكَلَامَ ههنا، ثم ابتداء فقال: ﴿بَنَاهَا﴾ ^(٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا ﴿أَي سَقَفَهَا فِي الْهَوَاءِ﴾ ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ ^(٢٨) ﴿مِنَ الْفُطُورِ وَالْعُيُوبِ﴾ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أَظْلَم ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ^(٢٩) أُبْرَزَ قَمَرَهَا، وَقِيلَ: شَمْسَهَا.

﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ^(٣٠) معناه مع ذلك، ويُقال: بعد خلق السماء دحاها أي بسطها على وجه الماء ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾ ^(٣١) وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ^(٣٢) ثَبَّتَهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ﴿مَتَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُرُّ﴾ ^(٣٣) لَكُمْ حُبُوبِهَا وَلِأَنعَامِكُمْ قُشُورَهَا. ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ ^(٣٤) وَهِيَ الصَّيْحَةُ الَّتِي تَطُمُّ كُلَّ شَيْءٍ، أَي: تَعْلُو.

وَجَوَابُ الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ، وَجَوَابُهُ: عَلِمُوا وَعَايَنُوا مَا وُعدوا ^(٢).

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ^(٣٥) أَي يَنْدَمُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَهُوَ النَّصْرُ بْنُ الْحَارِثِ.

﴿وَبُورِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ ^(٣٦) أَي: أَخْرَجَتْ وَأَظْهَرَتْ لِكُلِّ ذِي عَيْنٍ وَبَصِيرٍ.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ^(٣٧) تَكَبَّرَ وَعَصَى ﴿وَوَآثَرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(٣٨) عَلَى الْآخِرَةِ ﴿فَإِنَّ

الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ^(٣٩) أَي: مَأْوَاهُ، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ: تَدُلُّ عَلَى الضَّمِيرِ ^(٣).

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ^(٤٠) أَي: قِيَامَ نَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ لِلْحِسَابِ ﴿وَنَهَى

النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ^(٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ^(٤٢) أَي: مَأْوَاهُ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ^(٤٣) مَتَى وَقْتُهَا وَقِيَامُهَا.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ^(٤٤) أَي: فِيمَا أَنْتَ مِنْ عِلْمِهَا وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ ذَلِكَ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَنِّئًا﴾ ^(٤٥) أَي: غَايَةَ عِلْمِ قِيَامِهَا.

(١) أتم الآية في الأصل، والتمام المذكور على لفظة: السماء، بدليل أنه سيعيد لفظة: بناها.

(٢) وقال الزجاج: جوابه ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ^(٣٧) (معاني القرآن ٥ / ٢٨١).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥ / ٢٨١.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنِ يَخْشَاهَا﴾^(٤٥) بالقرآن تخوفهم بها.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في نعيم الدنيا وسرورها ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾^(٤٦) أي: كأنهم إذا عاينوا أهوال القيامة لم يَلْبَثُوا في الدنيا إلا عشيّة من آخر النهار، أو ضحاها: وهو أول النهار.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة النازعات لم يكن قدر حسابه يوم القيامة إلا بقدر صلاة مكتوبة ثم يُدخله الله الجنة»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣١٦/٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٦.

سورة عبس

مكية^(١)، وهي أربعون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ﴾ هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الخطاب كرامة ومزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه ذكر عبوسه ولم يخاطبه، وكره أن يخاطبه بالعبوس، فلم يقل: عبست، فلما تجافى الكلام عن العبوس خاطبه وقال: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ ۚ﴾.

وقضية ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع عمه العباس بن عبد المطلب، ومع أمية بن خلف، وهو مُقْبِلٌ بوجهه عليهما طمعاً في إسلامهما، فبينما هم على ذلك إذ دخل عليه عبد الله بن أم مكتوم، وهو عبد الله بن سرح الأعمى، فقال: يا رسول الله علّمني مما علّمك الله، فعبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وأعرض عنه، وأقبل على العباس وأمّية بن خلف. وقال مُجاهد: كان عنده عُتْبَة وشيبة^(٣).

فأنزل الله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١)﴾ أَعْرَضَ محمد عن جواب الأعمى إذ جاءه^(٤).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/٤١٣، زاد المسير ٣٩٩/٤.

(٢) في الشامي، وإحدى وأربعون في المدني الأول والبصري، واثنان وأربعون في الباقي (البيان في عد آي القرآن ٢٦٤).

(٣) رواه الطبري في التفسير ٢٤/٢٢٠.

(٤) روي عن عائشة وعن ابن عباس من طريق العوفي، وطائفة من التابعين، انظر: تفسير الطبري ٢٤/٢١٧، الكشف والبيان ٢٨/٤١٦، زاد المسير ٤٠٠/٤.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يا محمد، عدل عن المغايبه إلى المخاطبة ﴿لَعَلَّهُ يُزَكِّي﴾ أي: يتزكى، يصلح بما سألك عن علمه ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ﴾ أي: يتعظ لموعظتك فتنبه العظة.

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ يقول: من استغنى عن الله بزعمه؛ أو استغنى عن موعظتك؛ فأنت له تصدَّى.

وأصله: تتصدد لأن الصَّدَدَ هو القرب، يعني: يتقرب إليه، ولكن اجتمعت ثلاث دالاتٍ فقلبت الدال الأخيرة ياء، كقوله: يتمطى.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ أي: لم يصلح ولم يؤمن من استغنى عن الله.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ ٨ ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ٩ أي: يسعى في المشي إلى مرضات الله ويخشى ربه بقلبه، وقيل: يخشى في المشي كعادة العُمَيَّان. ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ ١٠ تتشاغل وتعرض بوجهك عنه.

قيل: ما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة في وجه فقير قط، ولا تصدَّى قط، حتى لحق بالله.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ١١ هو ردع، يعني: لا تفعل مثله يا محمد، إنها تذكرة، أي: هذه السورة تذكرة موعظة.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ ١٢ أي: اتعظ به.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ ١٣ أي: هذا القرآن مكتوب في كتب مُكْرَمَةٍ على الله تعالى وعلى الملائكة ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ إلى السماء السابعة ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ من أيدي الكفرة، بل هو ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ١٤ وهم ملائكة في السماء الدنيا ﴿كِرَامٍ﴾ على الله تعالى ﴿بَرَزَةٍ﴾ ١٥

جمع بَارٌّ، وهو: المطيع^(١).

﴿قُلِ الْإِنْسَنُ﴾ أي: لعن الكافر وهو عُتْبَةُ بن أَبِي لهب ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿لربِّه، على وجه التعجُّب حيث كَفَرَ: «بالنجم إذا هوى»^(٢).

﴿مَنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ﴿١٨﴾ أي: هَلَا يتفكَّرُ في أصل خِلقته، وهو: ﴿مَنْ نُظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ ﴿٢٠﴾ على ما يشاء من خلقه ﴿ثُمَّ السَّيْلَ يَسَّرُهُ﴾ ﴿٢١﴾ أي سبيل الخروج من بطن أمِّه، وقيل: سبيل الخير والشر^(٣).

﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ﴾ ﴿٢١﴾ أي: جعله ممن يُقْبَر ولا يُطْرَح في المزابيل كالبهائم.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ ﴿٢٢﴾ أحياء بعد الموت.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾ ﴿٢٣﴾ أي: لم يَقُمْ بأمر الله تعالى فيما أمره.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ وليتأمل فيما أنعم الله عليه ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ﴿٢٥﴾ أنزلنا المطر إنزالاً ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ﴿٢٦﴾ صدعناها بالنبات صدعاً ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ ﴿٢٧﴾ أي: أنواع الحبوب ﴿وَعِنَبًا﴾ ﴿٢٨﴾ كُروماً ﴿وَقَضْبًا﴾ ﴿٢٩﴾ وهو القَتَّ ما ييس^(٤)، والقضب: الرطب^(٥).

﴿وَرَزَقْنَاهَا وَنَحَلْنَا﴾ ﴿٣٠﴾ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ﴿٣١﴾ أي: البساتين فيها أشجار غلاظ طوال

(١) البسيط ٢٣/ ٢٢٠.

(٢) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٢٨/ ٤٢٨).

(٣) قولان مشهوران، واختار ابن جرير الأول لدلالة السياق (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٢٤، البسيط ٢٣/ ٢٢٣).

(٤) تهذيب اللغة ٨/ ٢٧٢، البسيط ٢٣/ ٢٢٩.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٨، تفسير الطبري ٢٤/ ٢٢٦، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٨٦، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٤٨، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٤١، زاد المسير ٤/ ٤٠٣، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٢١.

﴿وَفَكِهَةً وَأَبًا ۖ﴾ (٣١) والأب: الكلاء كله للدواب.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن الأب، فقال رضي الله عنه: أيُّ سماء تُظِلُّني وأي أرض تُقَلِّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم^(١).

وعن عمر أنه سُئِلَ عن الأب - وقد اختلفت الصحابة فيه - فقال عمر: آمنا به كُلُّ من عند ربنا^(٢).

﴿مَتَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَكُمُ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۖ﴾ (٣٢) وهي التي تكون عند القيامة، صوت تصيح^(٣) الأسماع أن يُصمها ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ ﴿وَصَحْبَتِهِ ۖ﴾ (٣٥).

وقيل: معناه يَفِرُّ المرء من أخيه: قابيل من هابيل، وأُمُّه وأبيه: محمد عليه الصلاة والسلام من أمِّه وأبيه، وكذلك إبراهيم من أبيه آزر، وصاحبه: هو لوط النبي عليه السلام من زوجته^(٤).

﴿وَبَيْنَهُ ۖ﴾ (٣٦) هو آدم ونوح من أولادهما.

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ﴾ (٣٧) يُشغله ويكفيه.

﴿وَجُودُهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ﴾ (٣٨) لأهل السعادة، أي: مُضيئة من قيام الليل والتهجد.

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ﴾ (٣٩) عليها أثر السرور.

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨ / ٤٤٥.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢٤ / ٢٢٩، بنحوه.

(٣) قال ابن جرير: «ذكر أنها اسم من أسماء القيامة، وأحسبها مأخوذة من قولهم: صاخ فلان لصوت فلان: إذا استمع له، إلا أن هذا يقال منه: هو مصيح له، ولعل الصوت هو الصاخ، فإن يكن ذلك كذلك، فينبغي أن يكون قبل ذلك لنفخة الصور» (تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣١).

(٤) وهو مروي عن الحسن (الكشف والبيان ٢٨ / ٤٥٠).

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غُبَارٌ اغْبَرَّتْ بالبلاء الذي نزل بها.

﴿تَرَهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يعلوها سواد كاللُذْخَانِ.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ﴾ الكفرة بالله، الفجرة الكَذْبَةُ على الله.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أبي كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/٤١٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٧.

سورة كُورَت

مكية^(١)، وهي تسع وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ أي: جُمع ضوءها ونورها، كما تُلف العمام، فتُلقي في حجاب النور^(٣).

والكُور في اللغة هو الجمع، وفي الحديث: «نعوذ بالله من الحُور بعد الكور» ومعناه التشيت بعد الألفة، والتفريق بعد الجمع، والنقصان بعد الزيادة.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ②﴾ أي: تساقطت وتناثرت، قيل: إن السماء تمطر حتى لا يبقى في السماء نجم، وانكدارها: انكبابها على وجهها^(٤).

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ من أماكنها فصارت سربابًا، وسويت الأرض كما كانت أول مرة.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④﴾ النوق الحوامل التي أتى عليها عشرة أشهر، عطّلت: أي عطّلها أربابها اشتغالا بأنفسهم، والناقة العُشراء أحسن ما تكون جميع الأوقات، فلا تعطّل إلا لأمر صعب^(٥).

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤﴾ جُمعت للقصاص؛ فيقتص بعضها من بعض^(٦).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨ / ٤٦١، زاد المسير ٤ / ٤٠٥.

(٢) وفي عد المديني الأول وثمان (البيان في عد آي القرآن ٢٦٥).

(٣) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣٨، الكشف والبيان ٢٨ / ٤٦٥، البسيط ٢٣ / ٢٤٥.

(٤) الكشف والبيان ٢٨ / ٤٦٧.

(٥) تفسير أبي الليث ٣ / ٥٥٠.

(٦) وهو قول قتادة، ورجحه ابن جرير لأنه المشهور من لغة العرب (تفسير الطبري ٢٤ / ٢٤٢).

وقيل: حَشَرُهَا مَوْتَهَا^(١)، والأول أجود.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ﴾ فُجِّرَ بعضها في بعضٍ، والعذب والمالح صاراً شيئاً واحداً، والبحار كلها بحراً واحداً^(٢).

وقيل: مُلِئْتُ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ سِيلْتُ^(٣) حَتَّى بَلَغْتُ الثَّوْرَ الَّذِي عَلَى قَرْنِهِ الْأَرْضُونَ، فإذا بلغته فتح فاه فابتلعها كلها، فإذا وقعت المياه في جوفها يبست البحار.

وقال مقاتل: سَجَرْتُ مَعْنَاهُ أَوْقَدْتُ وَجَعَلْتُ نِيراناً؛ يُعَذَّبُ بِهَا أَهْلُ النَّارِ، وَرِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤).

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ﴾ أَي: زُوِّجَتْ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَنَفُوسُ الْكَافِرِ بِالشَّيَاطِينِ^(٥).

وقال ابن عمر: زُوِّجَ الصَّالِحُ مَعَ الصَّالِحِ، وَالْفَاجِرُ مَعَ الْفَاجِرِ، وَالْيَهُودِيُّ مَعَ الْيَهُودِيِّ، وَالنَّصْرَانِيُّ مَعَ النَّصْرَانِيِّ^(٦).

وقال عكرمة والشعبي: زُوِّجَتْ أَي رُدَّتْ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَامِ^(٧).
وقيل: قُرِنَتْ بِأَعْمَالِهَا.

(١) وهو مروي عن ابن عباس من طريق عكرمة (تفسير الطبري ٢٤/٢٤١، الكشف والبيان ٢٨/٤٧٠).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٥٥٠.

(٣) في الأصل: سبَلْتُ.

(٤) وهو قول الثوري وابن زيد (تفسير الطبري ٢٤/٢٤٣).

(٥) من رواية عطاء عن ابن عباس، وهي منقطعة (البيضاوي ٢٣/٢٥٥).

(٦) رواه ابن جرير في التفسير عن عمر ٢٤/٢٤٤. والمصنف ذكره عن ابن عمر، فلعله هكذا في مصادره.

(٧) الكشف والبيان ٢٨/٤٧٩.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ (٨) وكانوا في الجاهلية يدفنون البنات في التراب وهي في حياتها، كراهية لها، وإنما تُسأل تفريعاً لقاتلها، لأنَّ جوابها: إنما قُتلت بغير ذنب.

وَقُرئ: «وإذا الموءودة سألَتْ»، يعني: سألَتْ أبويها بأيِّ ذنبٍ قُتلت (١).

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرتْ ۖ﴾ (٩) لأن المرء إذا مات طُويت صحيفته، فإذا حُشر يوم القيامة نُشرت صحيفته، فيُعْطى كتابه مسطور إما بيمينه أو بشماله.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُؤْتى برجل يوم القيامة، ثم يُؤْتى بتسع وتسعين سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياهِ وذنوبه، ثم تَوَقَّر بالميزان فتوضع في كفة، ثم يخرج له بقرطاسٍ مثل هذا» -وأشار الراوي وهو عبد الرحمن بن عوف بإصبعه، وأمسك بإبهامه على نصف إصبعه- «فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تُوضع في الكفة الأخرى، فترجح على خطاياهِ وذنوبه» (٢).

وقوله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ﴾ (١٠) قال الكلبي: نَزَعَتْ من أماكنها فَطُويت.

وقال الزجاج: قُلعت كما تُقْلَع الصخرة، يُقال: كَشَطَتِ الحبل عن ظهر الفرس وقَشَطَتْه واحد؛ إذا كَشَطْتَهُ، والكاف بدل عن القاف، كما يُقال: لَبَكْتُ الشيء ولَبَقْتُهُ؛ إذا خَلَطْتَهُ (٣).

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۖ﴾ (١١) بالتشديد (٤)، مرة بعد مرة: أوقدت

(١) وهي قراءة شاذة، نسبت لجابر بن زيد وأبي الضحى، الكشف والبيان ٢٨ / ٤٨٥.

(٢) بحو هذا حديث البطاقة، رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، رواه الترمذي ٢٦٣٩.

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٥ / ٢٩١، مع اختلاف في العبارة.

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وحفص وشعبة بخلف: بالتشديد، وقرأ الباقر بالتخفيف

(النشر ٢ / ٣٩٨).

للكفار^(١).

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ ۖ ﴿١٣﴾ قُرْبَتِ لِلْمُتَّقِينَ، ويحتمل أن معناه: دَنَا دخول أهلها فيها.

وجواب هذه الكلمات كلها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ ﴿١٤﴾﴾ من خيرٍ أو شرٍ، وأُثبت على قدر عملها.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۖ ﴿١٥﴾﴾ هي النجوم الخمسة السيّارة التي تقطع المجرة، وهي: زُحل والمشتري والمريخ والزهرة والعطارد^(٢). سُميت: خُنُسًا لرجعتها في مجراها واستتارها^(٣) في مكانها^(٤). وقال الكلبي: لأنها تخنس بالنهار وتظهر بالليل^(٥).

﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۖ ﴿١٦﴾﴾ فالجوار جمع جارية^(٦)، إنما ذكرها بلفظ التأنيث لأنها أموات لا عمل لها بنفسها؛ إلا ما سُخِّرَتْ له، كالنار عملها للإحراق، والماء عملها للإرطاب.

والكُنُوس: جمع كانس من الوحش التي تستخفر في ظل، كالظباء، سُميت كائسة: لأنها تكنس في ظلالها، والنجوم الكائسة: التي تدخل في كناسها، وهو مستترها^(٧).

(١) الكشف والباين ٢٨/٤٨٩، البسيط ٢٣/٢٦٢ أ.

(٢) ويسمى المريخ: بهرام، تفسير الطبري ٤/٢٥١، الكشف والبيان ٢٨/٤٩١.

ويسمى المشتري: البرجيس (معاني القرآن للفراء ٣/٢٤٢).

(٣) في الأصل: واستتارها.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/٢٤٢، معاني القرآن للزجاج ٥/٢٩١.

(٥) وهو قول من قال: إنها النجوم، ولا يختص به الكلبي. البسيط ٢٣/٢٦٥.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/٢٩٢.

(٧) وهو القول الثاني في الخنس، وبه قال ابن مسعود (تفسير الطبري ٢٤/٢٥٢) ومال الطبري

إلى هذا القول، لأن المكانس مأوى الظباء وما شابهها من البقر الوحشي (تفسير الطبري

﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسَّسَ ۝﴾ أقبل وأدبر، وهو ابتداء الظلام وباقي الظلام من آخر النهار^(١).

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝﴾ أسفر وأضاء.

وجواب القسم في هذه الأشياء: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝﴾ على ربه، أي: قراءة جبريل، نزل به من عند رب العالمين.

ثم وصف جبريل فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شدة، ومن قوته أنه رفع قُريات لوط إلى السماء أو قريب منها مع كثرة الخلّاتق فيها وألقاها بمن فيها.

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝﴾ أي: ذو جاهٍ وقدرٍ ومنزلةٍ عند الله تعالى.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ يعني: في أهل السماوات، وثَمَّ: إشارة إلى مكانٍ بعيدٍ ﴿أَمِينٍ ۝﴾ على الوحي.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝﴾ وهذا أيضًا جواب القسم، يعني به النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْهُيْمِينَ ۝﴾ عند مطلع الشمس الأعلى في صورته كما هو، وله سبعمئة جناح، عن أبي الأحوص^(٢).

٢٤/ ٢٥٤)، لكنه قال: وغير منكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الطباء، فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً والجري أخرى، والخنوس بأنات على ما وصف جل ثناؤه من صفتها.

قلت: هذه إحدى فوائد التفسير المأثور، وهو: التوسعة في الأقوال.

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٢.

(٢) في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٦٠ عن أبي الأحوص: وله ستمائة جناح.

وكان رآه من قبل ذلك في غير صورته، وهو دَحِيَّةُ بن خليفة الكلبي^(١).

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾^(٢٤) أي: ليس بُمْتَهَمٍ على وحي الله.

وُقِرَّ بالضاد: أي: ليس هو ببخيلٍ على وحي الله حتى يمنع عن الخلق ولا يُعلمهم.

﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾^(٢٥) كما قال الكفرة: إنما يُعَلِّمه شيطان يُقال له الرِّي^(٣).

ثم قال: ﴿فَإِنَّ تَذَهَبُونَ﴾^(٢٦) يقول: أين تعدلون عن كتابي وأمري، وقال: أيُّ طريق تسلكون فيه أبين من هذه الطريقة التي بيَّنت لكم.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢٧) أي عِظَةٌ ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾^(٢٨) ويُقيم على توحيد الله.

ثم ردَّ المشيئة إلى نفسه فقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٩) ففيه إعلَامٌ أن الإنسان لا يعمل خيراً إلا بتوفيق، ولا شراً إلا بخذلانٍ منه، وأنَّ الخير والشر بقضائه وقدره، يهدي من يشاء إلى الطاعة فضلاً، ويُضل من يشاء عدلاً، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون، ونفع الأفعال وضررها للعباد، فلو كفر الخلق كلهم

(١) قال عامر الشعبي: ما رأى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورته إلا مرة واحدة، وكان يأتيه في صورة رجل يقال له: دحية، فأثاه يوم رآه في صورته قد سد الأفق كله، عليه سندس أخضر معلق الدر (تفسير الطبري ٢٤ / ٢٦٠).

(٢) في الأصل: بظنين، بالمشالة، وعليها جاء التفسير، فالظنين: المتهم، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس، وطريق ابن مهران عن روح، وقرأ الباقون بالضاد (النشر ٣٩٩ / ٢).

(٣) وهذا منقول عن مقاتل والكلبي (انظر: تفسير مقاتل ٣ / ٤٥٧، البسيط ٢٣ / ٢٨١، وتصحف في تنوير المقباس: المرمي).

لم يتتقص من مُلك الله قدر ذرة، ولو آمنوا كلهم وخرُّوا جميعاً في سجدة واحدة إلى نفخ الصور لم يزيدوا في مُلك الله نقيراً، تعالى الله ما أعظم شأنه، وأجل برهانه.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ أراد أن ينظر إلى يوم القيامة رأي العين فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»^(١).

قال: وبلغنا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة كُورَت أعاده الله أن يُفضحه حين تُنشر صحيفته»^(٢).



(١) رواه أحمد ٤٨٠٦، والترمذي ٣٣٣٣، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٨ / ٤٦٢. بإسناد جيد.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨ / ٤٦٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٨.

سورة انفطرت

مكية^(١)، وهي تسع عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٣) معناه: انشقت وانفجرت يوم القيامة لنزول الملائكة وهيبة الرحمن^(٤).

﴿وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْفَثَتْ﴾^(٥) تهافتت وتساقطت.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾^(٦) بعضها في بعض فصارت كلها بحرًا واحدًا^(٧).

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾^(٨) أخرج ما فيها وقلب تراها، وبُعث المؤمن منها^(٩).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾^(١٠) أي: عملت بنفسها وسنت لغيرها من

الطاعة والمعصية، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَّا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾^(١١) فآثارهم: ما سنوها واستن بها غيرهم^(١٢).

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١٣) كان عمر رضي الله عنه [يقول]: إذا

قيل لي ما غرَّكَ بربك الكريم؟ أقول: جهلي يا رب^(١٤).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/٧، زاد المسير ٤/٤١٠.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٦٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/٢٩٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/٢٦٧.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/٥٥٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/٥٥٤، البسيط ٢٣/٢٩٢.

(٧) رواه ابن أبي حاتم عنه، كما في تفسير ابن كثير ٨/٣٤٢، وإسناده لا يصح، وكذا روي عن ابنه وفي الإسناد ضعيف، وروي مرفوعاً من وجه آخر لا يصح كذلك (الكشف والبيان ١٢/٢٩).

وقال منصور بن عمار: لو قيل ما غرَّك بربك؟ أقول: ما علمتُ من فضله على عباده^(١).

وقال مقاتل والكلبي: نزلت الآية في كلدة بن أسيد، ضرب النبي مرة فلم يعاقبه الله، ثم قصد إليه مرة أخرى، فنزلت الآية^(٢).

أي: ما غرَّك بربك أي لم يُعاقبك في الدنيا بكرمه تجاسرت عليه، وهو: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ﴾ بشراً ﴿فَعَدَدَكَ﴾ (٧) أي: جعلك معتدلاً ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾.

قُرئ: بالتشديد، يعني قَوْمَكَ، وبالتخفيف: أي صرفك^(٣).

أي: أي صورة ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (٨) طويلاً وقصيراً وصيحاً وقيحاً.

قال الفراء: التثقيب في العربية أكثر استعمالاً^(٤).

ثم ابتداءً فقال: ﴿كَلَّا﴾ أي: لم تستدلوا على توحيد الله تعالى بهذه الأشياء ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ (٩) أي: الحساب والجزاء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) من الملائكة يحفظون أعمالكم وأقوالكم ﴿كَرَامًا كَتِيبِينَ﴾ (١١) أي: كراماً على الله يكتبون أعمالكم.

ذكر المفسر الكبير: أنهم يكتبون بالسريانية، والحساب يكون بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تحوّل لسانهم إلى العربية^(٥).

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) من الخير والشر فيكتبون.

(١) روى الثعلبي في الكشف والبيان ١٥ / ٢٩ نحو هذه القصص عن طائفة من العلماء.

(٢) وهذا منكر، ولا يعرف في الرواية (تفسير أبي الليث ٣ / ٥٥٤، البسيط ٢٣ / ٢٩٣).

(٣) قرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديدها (النشر ٢ / ٣٩٩).

(٤) معاني القرآن ٣ / ٢٤٤.

(٥) وهذا من أباطيل مقاتل، وقد ذكرها في تفسيره ٣ / ٤٥٩.

قال أبو عثمان رحمه الله: مَنْ لَمْ يَزْجِرْهُ ^(١) عَنِ الْمَعَاصِي مَحَافِظَةُ اللَّهِ وَنَظَرُهُ إِلَيْهِ وَمِرَاقَبَتُهُ إِيَّاهُ فَكَيْفَ يَزْجِرُهُ مَحَافِظَةُ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٧﴾ الْمُطِيعِينَ فِي دَارِ الدُّنْيَا فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ. ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ أَي: ظُلْمَةُ النَّارِ ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ أَي: الْجَحِيمِ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿يَوْمَ يُدَانُ لِسَانُهُ﴾.

معناه: لا يعلمه أحدٌ بالحقيقة بالخبر ما لم يُعَايَنِهِ.

ثم كررها وقال: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿١٨﴾ ثم أخبر عنه فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أَي: لَا تَقْدِرُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا مِنْ شَفَاعَةٍ أَوْ يُنَجِّيه مِنْ عَذَابٍ.

قُرئ: رَفَعًا «يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ»؛ عَلَى الْإِسْتِنَافِ، وَنَصْبًا؛ عَلَى الظَّرْفِ ^(٢).

قال أبو سهل: إِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَوْمُ الدِّينِ فِي يَوْمٍ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ كُلُّهُ يَوْمٌ وَاحِدٌ؟.

جوابه: أَنْ يُقَالَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ طُولُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَكُلُّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِهَا مَقَامُ يَوْمٍ تَامٍّ فِي الدُّنْيَا، فَهِيَ فِي الْجُمْلَةِ يَوْمٌ، وَفِي الْعَدَدِ أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ، فَجَازَ أَنْ يَذْكَرَ سَاعَةٌ مِنْهَا فِي جُمْلَةِ الْيَوْمِ لِأَنَّهُ قَدْرُ يَوْمٍ فِي الدُّنْيَا. قال أبو سهل: فَاعْرِفْهُ فَإِنَّهُ ظَرِيفٌ.

﴿وَالْأَمْرُ يُؤَمِّدُ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ أَي: الْحُكْمُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُلُّهُ لِلَّهِ يَقْضِي بَيْنَ الْعِبَادِ

وَحْدَهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ هُنَا: يَزْجِرُهُ اللَّهُ، وَلَا مَعْنَى لَهَا.

(٢) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ بِالرَّفْعِ فِي الْمِيمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِنَصْبِهَا (النَّشْرُ ٢/ ٣٩٩).

قال أبو معاذ: يوم لا تملك نصب على الصفة، وقيل: نصب لأنه أضيف إلى غير متمكن^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة انفطرت أعطاه الله تعالى بعدد كل قطرة ماء حسنةً وأصلح الله شأنه يوم القيامة»^(٢).



(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٧٥، الدر المصون ١٠/ ٧١٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٢٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٩.

سورة المطففين

مدنية^(١)، وهي ست وثلاثون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الويل: كلمة تُقال لَمَنْ وقع في عذاب وهلكة.

المطففون: الذين ينقصون بالمكيال والميزان، مأخوذ من طف الشيء إذا قرب من أن يتم ولمَّا يتم بعد، وإنما يسمى مطفِّفًا لأنه يسرق الشيء اليسير بالمكيال والميزان، وكانوا يستخفُّون ذلك، فسمُّوا مطففين^(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم بنو آدم طفٌّ صاعٍ لم يملأه»^(٤) أي: انتقص شيء يسير من الامتلاء.

(١) الكشف والبيان ٢٩/٢٩، وحكي في زاد المسير ٤/١٣ ثلاثة أقوال.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٦٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/٢٩٧.

(٤) رواه أحمد في المسند ١٧٣١٣، وابن جرير في التفسير ٢٢/٣١٣ وفي إسناده ابن لهيعة

ضعيف الحديث، وبعضهم قبل رواية العبادة عنه، وهذا منها.

ولفظه: إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم، طف الصاع لم تملئوه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيا، بخيلا جبانًا.

والمعنى: أي قريب بعضكم من بعض. يقال: هذا طف المكيال وطفافه وطفافه: أي ما قرب من ملئه. وقيل: هو ماعلا فوق رأسه. ويقال له أيضا: طفاف بالضم. والمعنى كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقصير عن غاية التمام. وشبههم في

وعن ابن عمر في ذكر السباق: طفف بي الفرس^(١)، أي: انتقص من السبق شيء يسير.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ يعني: إذا كان لهم على الناس يأخذونه وافيًا كاملاً في الكيل والوزن.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ معناه: كالوا لهم من عند أنفسهم، كقوله ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي: قدرنا له منازل، وفي آية أخرى: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: تبغون لها^(٢).
والهاء والميم: في موضع النصب^(٣).

وقيل: هو في موضع الرفع معناه: كالوهم بأنفسهم^(٤).
﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ والكلام فيهما واحد ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يُنْقِصُونَ في الكيل والوزن.
﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ بعد الموت ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هوله.
﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مَنْ قُبُورِهِمُ لِلْمَحَاسِبَةِ يَوْفُونَ سَبْعِينَ مَوْقِفًا، كل موقف ثلاثمائة عام^(٥).

﴿كَلَّا﴾ معناه حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ أي: نسخة أعمالهم في سجين.

نقصانهم بالميكل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى (النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٢٩).

(١) رواه مسلم ١٨٧٠.

(٢) الكشف والبيان ٣٣/ ٢٩.

(٣) وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٩٨.

(٤) أي: كالواهم، وهو غير راجح عند الزجاج والنحاس (إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨).

(٥) تفسير مقاتل ٣/ ٤٦١.

ذكر الكلبي السجين هو: الصخرة الخضراء تحت الأرض السابعة، وهي التي عليها الأرضون، فَعَمَلُ الْفُجَّارِ مَكْتُوبٌ فِي الصَّخْرَةِ لَا يَصْعَدُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ^(١).

وقيل: السجين موضع إبليس في النار.

وقال أهل اللغة: السَّجِّينُ فعيل من السَّجَنَ^(٢).

﴿وَمَا أَزِدْكَ مَا سَجِّينٌ﴾ عظم شأنه وعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة سجين وعلين، ولم يُفسّرهما ثم ذكر كتاب الفريقين في الموضوعين فقال: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مكتوب فيه سيئاتهم ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ﴾ الجاحدين بالله وبالقرآن ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ^(٣) أي: ظلوم غشوم فاجر.

﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ أَيْنُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني الوليد بن المغيرة ﴿كَلَّا﴾ ليس كما يقول ﴿بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الرَّين: الصَّدَأُ، أي: غلب على قلوبهم ظلمة الكفر، كالصَّدَأِ يغلب جوهر السيف^(٤).

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت كنكته سوداء في قلبه، فإن نزع وتاب واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فهو الرّين الذي قال الله تعالى ﴿كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾»^(٤) وهو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ويموت.

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٧، الكشف والبيان ٢٩/ ٥٢، البسيط ٢٣/ ٣١٧. وهو مأخوذ من الإسرائيليات فقد روي نحوه عن كعب الأحبار (الكشف والبيان ٢٩/ ٥٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٨.

(٣) البسيط ٢٣/ ٣٢٤.

(٤) رواه الترمذي ١٦٦٨، وابن ماجه ٢٨٠٢، والطبري ٢٤/ ٢٨٦ بإسناد حسن.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وفي الآية دلالة على رؤية الله في الآخرة، ولولا ذلك لما كانت في الآية فائدة.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ بعد ما يحجبون ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٦﴾ أي: يدخلون النار ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَذَا﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ﴾ ﴿١٧﴾ في دار الدنيا. ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ ﴿١٨﴾ ومعناه علو على علو، لأنه جمعه بالنون والتضعيف.

قال مقاتل: مكتوب في القائمة اليمنى من العرش^(١).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ﴿١٩﴾ عظم أمره.

وقال الفراء: العليون اسم موضع على صورة الجمع وصيغته، كقولنا عشرون وثلاثون^(٢).

ثم قال: ﴿كِتَابٌ مَرْفُوعٌ﴾ ﴿٢٠﴾ مكتوب في لوح من زبرجد تحت العرش، وفي قول مقاتل: على ساق العرش^(٣).

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿٢١﴾ أي: يشهد عمله مقربوا كل سماء حين رُفع من الأرض إلى السماء ﴿إِنَّ الْأَنْبَرِ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ من الجنة.

﴿عَلَى الْأَرْبَابِكِ﴾ أي: السُّرر المضروبة فوقها حجال مُكللة بالدُّر والياقوت ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ إلى أهل النار حين يُعذَّبون. وقيل: ينظرون إلى ما أعدَّ الله لهم^(٤).

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٤٦٢.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٤٧.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٤٦٢.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٨.

﴿تَعْرِفُ﴾ يا محمد ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ إِذَا نظرت إليهم ﴿نَضْرَةَ النَّعِيرِ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: حسنه وطراوته.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ أي: خمر طيبت بالمسك والكافور والزنجبيل ﴿مَخْتُومٍ﴾ ﴿٢٥﴾ خَتَمُهُ، مِسْكٌ ﴿أَي مَشُوبٌ بِالْمِسْكِ، وَهُوَ مَخْتُومٌ.﴾
عن ابن مسعود: المختوم الممزوج^(١).
وختامه مسك أي: طعمه وخلطه.

﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ الشراب ﴿فَلْيَتَنَافِسِ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ أي: فليبادر المتبادرون في الأعمال الصالحة، وقيل: فليرغب الرَّاغبون.

﴿وَمَزَاجُهُ﴾ أي: مزاج هذا الرحيق ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٢٧﴾ وهو عينٌ تجري من فوق رؤوسهم، وبه سُمي تسنيمًا، وقيل: هو أشرف شراب في الجنة^(٢).

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يشربها ويشرب بها لغتان، أي: يشرب المقربون من هذه العين خالصًا، وعامة أهل الجنة ممزوجة بها، لأنه قال ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٢٩﴾، ثم قال ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿٣٠﴾^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ] ﴿٣٢﴾ أَجْرَمُوا: أشركوا في الدنيا، من الذين آمنوا يضحكون ويسخرون بهم.

كان أبو جهل والوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف وأصحابهم إذا رأوا خباب بن الأرت ومقداد بن الأسود وسائر فقراء الصحابة يضحكون منهم، ويتغامزون بنظر العيون^(٤).

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٤ / ٢٦٧.

(٢) الكشف والبيان ٢٩ / ٨١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥ / ٣٠١.

(٤) الكشف والبيان ١٨ / ٨٥.

﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١) ﴿مُعْجِبِينَ لِّضَلَّالَتِهِمْ، وَقُرَىٰ: «فكهين» مسرورين.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ يعني: أصحاب محمد ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (٣٢) ﴿بَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلُوا﴾ أي: ما أرسل المجرمون ﴿عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ (٣٣) ﴿مُسْلَطِينَ.﴾
﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني يوم القيامة ﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤) ﴿أَي: عليهم يضحكون ويستهزؤون﴾ ﴿عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥) ﴿إِلَى الْكُفَّارِ وَكَيْفَ يُعَذِّبُونَ.﴾
ويقال: تفتح من النار إلى الجنة فيقال لهم: هلموا إلى الجنة فيسرعون إليها، فلما وفوا إلى الباب أغلق الباب دونهم، فبقوا في النار، فضحك أهل الجنة منهم^(٢).
قال الله تعالى: ﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) ﴿استفهام بمعنى التقرير، هل جوزي الكفار بما جوزوا﴾ (٣) ﴿بأعمالهم الخبيثة﴾ (٤).

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله لوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم»^(٥).

(١) في الأصل: «فاكهين»، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور، إلا أبا جعفر وحفصا (التيسير ٢٢١، النشر ٢/٣٥٤).

(٢) تفسير الطبري ٢٤/٣٠٤، تفسير أبي الليث ٣/٥٥٩.

(٣) في الأصل: جوزي.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/٣٠١.

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/٣١، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٠.

سورة إذا السماء انشقت

مكية^(١)، وهي خمس وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝﴾ الأصل أن حَرَفَ إذا من جواب سؤال قد سبق، وقيل: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مُلَاقاة الأعمال متى وقتها؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝﴾ انفرجت لنزول الملائكة^(٣).

وقيل: بالغمام الأبيض، أسقط على السماء فانشقت على ما سبق ذكره.

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۝﴾ أي: سمعت، وقيل: استمعت وأطاعت وحق لها ذلك.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝﴾ بسطت بسط الأديم العكاظي، وسويت، فصارت قاعاً صافصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمماً^(٤).

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝﴾ أي: ألقت الكنوز والأموال وتخلت [﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۝﴾]^(٥).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٩٣/٢٩، زاد المسير ٤/٤١٩.

(٢) وفي البصري والشامي وثلاث آيات (البيان في عد أي القرآن ٢٦٨).

(٣) تفسير الطبري ٣٠٩/٢٤.

(٤) الكشف والبيان ٩٦/٢٩، زاد المسير ٤/٤١٩.

(٥) قال الزمخشري (في الكشف ٧٢٥/٤): حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب. أو

اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكويد والانفطار. وقيل: جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه.

وانظر: معاني القرآن للفراء ٣/٢٥٠، معاني القرآن للزجاج ٥/٣٠٣، البسيط ٢٣/٣٥٥.

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۖ﴾ (٦) أي: إنك عاملٌ وساعٍ وتصير إلى ربك بعمل أنت مُلاقيه، أي: ملاق ثوابه^(١).

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ﴾ (٨) هيناً ﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ﴾ (٩) مُستبشراً.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ﴾ (١١) واثبوره واوليله ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ﴾ (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ﴾ (١٣) بكفره لا يههمه أمر الآخرة.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ۖ﴾ (١٤) أي: لا يرجع إلى ربِّه للبعث، ثم قال: ﴿بَلَىٰ ۖ لِيَرْجَعَنَّ إِلَىٰ رَبِّهِ لَا مُحَالَةَ ۖ﴾ (١٥) إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۖ﴾ (١٥) في الأزل، عالم به من غير حاجة إلى اختبار وامتحان.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۖ﴾ (١٦) معناه: أقسم، وكلمة «لا» لرفع منازعة بين القوم في أمر البعث، أي: ليس كما تظنون أقسم بالشفق.

والشفق هو البياض، وقال بعضهم: الحُمْرة^(٢).

والبياض مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه^(٣).

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ﴾ (١٧) أي: ضم وجمع وردَّ إلى مسكنه ما كان منتشرًا من الخلق، والوسق: الحمل أيضًا، والليل حامل للظلمة والنجوم وغيرها^(٤).

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا آتَقَقَ ۖ﴾ (١٨) استكمل واستدار في الليالي البيض.

(١) المعنى: ملاق الله بعملك (تفسير الطبري ٣١٢/٢٤).

(٢) أهل العراق على أن الشفق الحمرة، وعن مجاهد أنه البياض، وقيل هو من الأضداد (تفسير الطبري ٣١٨/٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/١٩.

(٤) الكشف والبيان ١١٥/٢٩، البسيط ٣٦٥/٢٣.

﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩) أيها الناس، حالاً بعد حالٍ، ولا تمكثون على حالة واحدة، حتى تصيرون إلى الله تعالى في الإمامة والإحياء.

وقيل: أراد به إسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سماء إلى سماء، عن الكلبي والشعبي^(١).

وقال أبو سهل: الأَصُوبُ عندي أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أراد بيان حاله، أي: لا تبقى يا محمد على حالة واحدة بل كل يوم تزيد منزلتك، ويعظم شأنك، حتى تعلوهم، والطَّبَقُ في الأصل هو الحال.

قال الشاعر:

إني امرؤ قد حلبت الدهر أشطره وساقني طبقٌ منه إلى طبق^(٢)
يعني: الحال.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) أي: ما الذي منعهم من الإيمان، استفهام بمعنى الإنكار ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (٢١) أي: لا يخضعون لله بالتوحيد. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٢٢) بمحمد والقرآن ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٢٣) أي: يضمرون من عداوته ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا من الذين يوعون عداوته ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢٥) غير منقوص ولا مقطوع. بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة انشقت أعاده الله من أَنْ يُعْطَى كتابه وراء ظهره»^(٣).

(١) وروي عن عبد الله وأصحابه، كما في تفسير الطبري ٢٤/٣٢٤، البسيط ٢٣/٣٦٩.

(٢) البيت للأقرع بن حابس، انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٨٠.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/٩٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥١.

سورة البروج

مكية^(١)، اثنتان وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(١) يعني القصور.

وقيل: النجوم^(٣)، وقيل: منازل عالية تأتيها حملة العرش، وقيل: منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر بُرجًا معروفة^(٤).

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾^(٥) القيامة^(٥).

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(٦) الشاهد الملائكة والمشهود بنو آدم^(٦).

وقيل: الشاهد والمشهود الإنسان لا غير، لأنه جعل عليه منه شاهدًا، بقوله ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧).

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُحُدِّ﴾^(٨) أي: لُعِنُوا وهذا موضع القسم^(٧).

وقوله: قُتِلَ، حملة بعضهم على المعذِّين، وبعضهم على المعذِّين، فإن أراد

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ١٣٥، زاد المسير ٤/ ٤٢٣.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٦٩).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٣١.

(٤) ورجحه ابن جرير في تفسيره ٢٤/ ٣٣١.

(٥) بالإجماع (البيضاوي ٢٣/ ٣٧٩، زاد المسير ٤/ ٤٢٣).

(٦) وقيل: الجمعة وعرفة، وقيل: الإنسان والقيامة، وقيل: محمد والقيامة في أقوال أخرى تحتملها كلها الآية عند ابن جرير (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٣٧، البسيط ٢٣/ ٣٨٠).

(٧) وهو قول جميع المفسرين، الكشف والبيان ٢٩/ ١٥٥، البسيط ٢٣/ ٣٨٤.

المُعَذِّبِينَ فَمَعْنَاهُ اللَعْنُ، وَإِنْ أَرَادَ الْمُعَذِّبِينَ أَرَادَ حَقِيقَةَ الْقَتْلِ^(١).

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ﴾ أي: الحطب كثيرًا، النار بدل عن الأخدود.

وقيل: كان رجلٌ يقرأ الإنجيل أجر نفسه لرجل ليعمل له عملاً، فكان يعمل ويقرأ الإنجيل، وكان للرجل المستأجر ابنة رأت نورًا من قراءة الإنجيل، فأخبرت به أباها، فنظر أبوها إليه رمقًا، فنظر إلى النور، فسأل الرجل عن حاله فلم يُجبه، فلا زال عليه حتى أخبره بالإسلام، فأسلم الرجل وأهل بيته، حتى أسلم ثمانون إنسانًا من بين رجل وامرأة، وذلك بعد رفع عيسى إلى السماء، فأخبر بذلك ملكهم، وهو يوسف بن ذي^(٢) نواس بن شراحيل الحميري، فخذلهم في الأرض أخدودًا وأوقد فيه النار، وكان وقودها النفط والقطران والقصب، فعرض عليهم الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار، وهو قوله ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾^(٣).

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾^(٤) يعني: الملك وقومه حضور، يعاقبونهم بالمشاهدة منهم، وقيل: يشهدون عليهم بالضلال.

عن مقاتل: فارتفعت النار فوق رؤوسهم أربعين ذراعًا فأحرقتهم كلهم، فذلك قوله ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾^(٥).

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٦) وما أنكروا عليهم من ذنبٍ إلا لإيمانهم بالله، وليس بذنب، بل هو فرض من فرائض الله، العزيز الحميد، يعني العزيز: في سلطانه ومملكه، الحميد: عند خلقه في صنائعه.

(١) هذا القول الذي ذكره م نحمله على المقتولين لم أقف عليه عند غيره.

(٢) في الأصل: ردي.

(٣) وهذه رواية مقاتل، كما في تفسيره ٤٦٩/٣، الكشف والبيان ١٧١/٢٩.

(٤) تفسير مقاتل ٤٦٩/٣.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٩ ﴿عالم بأعمالهم.
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾ أي: أحرقوا ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ والفتنة المحنة ﴿فُتِنُوا لَمْ
 يُؤْمِنُوا﴾ أي: لم يؤمنوا.

والتوبة المقبولة عند الله الندم على ما سلف من المعصية، والعزم على ترك
 المعادة عند القدرة عليها مع دعاء الشهوة إليها، فمن لم يكن هذا عزمه فهو على
 الإصرار، وإن أكثر الاستغفار.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقُ﴾ ١٠ ﴿في الدنيا.
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني:
 الذين أحرقوا في الأخدود من المؤمنين ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ١١ ﴿النجاة الوافرة.
 ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٢ ﴿أي: أخذه بالعقوبة لمن لا يؤمن به شديد، انتقامه
 عظيم.

ثم عظم نفسه فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ ١٣ ﴿يبدئ الخلق من النطفة ويعيدهم
 بعد الإماتة ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ١٤ ﴿المحب لأوليائه ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ١٥ ﴿الكريم
 الشريف ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ١٦ ﴿يكونه كيف شاء.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ ١٧ ﴿أي: قد أتاك، استفهام بمعنى التقرير.
 ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ١٨ ﴿بِالَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ﴾ ١٩ ﴿بل يدخل في الكلام
 لاستدراك غلط، أو نفى شيء تقدمه، وههنا لنفي معنى مودع مضمرة في الكلام، كأنه
 قال: إنما ذكرت ما حلَّ بقوم فرعون وثمود وغيرهم من الكفرة ليعتبر قومك
 ويرتدعوا، فما اعتبروا ولا ارتدعوا، بل هم في تكذيب، كما كافريناً^(١).

(١) كذا في الأصل، وفيه خلل، والمراد: كافرين بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولعله نحو ما ثبت
 في الكشاف ٤/ ٧٣٣: وكذبوا أشد من تكذيبهم.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (١٠) عالم بأسرارهم وضمائرهم، وهم في ملكه،
والقدرية لا يفوتونه.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (١١) كريم شريف، وليس كما يزعمون في التكذيب:
أساطير الأولين.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (١٢) من أيدي الشياطين ومن الزيادة والنقصان.

بالكسر: صفة اللوح، وبالرفع: صفة القرآن، والكسر أصوب^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «مَنْ قرأ سورة النجوم أعطي من الأجر بعدد كل يوم جمعة ويوم عرفة يكون
في الدنيا عشر حسنات»^(٢).



(١) قرأ نافع بالرفع: محفوظ، وقرأ الباقر بالكسر (النشر ٢/ ٣٩٩).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٣٦/ ٢٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٢.

سورة الطارق

مكية^(١)، وهي سبع عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالْطَّارِقَ ۝١﴾ كل مَنْ أتى ليلاً فهو طارق، وأراد به النجوم، والله تعالى عَظَّمَ قدر السماء في أعين الخلق؛ بما جعلها مصدر رزقهم، ومسكن أولي الإقرار من خلقه وهم الملائكة، وخلق فيها الجنة، وخلقها بغير عمد تُرَى، فأقسم بها تعظيماً لشأنها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢﴾ التَّجَمُّ الثَّاقِبُ^(٣) وهو المضيء المتلألأ، وهو الذي يبعث برمي^(٤) الشياطين رجماً لهم ليحرقهم ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٣﴾^(٥) جواب القسم، و«ما» صلة في الكلام، يعني: كل نفس لها حافظ يحفظ أجلها ورزقها، فإذا استوفى جميع ذلك قبضه إلى ربه^(٥).

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٤﴾ يعني: المكذّب بالقرآن وبالبعث، ثم بيّن فقال: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٥﴾ أي: مدفوق، كقوله ﴿عِشَّةٍ رَاضِيَةٍ ۝٦﴾ أي: مرضية.

قال الكلبي: مهراق^(٦).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/١٩٥، زاد المسير ٤/٤٢٨.

(٢) في الأصل: تسعة، وهو خطأ، وفي عدد المدني الأول ست (البيان في عد آي القرآن ٢٧٠).

(٣) في الأصل: رمي.

(٤) في الأصل: لما بتخفيف الميم، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور إلا أبا جعفر

وعاصماً وابن عامر وحزمة (التيسير ١٢٦، النشر ٢/٣٩٩).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/٥٦٨، معاني القرآن للزجاج ٥/٣١١.

(٦) أي في رحم المرأة (البسيط ٢٣/٤٠٨).

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧) أي: صُلب الرجل، وترائب المرأة. والترائب من المرأة أوصال أصداع ثمانية، أربعة عن يمينها وأربعة عن يسارها، فوق الصُّدر دون الترقوة^(١).

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) أي: على بعثه من القبر حيًّا، فليعتبر الإنسان في أول خلقه حتى يتيسر له الإقرار.

﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٩) أي: رجعه وبعثه يوم تظهر السرائر ﴿فَمَا لَهُ﴾ أي: للإنسان ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ تمنع العذاب عن نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٠).

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١) أي: المطر والسحاب، سُمِّي رجعًا لأنه يمطر ثم يمطر مرارًا ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢) تنشق عن النبات، وهو شيء لين ضعيف، والأرض غليظ كثيف، فالله تعالى يصدع^(٢) الأرض بلطفه ويخرج منه نباتًا مستويًا غير منكسر، ولا مثنى، ليعلم العاقل أنه قادرٌ على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٣) صدق وحق، فصل الحق من الباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (١٤) اللعب والباطل ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) يا محمد من دار الندوة بك ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (١٦) أُجازيهم جزاء كيدهم ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤْيَا﴾ (١٧) جمع بين اللغتين، والمعنى لا تُجازيهم فإني أُجازيهم عن قريب.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات»^(٣).

(١) يريد ملتقى الأضلاع عن اليمين والشمال، وهو الصدر، ولذا قالوا: الترائب موضع القلادة من المرأة، ونسب هذا إلى الجميع (تفسير الطبري ٣٥٦/٢٤، معاني القرآن للزجاج ٣١٢/٥، البسيط ٢٣/٤١٠).

(٢) في الأصل: يصدف.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٩٦/٢٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٣.

سورة سبج

مكية^(١)، وهي تسع عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١) أي: نزه ربك الذي علا عن السوء، وقل: سبحان ربي الأعلى.

وقال الكلبي: صلّ بأمر ربك، والصلاة تسبيح لأنه يقطع وجوه المعاملات بينه وبين الخلق، ويمنعه عن حوائجه مع العباد^(٣).

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾^(٢) خلق ذي روح على ما أَرادَه، وأفعال العباد لا تخرج سويًا على مُرادهم، بل تتفاوت غالبًا.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(٣) أي: عرّف كل ذكر إتيان أنثى، وقيل: قدر لكل شيء شكلاً في جنسه زوجاً له^(٤).

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾^(٤) أنبت الكلاً الأخضر بالمطر ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾^(٥) أي: جعله يابساً أسود من بعد خضرته^(٥).

﴿سُقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(٦) سنعلّمك القرآن حتى لا تنساه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه.

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/٢٢٧، زاد المسير ٤/٤٣١.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢١٧).

(٣) تنوير المقباس ٥٠٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/٣٦٩، تفسير أبي الليث ٣/٥٧٠.

(٥) البسيط ٢٣/٤٣٥.

قيل: هذا الاستثناء واقع على شيء قليل من القرآن ينسأه بعد الحفظ ثم يحفظ ثانياً بعد النسيان، وهذا اللفظ يُستعمل في القليل مما سبق ذكره، يقول الرجلك أنفقت مالي في الجهاد والصدقة إلا ما شاء الله، كان الاستثناء واقعاً على قليل تركه من المال.

ويجوز أن يكون المراد بالنسيان ترك حكمه بعد النسخ، لأن المنسوخ يُترك حكمه، والنسيان في اللغة هو الترك، قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: تركوه فتركهم^(١).

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أي: ما يعلنه العبد من الأعمال وما يخفيه.

﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ (٨) نُهَوِّنُ عليك تبليغ الرسالة، واليسرى: اسم لكل خير وطاعة، والله تعالى يسرها على المؤمنين بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (١٥).

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٩) يعني: عِظْ بالقرآن أهل مكة إن نفعت العِظَةُ لهم.

وقيل: ذَكَرَ «إِنْ» وأراد به التحقيق لا الشرط، كقوله ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠) يعني: قد كان.

﴿سَيَذَكِّرْكَ مَنْ يُخَشَى﴾ (١١) يتعظ مَنْ يخشى الله تعالى.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشَقَى﴾ (١٢) الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى (١٣) يعني به الوليد بن المغيرة^(٢).

والنار الكبرى هي الدرك السفلى، قيل: إذا ذكر الشقي ذكر التجنب وأضاف الفعل إليه، بقوله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشَقَى﴾ الذي يعني يتجنب الموعظة قصداً، وإذا ذكر التجنب وإضافة الفعل إلى نفسه بقوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾ (١٤) معناه أُجَنَّبَ التقى من النار.

(١) واختاره ابن جرير في التفسير ٣٧١/٢٤، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٣١٦/٥، الكف

والبيان ٢٩/٢٤١، البسيط ٢٣/٤٣٩.

(٢) وهو قول مقاتل (البسيط ٢٣/٤٤٤).

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (١٣) لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه.
 ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ (١٤) أي: ظفر ونجا وسعد من تصدق من ماله، أو أدّى زكاة ماله، وقيل: عني به صدقة الفطر^(١).

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١٥) وذكر اسم ربه بالتهليل للصلاة، وهو حُجَّة أبي حنيفة رحمة الله عليه فيمن افتتح الصلاة بغير لفظ التكبير جاز^(٢).

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) على الآخرة ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧) من الدنيا ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) يعني: الذي ذكر من هذه السورة في كتب الأولين، وهو: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩) صلوات الله عليهما.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الأعلى أعطاه الله في الآخرة عشر حسنات بعدد كل حرف أنزل الله تعالى موسى وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام»^(٣).



(١) وهو قول أبي الأحوص (تفسير الطبري ٢٤ / ٣٧٤، تفسير أبي الليث / ٥٧٢).

(٢) انظر المسألة في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٢.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩ / ٢٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٤.

سورة الغاشية

مكية^(١)، ست وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾ يعني: قد أتاك حديث التي تغشى الناس، وهي: النار، كقوله ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾^(٣).

وقيل: الغاشية هي القيامة، تغشى الصغير والكبير والشقي والسعيد^(٤).

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢﴾ ذليلة خاضعة، خَصَّ الوجه لأنَّ أثر الحزن والسرور يظهر في الوجه؛ بعد ما استحكم في القلب، فالوجه تدل على صاحبها، يعني: صاحبها.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ وهو منصرف إلى الكفار الذين يفرغون أنفسهم عن الطاعة والعمل، فأعملهم الله في النار بمعالجة السلاسل والأغلال، جزاء على ترك طاعة الله وعبادته، لينصبوا ويتعبوا^(٥).

﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ أي تُشَوَّى في نارٍ مُحْرِقَةٍ، إذا قُرأت بالرفع، وبالنصب: تُدْخَل.

(١) في قول الجميع، الكشف والبيان ٢٩ / ٢٦١، زاد المسير ٢٠ / ٢٥.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٧٢.

(٣) زاد المسير ٢٠ / ٢٥.

(٤) روي عن ابن عباس من طريق علي والعمري، وهو قول قتادة والمبرد وغيرهما (تفسير الطبري ٢٤ / ٣٨١، البسيط ٢٣ / ٤٥٦).

(٥) تفسير الطبري ٢٤ / ٣٨٢، بلا خلاف بينهم.

﴿شَقَى مِنْ عَيْنِ عَائِيَةِ ٥﴾ حارة قد انتهت حرها وهي مُتَنَّة ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ٦﴾ وهي: شجرٌ تكون بمكة يُسْمُون لرطبهِ: شبرق^(١)، فإذا ييس يُسْمُونه: ضريعاً، لا تأكله الدواب بعد اليبس لكثرة ما عليها من الشوك^(٢).

و﴿لَا يُسْمِنُ﴾ الدابة أبداً ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ ها ﴿مِنْ جُوعٍ ٧﴾ وقيل: أهل النار تأكل منه ثم يصرعون ويخدعون من شدة ما بهم من أكله منه، سُمي ضريعاً^(٣).

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ٨﴾ أي: مُتَنَمِّعة كما أدركت ثواب أعمالها ﴿لَسَعِيهَا﴾ والمعنى: ناعمة جميلة لسعيها، وهو العمل.

﴿رَاضِيَةٌ ٩﴾ بما أوتي.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٠﴾ مرتفعة الدرجات ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿لَغِيَّةٌ ١١﴾ أي ما يجب أن يُلغا، أو يُؤثم به، أي: صافية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ١٣﴾ إذا حضر وَلِيُّ الله تَطَامَنَتْ، وإذا استوى عليها ارتفعت.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ١٤﴾ كيزان لا عرى بها.

﴿وَنَارِقُ ١٥﴾ أي: وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ ١٥﴾ صُفَّتْ عَلَى البسط كما يُصَفُّ في الدنيا وأزين ﴿وَزَرَائِي مَبْنُوتَةٌ ١٦﴾ هُنَّ: الطَّنَافِسُ، مبسوطة^(٤).

(١) في الأصل: شبرما. وهو تصحيف، وهذا من المشهور في كتب التفسير، انظر: البسيط ٤٦٢/٢٣.

(٢) تفسير الطبري ٣٨٤/٢٤، تفسير أبي الليث ٥٧٤/٣، تفسير السمعاني ٢١٣/٦.

(٣) الكشف والبيان ٢٩/٢٦٩.

(٤) باتفاق المفسرين، تفسير الطبري ٤٧٢/٢٣.

ثم قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ﴾ (١٧) وإنما خصَّ الإبل لأنه اجتمع فيه نفع من سائر الدواب، وهو الحَمْل والرُّكوب والحلب والأكل والصَّوف.

﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ﴾ (١٨) بغير عمد.

﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ﴾ (١٩) مُرساةً مُثبتة لا تزول.

﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ (٢٠) دُحِيتْ على وجه الماء.

فهذه كُلُّها دَالَّةٌ على إحياء الموتى لمن أنكر ذلك، لأنه أوجدهنَّ - أي الأشياء - من العدم، فأحرى أن يقدر على إعادتها.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ﴾ (٢١) أي: ذكِّر بالوعظ.

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۖ﴾ (٢٢) أي: مُسلِّط حتى تجبرهم على الإسلام أو تقتلهم بالكفر.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، المعنى: فذكِّر إنما أنت مُذَكِّرٌ ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ﴾ (٢٣) ولا يقبل التذكير، ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۖ﴾ (٢٤) في الدنيا، ولست يا محمد عليهم بمسيطر.

ثم قال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ﴾ (٢٥) أي: رجوعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ﴾ (٢٦) أي: جزاءهم.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حساباً يسيراً»^(١).

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩ / ٢٩٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٦.

سورة الفجر

مكية^(١)، وهي تسع وعشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ②﴾ الفجر: هو انفجار الصبح بعد سواد الليل^(٣).

أقسم الله بشق عمود الصبح من أول يوم ذي الحجة^(٤).

وبليالٍ عشر وهي عشر ذي الحجة^(٥).

﴿وَالشَّفْعِ ③﴾ يوم العشر لأنه يوم العاشر ﴿وَالْوَتْرِ ④﴾ لأنه يوم التاسع^(٦).

وقيل: الشفع الخلق كلهم لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ⑤﴾ والوتر: هو الله تعالى^(٧).

وقيل: الشفع آدم وحواء، والوتر: هو الرب عزَّت قدرته^(٨).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/٢٨٩، زاد المسير ٤/٤٣٧.

(٢) في البصري، وثلاثون في الكوفي والشامي، واثنان وثلاثون في المدنيين والمكي (البيان في عدد آي القرآن ٢٧٣).

(٣) وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢٤/٣٩٥).

(٤) وهو قول الضحاك، كما في زاد المسير ٤/٤٣٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٣٩٦، وقال الضحاك: العشر الأول من شهر رمضان (الكشف والبيان ٢٩/٢٩٤).

(٦) أي يوم عرفة وهو التاسع الوتر، ويوم النحر وهو العاشر الشفع (تفسير الطبري ٢٤/٣٩٧).

(٧) رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٤/٣٩٨).

(٨) وحمل ابن جرير الآية على كل شفع ووتر (تفسير الطبري ٢٤/٤٠٠).

﴿وَأَلِيلٍ إِذَا يَسَّرَ﴾ (٤) الحاج فيه من عرفات إلى المزدلفة.

سقط الياء عن «يسر» لوقف رؤوس الآي، وقيل: يعني: ليله يسري فيه لقوله ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ (٥) أي: هل بعد ذلك قسمٌ لذي حِجر.

فيه دليلٌ على أن القسم لا يعرفه إلا ذو الألباب، وكَدَّ القسم ولم يبين ما عقد عليه القسم، ويُقال: جواب القسم «إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمْرَصَاد»^(١)، ومن عادة العرب أنهم يؤكدون الكلام فخطبوا على ما عرفوا.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦) قيل: هما عادان، الأول: عاد إرم، والثانية:

بعدهم، وقيل: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود^(٢).

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧) أي: ذات الأجساد الطويلة، في قول السدي^(٣).

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (٨) في الطول والقوى، طول كل رجل أربعمئة

ذراع، حتى إن الرجل يضرب بقدمه الأرض فيسوخ فيها^(٤).

﴿وَتِثْمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٩) وهو قوم صالح، بنو عم عاد، قطعوا الصخر

بواد القرى ونقبوها، واتخذوا منها قصاعاً، كالجوابي، وبيوتاً^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٢١/٥.

(٢) تفسير أبي الليث ٥٧٨/٣.

(٣) وابن عباس في رواية العوفي، ومجاهد، والضحاك (تفسير الطبري ٤٠٦/٢٤، الكشف والبيان ٣٢٣/٢٩).

(٤) روي عن ابن زيد نحو هذا في تفسير الطبري ٤٠٧/٢٤.

(٥) البسيط ٥٠٤/٢٣.

﴿وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١﴾ قيل: الملك الثابت، وقيل: له خيام ينصبونها أوتاد، وقيل: أوتاد يُعَذَّب بها الناس^(١).

﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ أنزل عليهم عذاباً مترادفةً يتلو بعضها بعضاً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ يرصد عذابه، ينتظر آجالهم حتى يعذبهم، وقيل: معناه إِنَّ عَلَى اللَّهِ الْمَمَرَّ، وإليه المرجع، وهذا موضع القسم^(٢).

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ۝١٥﴾ اختبره بالنعمة فشكر ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥﴾ ولي عنده منزلة، ولو اختبره بالمحنة والفقر شكى ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۝١٦ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝١٦﴾ فمِنَع عَنِّي الرِّزْقَ، يظن أن الكرامة والإهانة على الله في إرسال المال ومنعه.

﴿كَأَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧﴾ رد عليهم ظنهم، أي: ليس كما تظنون، رَبُّ مُكْرَمٍ فِي الدُّنْيَا مُهَانَ فِي الْآخِرَةِ، وَرُبَّ مُهَانَ فِي الدُّنْيَا مُكْرَمٍ فِي الْآخِرَةِ، ثم فسر: الْمُهَانَ عِنْدِي مَنْ لَمْ يُكْرَمِ الْيَتِيمَ ﴿وَلَا تَحْضُرُونَ﴾ أنفسهم ولا غيرهم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝١٨﴾ وبر اليتيم ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝١٩﴾ يعني: الميراث أكلًا لمَّ شديداً.

وقال الزجاج: اللَّمَّ التَّجْمِيعُ، معناه جمعه فأكلوه^(٤).

(١) الكشف والبيان ٢٩ / ٣٢٥.

(٢) البسيط ٢٣ / ٥٠٧.

(٣) ثبتت هذه الأفعال الثلاثة: يكرمون، يحضون، يأكلون، كلها بالياء، وهذه قراءة أبي عمرو ورويس، وروح بخلف عنه، وقرأ الباقر بالتاء، وقرأ أبو جعفر والكوفيون: تحاضون (النشر ٤٠٠ / ٢).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥ / ٣٢٣.

﴿وَنُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ٥١ كثيرًا.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٥٢ أي: زلزلت زلزالاً شديداً، والدك والدك

واحد^(١).

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٥٣ معناه وجاء ربك بالملك، وقد يوضع الواو

موضع الباء، في قصة موسى ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ أي: بسيدك.

وإذا كان الواو موضع الباء كان المراد حضور الملائكة بأمر الله، وإحضار

الملائكة في المجمع كقوله ﴿وَجَوْرْنَا بِنْتِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ أضاف المجاوزة إلى

نفسه؛ لأنه أجازهم بقدرته، تعالى عن الانتقال علواً كبيراً.

وهذا كما قال ﴿فَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ والنفخ من الله تعالى مُحَالٌ، وقال

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ والكتابة ليست من صفة الله، ولكن الفعل حصل بأمره،

فأضافه إلى نفسه إما تعظيماً أو تهويلاً^(٢).

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ فِي كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ٥٤ أي: لا ينفعه الاتعاظ في ذلك

الوقت ﴿يَقُولُ﴾ حيثُ ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ٥٥ الباقية من العمل الصالح

(١) البسيط ٥١٦/٢٣.

(٢) هذا تأويل لصفة المجيء، وقد قال نحوه أبو منصور الماتريدي في تفسيره، فكان المصنف لخص منه.

والحق أن الله عز وجل يأتي يوم القيامة وتأتي ملائكته صفوفاً، وهذا هو قول أهل التأويل، قال ابن جرير: جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً صففاً بعد صف، ثم روى عن ابن عباس خبراً طويلاً (تفسير الطبري ٤١٧/٢٤).

وهو قول الضحاك، نسب المجيء إلى الله وإلى الملائكة، وهو قول مكي في تفسيره الهداية ٨٢٥٦/١٢، وابن كثير في تفسيره ٣٩٩/٨.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ ٤٥ ﴿أَي: لا يعذب أحد كعذاب الله ولا مثل عذاب الله هذا المعذب﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٤٦﴾ أَي: لا يُصَفِّد ولا يغل مثل صفده وغله.
وَقُرِئ: «لا يُعَذِّبُ» و«لا يوثق»، بنصب الذال والثاء^(١)، فيكون الفعل مضافاً إلى المعذب والموثق^(٢).

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ٤٧ ﴿المؤمنة بتوحيد الله المقررة بوعده ووعيده، الآمنة من عذابه.

﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ من الله ﴿مَرْضِيَّةً﴾ ٤٨ ﴿رضي الله عنها.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ٤٩ ﴿ذكر النفس بلفظ الوجدان، ثم أمر بالدخول في جميع العباد، لأنَّ النفس اسم يقع على الجمع من حيث إنها اسم الروح، ويحتمل الروح ويحتمل القلب، فإن أريد به الروح فقوله: «ارجعي إلى ربك» إلى قلبك راضية، وادخلي في عبادي وشفعهم، وإن أريد به القلب لا الروح فقوله: «ارجعي إلى ربك» أي: يعني إلى الله، وادخلي في عبادي من المؤمنين فشفعهم ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ٥٠ ﴿بنفسك، والله أعلم.

قال عبد الحميد الحاکمي -عفا الله عنه-: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الفجر في أيام العشر غفر الله له، ومَنْ قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة»^(٣).

(١) وهي قراءة الكسائي ويعقوب (النشر ٢/ ٤٠٠).

(٢) الكشف والبيان ٢٩/ ٣٥٥.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٢٩٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٦.

سورة البلد

مكية^(١)، وهي عشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١﴾ لا في هذا الموضع ليست لنفي القسم، وإنما هي كقول العرب: لا والله ما^(٣).

وقيل: إنها دخلت في الكلام لدفع منازعة الكفار، أي: ليس كما تقولون، ولكن: أقسم بهذا البلد، ترك سائقة المنازعة لشهرتها، كما ذكر الجواب في بعض الكلام، وترك السؤال، وقد ذكر بعض السؤال من الجواب، وحذف الجواب.

﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾ يوم فتح مكة تقتل مَنْ شئت في الحرم، وتدخل بغير إحرام^(٤).

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ آدم وذريته، وقيل: كل ما له نسلٌ وولادة سوى آدم والآدمي^(٥).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ أي: شدة الحزن، وشدة عمل الذنب، وهذا

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٧٧/٢٩، زاد المسير ٤٤٦/٤.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٧٤).

(٣) أي: لا والله ما أفعل كذا، انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٢٧/٥، تفسير السمعاني ٢٢٥/٦.

(٤) والسورة مكية، ففيه بشرى للنبي صلى الله عليه وسلم، وتحذير وتخويف للمشركين (البيضاوي ٢٤/٨، زاد المسير ٤٤٦/٤).

(٥) تفسير الطبري ٤٣٢/٢٤، الكشف والبيان ٣٨٢/٢٩، وما ولد على هذا القول: أي لم يلد له، وهو العاقر.

موضع القسم^(١).

وقيل: خلقنا الإنسان متصباً، وخلق كل دابة منكساً غير^(٢).

﴿يَحْسَبُ﴾ الإنسان ﴿أَنَّ لَّنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ﴿يُظَنُّ أَنَّ لَّنْ يَبْعَثُهُ اللَّهُ بَعْدَ

الموت، وهو الله تعالى.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَّاءَ﴾ ﴿أَي: جَمًّا، أَي: أَنْفَقْتُ مَا لَا كَثِيرًا فِي عداوة محمد.

وَقُرِّي: «لُبَّاءٌ» بتشديد الباء^(٣)، وهي موضوعة بعضها فوق بعض، وقيل: تكون

للكثرة: يُقَالُ رَجُلٌ حَطَمَ وَرَجُلٌ صَوَّم^(٤).

﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ﴿يُظَنُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَاهُ وَلَا يَسْمَعُ كَذِبَهُ.

وقيل: الآية نزلت في كلدة بن أسيد الجمحي، وكان رجلاً قوياً، رام من قوته أنه

يُبْسِطُ الْأَدِيمَ العكاظي تحت قدميه ثم يقول: مَنْ حَرَّكَنِي وَجَرَّنِي بهذا الأديم فله كذا

من الإبل، فجرَّ الأديم حتى لم يبق منه إلا ما تحت قدميه، وهو قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ﴿أَي: شِدَّةِ انْتِصَابٍ، وَالانْتِصَابُ: تَسْوِيَةُ الْقَامَةِ مَعَ الْقُوَّةِ^(٥).

ثم قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ﴿يُبْصِرُ بِهِمَا الْغَيْرَ﴾ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ﴿

يَنْطِقُ بِهِ، وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ وَأَسْنَانَهُ بِهِمَا﴾ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ﴿الطَّرِيقَ فِي مَكَانٍ مَرْتَفَعٍ.

قال الكلبي: عَرَفَهُ سَبِيلَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ^(٦).

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٢٨/٥.

(٢) تفسير الطبري ٤٣٤/٢٤.

(٣) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٤٠١/٢).

(٤) الكشف والبيان ٣٩١/٢٩.

(٥) تفسير السمعاني ٢٢٧/٦.

(٦) وهو قول أكثر المفسرين، الكشف والبيان ٣٩٧/٢٩، البسيط ٢٤/٢٤.

﴿فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ١١ أي: لم يقتحم العقبة بعد، كقوله ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ ١٢ ، ومعناه: ولكن سيقتمها، وقيل: معناه لم يقتحم العقبة بإنفاق هذا المال حتى يقطعها^(١).

ثم عظم شأنها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ١٣ أي: ما أدراك ما يقطع ذكر العقبة، ثم بين فقال: ﴿فَكَ رَقَبَةً ١٤ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٥﴾ يعني: إعتاق نسمة من الرق؛ تنزل عن تلك العقبة، أو إطعام الطعام في زمن المجاعة. وقرئ: على الماضي «فَكَ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ»^(٢).

والمعنى: ما قال أنفقت مالي في عداوة محمد حتى أجابه الله: فهلا اقتحم العقبة بذلك المال، أفك رقبة في رضى الله، وأطعم في يوم ذي مسغبة^(٣).

﴿بَيْتِي مَاذَا مَقَرَّةٍ ١٥﴾ دليل على وجوب حق الأيتام من ذوي القربى إذا كان محتاجاً ﴿أَوْ مَسْكِينًا مَا مَتَرَةٍ ١٦﴾ ملصقاً بالتراب من فقره ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ١٧﴾ أي: لا ينفعه فك الرقة والإطعام إلا مع الإيمان.

وكلمة «ثم» هاهنا للإخبار لا للترادف، لأن العمل يكون بعد الإيمان، والمعنى: هلاً فعل ذلك واستقام^(٤) على الإيمان، وكان مع جميع هذه الصفات ومن الذين^(٥) ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أمروا الناس بالصبر على طاعة الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧﴾ أي: التراحم بعضهم على بعض.

(١) البسيط ٢٤ / ٢٤.

(٢) في الأصل في الموضع الول أثبتها هكذا، وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي، وقرا الباقون كما أثبت في الرسم (النشر ٢ / ٤٠١).

(٣) الكشف والبيان ٢٩ / ٤٠١.

(٤) في الأصل: واستفهام.

(٥) فصل بالذين بين الواو وتواصوا.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كِتَابَهُمْ بَأْيْمَانِهِمْ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ يُعْطَوْنَ كِتَابَهُمْ بِشِمَالِهِمْ.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ أي: من الوصيد وهو الباب^(١)، ومعناه: مُقفلة، وقيل:

مُطبقة عن الكلبي وقتادة^(٢).

قُرئ: بالهمز من: آصدت، وبغير الهمز من: أوصدت^(٣).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ «مَنْ قرأ سورة البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة»^(٤).



(١) معاني القرآن للزجاج ٣٣٠ / ٥.

(٢) البسيط ٣٧ / ٢٤.

(٣) قرأه بالهمز أبو عمرو ويعقوب وحمزة وحفص، وقرأ الباكون بدون همز (النشر ٣٩٥ / ١).

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٧٨ / ٢٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٧.

سورة الشمس

مكية^(١)، وهي خمس عشر آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١﴾ أقسم تعالى^(٣) بالشمس وضحاها، وهو أول ساعة من النهار. وقيل: ضياؤها^(٤).

وإنما أقسم بها لأن فيها من العجائب، وهو: إخفاؤه النجوم بنورها، وإخفاء نور السراج ونور القمر بضوئها، ثم ظهور هبّ الهواء من نورها، فالنور الواحد يُخفي أظهر الأشياء، ويُظهر أستر الأشياء، وما هذا إلا شيءٌ عجيبٌ، ولأن بها مصالح ومنافع من مصالح الأغذية ونضج الفواكه، وكبس الحبوب، فلهذا أقسم بها.

﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝٢﴾ يعني: في ليلة الهلال، حين^(٥) تغرب الشمس حين يظهر الهلال، ويتلوها في الغروب، عن الكلبي وقادة وعكرمة^(٦).

﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَدَّهَا ۝٣﴾ يعني: جَلَّى الظلمة، وقيل: جلى الأرض والدنيا، وإن لم يكن في الكلام ذكرها، كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾. وقيل: إذا جلى الشمس عن ظلمة الليل^(٧).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٤١٥، زاد المسير ٤/ ٤٥٠.

(٢) وفي المدني والمكي ست (البيان في عد أي القرآن ٢٧٥).

(٣) في الأصل: اخبار تعال.

(٤) كرر هذا القول مرتين.

(٥) في الأصل: حتى. وصححها في الهامش، وقد تكرر مثل هذا التصحيف.

(٦) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥٢، البسيط ٢٤/ ٥١.

(٧) البسيط ٢٤/ ٥٢، تفسير السمعاني ٦/ ٢٣٢.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾ أي: يغشي الشمس عند الغروب.

أقسم بالليل والنهار، لأن سلطانهما أقوى من سلطان الشمس والقمر، لأن سلطان الليل والنهار أنهما يُفنيان الآجال، ويقطعان الأعمار، ولا يتهايا لأجل الامتناع والتحرُّز من سلطانهما، والتحرُّز من سلطان الشمس والقمر ممكن بالخِباء والأسباب.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥﴾ يعني: والذي بناها بغير عمد.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ الذي طحَّاهَا من تحت الكعبة مسيرة خمس مائة عام، ثلاثمائة في العمران، ومائتان في الخراب.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ والذي سَوَّاهَا حدَّ الأعضاء المستوية من الأيدي والأرجل والعيون والأذان وغيرها، فيكون «ما» بمعنى «مَنْ».

وقال بعضهم: «ما» صلة وزائدة، ومعناه: والسماء وبنائها والأرض وطحوها والنفس وتسويتها، وهو قول الزجاج^(١).

وقال أبو بكر الأصم: معناه والسماء، ثم عَظَّمَ أمر السماء تعجيباً ولكن أضمر لفظ السماء ثانياً، كأنه قال: وما السماء ثم أجاب فقال بناها، أي: الله بناها، وكذلك في قوله ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فيكون بمعنى التعجب.

﴿وَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ بَيْنَ لَهَا مَا تَأْتِي وتذر، وفهمها أعمال الظلم والبر، والمعنى: خذل بعض النفوس حتى [ما] سلك التقوى^(٢).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩﴾ موضع القسم.

(١) معاني القرآن ٥ / ٣٣٢.

(٢) في الأصل غير محرر، وفيه شيء، ولذا أضفت ما لتصح الجملة.

أي: فاز ونجا وسعد مَنْ زَكَّى نفسه، وأنماها بالعمل الصالح، وموضع القسم لا يكاد يكون بغير اللام، ولكن طال الكلام فحذف اللام، وهو قول الزجاج^(١).

وأنكر الكسائي أن يكون جواب القسم بدون اللام.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾^(٢) أي: أخفاها^(٣)، ومعنى الكلامين: لقد ظفر وسعد مَنْ جعل نفسه بحيث يُحمد، وخاب وخسر مَنْ جعلها بحيث لا تُذكر إلا بدم.

ومعنى: دسّاها أي: أخفاها حتى لا تُعرف في أهل الصلاح، فالمُتقي يعيش محمودًا، والفاجر يعيش مذمومًا.

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾^(٤) أي: طغيانها، كذّبوا رسول الله صالحًا من غير حُجّة ولا بُرهان^(٥) ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَى﴾^(٦) أي: قام وقصد.

والانبعاث: القيام إلى الشيء، والهاء في أشقاها راجعٌ إلى القبيلة، وقد سبق ذكر ثمود، والأشقى: هو عاقر الناقة، وسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ أَشْقَى الناس قال: «عاقر ناقة صالح»^(٧).

وقيل: هما اثنان مصدع بن دهر والآخر قُدار بن سالف.

قال أبو سهل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، والمعنى: انبعث أشقاها ليعقر الناقة ولا يخاف عُقباها، وهو عاقبة فعلته التي فعلها.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾^(٨) نُصِبَ عَلَى التحذير^(٩)، معناه:

(١) معاني القرآن ٥ / ٣٣١.

(٢) وهو قول ابن قتبية (غريب القرآن ٤٥٦)، وأصل الدس الإخفاء (البسيط ٥٧ / ٢٤).

وفي الأصل: أخفاها.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٨٣٢١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٦٨، إعراب القرآن للنحاس ٥ / ١٤٧.

احذروا أن تُصيبوها بمكروه، ولا تقربوا سُقياها، وكان للناقة من الشُّرب يوم، ولهم يوم، وإضافة الناقة إلى الله تعظيماً، كما قال: مساجد الله تعظيماً لبقاعها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: صالحاً ﴿فَعَفَرُوهَا﴾ أي: الناقة ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: أطبق العذاب عليهم، والدَّمْدَمَةُ: التعميم في صفة أو أمر، يُقال: ناقة مُدْمَمَةٌ باللحم إذا كانت سميكة استوت أعضاؤها سمناً، وناقة مدمومة بالقطران إذا طُليت به لجميع أعضائها.

والدمدمة ههنا الهلاك، معناه: سَوَّاهم في الهلاك صغيرهم وكبيرهم، لم يبق منهم أحد إلا هلك^(١).

﴿بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﴿١٥﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه يُراد به عاقر الناقة، وهو قول الزجاج، وقد قَدَّمناه^(٢).

والثاني: أن الله تعالى أهلكهم بذنبهم، ولا يخاف تبعة إهلاكهم، كما في المخلوقين إذا أَضَرَّ بعضهم بعضاً يخاف عاقبته^(٣).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة والشمس أُعْطِيَ من الأجر كأنهما تصدَّق بكل شيءٍ طلعت عليه الشمس والقمر»^(٤).

(١) البسيط ٦٩/٢٤.

(٢) معاني القرآن ٣٣٢/٥. وهو قول الضحاك والسدي، رواه عنهم ابن جرير في التفسير

٦٦١/٢٤، فلم يتفرد به الزجاج، بل هو من أقوال أهل التأويل.

(٣) وهو قول الجمهور (تفسير الطبري ٤٦١/٢٤، الكشف والبيان ٤٣٢/٢٩).

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٤١٦/٢٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٨.

سورة الليل

مكية^(١)، وهي [إحدى] عشرون آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ﴿١﴾ ضوء النهار بظلمته.

﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ﴿٢﴾ عن ظلمة الليل بضياءه، أقسم الله بالليل إذا اسود الأفق به وأظلم، وبالنهار إذا ظهر وبان، وهما آيتان عظيمتان على البعث على كل جاحد ومُنكر من الفراعنة.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٣﴾ أي: الذي خلق، وهو الله تبارك وتعالى.

قال بعضهم: «ما» صلة وزائدة، وهو بمنزلة قوله: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: برحمة، والمعنى ههنا: وخلق الذكور والأنثى.

وقيل: معناه وما خلق من الذكر والأنثى يعني أزواج الخلائق.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ ﴿٤﴾ أي: عملكم لمختلف، وهو موضع القسم^(٣).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ أي: تصدق ﴿وَأَتَّقَىٰ﴾ ﴿٥﴾ الشرك.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٦﴾ أي: التوحيد والجنة، ويُقال: بموعد الله.

﴿فَسَيُسَرُّهُ لِسْرَىٰ﴾ ﴿٧﴾ نوافقه للطاعة وعمل الشرائع، ونُهون عليه أداؤه.

﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخَلْ﴾ بماله، ومنع حق الله ﴿وَأَسْتَفْتَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٩﴾] أي: عدَّ

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/٤٣٧، زاد المسير ٤/٤٥٣.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد أي القرآن ٢٧٦.

(٣) أي جوابه، كما في معاني القرآن للزجاج ٥/٣٣٢.

نفسه مستغنياً عن الله، وكذب بتوحيده وثواب المُنفقين.

﴿فَسُبُّوا لِلْعُسْرَى ۝﴾ أي: نهوّن عليه المعصية بالخذلان.

وقال الفرّاء: كيف يكون التيسير للعُسرى، وإنما التيسير للخير، ولكن هو بمنزلة قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾^(١).

وقال الأزهري: معناه سنهيته، يسّرت الغنم إذا تهيّأت للولادة^(٢).

قيل: نزلت في أبي سفيان قبل إسلامه^(٣).

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝﴾ أي: هلك وتردّى بالنار.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝﴾ أي: هداية مَنْ اهتدى وإضلال مَنْ ضلّ.

﴿وَأَنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۝﴾ أي: ثواب الإنفاق في الآخرة، والرزق في الدنيا.

وقيل: بالجزاء والكرامة للمؤمنين، والنكال والعقوبة للكافرين^(٤).

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝﴾ تتوقد وتتلهب ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝﴾ الَّذِي

كُذِّبَ ﴿بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ۝﴾ وَتَوَلَّى ﴿أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ﴾.

وقد احتجّ بعض الناس بهذه الآية أَنَّ المؤمن لا يدخل النار، وهو قول

المُرجئة.

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٧١.

(٢) تهذيب اللغة ١٣/ ٤٢، وهو قول الطبري في تفسيره ٢٤/ ٤٧٣.

(٣) وهو قول مقاتل كما في تفسيره ٣/ ٤٩٢، وافقه الكلبي كما في البسيط ٢٤/ ٨١، ومثلهما لا

يعتمد عليه، وقيلك في أمية بن خلف.

(٤) البسيط ٢٤/ ٨٥.

ولكن جواب أهل السنة والجماعة لهم أنه ذكر في سياق الآية: نارًا تَلْظَى، وهي نكرة تتناول بابًا من النار، أو دركًا منها، دون باب ودرك، ولا ينطلق على جميع دركات النار، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ﴿٦﴾ وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ في درك الضريع.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: يبعد من النار ويُزحزح ﴿الْآتَى﴾ ﴿١٧﴾ يعني: أتقى خلق الله وهو أبو بكر رضي الله عنه ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ ﴿١٨﴾ أي: يُعطي ماله ينفقه في سبيل الله متزكياً بنفسه^(١).

وقيل: يطلب أن يكون عند الله زاكياً، ولا يطلب رياء ولا سُمعة.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾ من المخلوقين ﴿عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ﴿١٩﴾ أي: لم يُنفق ماله لأجل مكافأة الدنيا ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٠﴾ إلا طلب مرضات الله، نُصب على الاستثناء المنقطع ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ ﴿٢١﴾ أبو بكر، أي: يُعطيه الله في الآخرة ما يرضى عنه أبو بكر، يعني: يُساق إليه من الثواب ما يرضى به، وحرف سوف وعسى من الله واجب.

وقيل: الآية نزلت في أبي بكر رأى بلالاً في يد سيده أمية بن خلف يُعذِّبه على الإيمان، فقال له أبو بكر: يا أمية أتُعذِّب مؤمناً على إيمانه، فقال: لم يفسد عليّ عبدي أحدٌ إلا أنت وصاحبك، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: هل لك أن تبيعه؟ فقال أمية: بَمَ؟ فقال أبو بكر: بعيد آخر على دينك، فقال: نعم، فعمد أبو بكر إلى عبدٍ مشركٍ واشتراه فدفعه إلى أمية بن خلف، واشترى منه بلالاً وأعتقه، فقال أمية بعد الإعتاق: أما أنك لو لم تشتريه إلا بأوقية لبعته، فقال: والله لو لم تبعه

(١) في قول الجميع، كذا قال الواحدي في البسيط ٢٤ / ٨٨، وإنما نزلت في أبي بكر لعتقه من أعتق في سبيل الله، وقد خرج ابن جرير الروايات في ذلك (تفسير الطبري ٢٤ / ٤٧٩).

إلا بأربعين أوقية اشتريته، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ (١٩) وأحد: أراد به بلاً، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى: أعتقه برضا الله الذي ملكه رفيعٌ فوق خلقه، وسُلطانُه منيعٌ، وعُزُّه دائمٌ، ولسوف يرضى: أبو بكر في القيامة^(١).

وجاء في التفسير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى لأبي بكر هل رضيت عني فأني عنك راضٍ»^(٢).

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الليل أعطاه الله من الأجر حتى يرضى، وعافاه من العسر ويسره ليسرى»^(٣).



(١) الخبر في الكشف والبيان من طريقين مرسلين ٢٩ / ٤٥٤.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦ / ٣٥، وأبو نعيم في الحلية ٧ / ١٠٥، بإسناد منكر عن الثوري.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩ / ٤٣٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٩.

سورة والضحي

مكية^(١)، وهي إحدى عشرة آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أقسم الله تعالى به، وهي أول ساعة من النهار حين^(٣) تطلع الشمس، عن مقاتل^(٤).

وقيل: هو النهار كله، وقيل: ضوء النهار، وهو وقت تنال الأرض حر الشمس^(٥).

«والليل إذا سجي»: أي أظلم وسكن^(٦).

قال عبد الحميد غفر الله له: القسم لا يقع إلا على ما يعظم حاله، ففي ظلمة الليل وضوء النهار عجب صنع الله عز وجل، لأن ظلمة الليل تستر الخلائق كلهم في أقصر زمان، وضوء النهار يكشف السّتر عنهم في أقصر زمان، من غير أن يكون لذلك الحجاب ثقلًا، ولا بعد رفعه خفة، فأقسم الله بهما تعظيمًا لما فيها من الأمر العجيب.

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/٤٦٥، زاد المسير ٤/٤٥٦.

(٢) بلا خلاف، البيان في عدّ آي القرآن ٢٧٧.

(٣) في الأصل: حتى، وهو تصحيف تكرّر منه، وعلى الصواب في مصدره.

(٤) تفسير مقاتل ٣/٤٩٤.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/٥٩١.

(٦) بمعنى أقبل، فإذا أقبل كأنه سكن، وأظلم، وغطى، وهذه الثلاثة كلمات أهل المعاني وغيرهم

(تفسير الطبري ٢٤/٤٨٢، البسيط ٢٤/٩٩).

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ قوله ما قلى: سقط عنه الإضافة لوقف الفواصل، وهو موضع القسم، أي: ما تركك منذ أرسل إليك، ولا أبغضك منذ أحبك^(١).

قال الواسطي: ما أهملك بعدما اصطفاك.

قيل: إن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الكهف وغيرهم، فوعد الجواب ولم يستثن، فمُنِعَ الوحي أربعين يوماً، فقال مشركو العرب: إن رب محمد قد ودَّعه وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢).

وقوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: ما أدخرت لك من الشفاعة والكرامة خير مما أعطيتك في الدنيا وشرفها، رغبة الله في الآخرة وزهده في الدنيا.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قيل: هذه أرجى آية في القرآن.

وقيل: أرجى آية ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

وقال أكثر أهل العلم: أرجى آية ما أمر الله رسوله وملائكته بالاستغفار للمؤمنين^(٣).

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٣٩/٥.

(٢) وقد اختلفوا في سبب الاحتباس وفي مدته، والأخبار في ذلك في تفسير الطبري ٢٤/٤٨٥، والكشف والبيان للثعلبي ٢٩/٤٦٨.

وفي الصحيحين عن جندب بن سفيان، قال: اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءته امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاث، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ الآيات. (صحيح البخاري ١١٢٥، صحيح مسلم ١٧٩٧)

(٣) اختلف العلماء في أرجى آية على بضعة عشر قولاً، ذكرها السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ٤/١٤٩.

قيل: يُعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعته في أهل بيته، ثم في أمته، ثم في سائر الأمم حتى يرضى^(١).

ثم عدّ نعمه عليه فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ﴿٦﴾ أي: آواك إلى أبي طالب.
﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ﴿٧﴾ معناه: لولا أنه هداك لدينه لوجدك ضالًّا، كقوله:
﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ معناه: لو لم يُنقذكم منها لكنتم
على شفا حفرة من النار.

وقيل: معناه وجدك ضالًّا أي ناسيًا فنبهك، وهداك إلى الحفظ، والضلال يقع
على النسيان، كقوله في شهادة النساء: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ أي تنسى ﴿فَتَذْكُرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾.

وقيل: ضالًّا أي غير عالم بنبوتك قبل الوحي، فهذا بالوحي^(٢).

قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بقافلة، فأخذ إبليس لعنه الله
بزمام ناقته فعدل به عن الطريق بعيدًا، فجاء جبريل عليه السلام فنفخ بإبليس نفخة
وقع من ذلك الموضع إلى الحبشة، وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القافلة
فنزلت الآية^(٣).

﴿وَوَجَدَكَ عَالِيًا فَأَغْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ أي: وجدك فقيرًا فأغناك أي: قنعتك بالرزق.

(١) تفسير الطبري ٢٤/٤٨٧، تفسير أبي الليث ٣/٥٩٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٥٩٢، تفسير السمعاني ٦/٢٤٥.

(٣) وهذه قول باطل، ونحوه أقوال ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/٤٩٠، والزمخشري في

الكشاف ٤/٧٦٨ مردها إلى أنه ضل الطريق إما في صغره وإما في سفره.

وعن السدي والكلبي: وجدك في قوم ضلال أربعين سنة فهذا (تفسير الطبري ٢٤/٤٨٨،

الكشف والبيان ٢٩/٤٨٩).

وقيل: أغناك بمال خديجة^(١).

قال مقاتل: كل فصل قرأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى بلى، يَمُنُّ عليّ ربي وهو أهل للمَن»^(٢).

ثم حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكارم الأخلاق فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝﴾ القهر هو الغلبة والتسلط.

قال بعض أهل التفسير: لا تعبس وجهك في وجه اليتيم، ولا تزجره، فقد كنت يتيماً.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ أي: لا ترده خائباً، ولا تزجره، فقد كنت فقيراً، وقد ذقت مَضَضَ الفقر، وعرفت ذل اليتيم.

قال الحسن: ليس المراد به هذا السائل الذي يطوف عليك ويسألك، ولكنه طالب العلم يسأل عن العلم^(٣).

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ أي: بما أنعم الله عليك من النبوة والإسلام أظهر شكره، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم مجلسه بقوله: «كنت يتيماً فأواني ربي، وكنت عائلاً فأغناني ربي»^(٤).

(١) الكشف والبيان ٥٠١/٢٩، وبالغنائم وبالرضى بما قسم.

(٢) تفسير مقاتل ٤٩٥/٣.

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٥٠٨/٢٩، البسيط ١١٦/٢٤، وعن يحيى بن آدم نحوه، والآية عامة في كل سائل، فتناول المستعطي والمتعلم.

(٤) غريب بهذا اللفظ، وذكر ابن كثير في آخر تفسير هذه السورة ٤٢٨/٨ عن ابن إسحاق قال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله، وافترضت عليه الصلاة، فصلى.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سألت ربِّي مسألة فوددت أنِّي لم أسألها، قلتُ: يا رب اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلّمت موسى تكليماً، وسخّرت مع داود الجبال يسبحن والطير، وأعطيت سليمان مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فقال الله تعالى: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيماً فأَوَيْتَكَ؟ قلتُ: بلى يا رب، قال: أَلَمْ أَجِدْكَ ضالّاً فهديتَكَ؟ قلتُ: بلى يا رب، قال: أَلَمْ أرفع لك ذكرك؟ قلتُ: بلى يا رب، قال: أَلَمْ أضع عنك وزرك؟ قلتُ: بلى يا رب، قال: أَلَمْ أُؤتِكَ ما لم أُؤتِ نبياً قبلك، خواتيم سورة البقرة؟ قلتُ: بلى يا رب، قال: أَلَمْ أَتخذك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلاً؟ قلتُ: بلى»^(١).

قال: وبلغنا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة والضحى كان فيمن يرضاه محمد صلى الله عليه وسلم أن يتشفّع له، ويُكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل»^(٢).



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢٢٨٩، ومن طريقه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/٤٨٥، وإسناده حسن فيه عطاء بن السائب مختلط، لكن رواه عنه هو حماد بن زيد وقد سمع منه قبل الاختلاط.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/٤٦٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٠.

سورة ألم نشرح

مكية^(١)، وهي ثمان آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١) وهذه من النعم المعدودة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الضحى، معناه: ألم نُوسِّعْ قلبك بالإيمان والتوحيد^(٣).

قيل: لما كُلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة إلى الفراعنة الجابرة؛ الذين همتهم إهلاك من يُخالف دينهم، وإقلاع من يعبد الله وأطاعه، ضاق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتغلغل قلبه، فوسَّعَ الله له صدره وشرحه، حتى هان عليه جميع ذلك، فقام يوفي ما كُلف بلطفٍ من الله عزَّت قدرته. وقيل: ألم نُوسِّعْ قلبك، حتى أطق على حمل النبوة وأذى الكفار^(٤).

وقيل: ألم نشرح معناه شرحنا، لأنه استفهام المنفي، واستفهام المنفي بمعنى التقرير، وذلك أن جبريل وميكائيل شقَّا بطنه في صباه وغسلاه وملاه حكمةً وعلمًا، ثم وضعاه مكانه^(٥)، وله قصة طويلة^(٦).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٥٢٣، زاد المسير ٤/ ٤٦٠.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٧٨).

(٣) وهو قول مقاتل وغيره، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩٣، الكشف والبيان ٢٩/ ٥٢٥.

(٤) وعلى هذه الأقوال فالانشرح معنوي، بمعنى التوسعة والانفراج.

(٥) وعلى هذا القول فالانشرح حقيقي، وهو شق الصدر، وجمع ابن كثير بين القولين، إذ لا منافاة بينهما، والمعنوي يترتب على هذا.

(٦) انظر الروايات في تفسير ابن كثير ٨/ ٤٢٩.

﴿وَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ ٢: أي: حططنا عنك إثمك الذي كان قبل النبوة والوحي، عن الكلبي ومجاهد ومقاتل^(١).

وقيل: وضعنا عنك وزرك حتى لو لم نعصمك عن الأوزار لكان لك أوزار، كقوله ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ معناه: لولا عصمة الله لكانوا في الظلمات.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ٣: يعني: لو أتيت بالوزر لأثقل ظهرك.

وذكر في بعض التفاسير: أن إنقاض ظهره إنما كان لأن الكفار أخذوه وربطوا صنماً ثقيلاً على ظهره حتى جاء جبريل وحلّه من ظهره، وربما به إلى موضع انكسر رجله^(٢).

قلت: ورد هذا الكلام أولى بالقبول، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ذليلاً، لا في ابتداء حاله ولا في انتهائها، وهو من أشرفهم نسباً، وأعزهم قرابةً، وأوسطهم بيتاً وجرثومة، فذووا قرابته - وإن لم يكونوا مؤمنين به - كانوا يحمونه حمية وافرة، مع أن الله تعالى عاصمه وناصره، وقد وعد له العصمة والنصرة.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤: يعني: شرفناك بإقران ذكرك بذكرنا في الأذان والتشهد والخطب^(٣).

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الذي أنت فيه بمكة ﴿يُسْرًا﴾ ٥: بالمدينة.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الذي أنت فيه بالمدينة ﴿يُسْرًا﴾ ٦: في الجنة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من دُنياك ﴿فَانصَبْ﴾ ٧: لا آخرتك.

(١) البسيط ٢٤/١٢٤.

(٢) غريب لم أقف عليه.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/٤٩٤.

وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب للدعاء، ومعناه اجهد.

ويحتمل: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب لعبادة ربك^(١).

﴿وَالِلَّهِ رَبِّكَ فَاَرْعَبْ﴾ ارفع إليه حاجتك وارغب إليه بالمسألة.

قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله: ينبغي أن لا يتكلف تفسير ما ذكر في هذه السورة من أولها إلى آخرها، لأنه أمر بينه وبين ربه، فلا يلزمنا التكلف في استخراجِه سوى الإيمان به^(٢).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة ألم نشرح أُعْطِيَ من الأجر كمن لقي محمد صلى الله عليه وسلم مغتَمًّا ففرَّج به»^(٣).



(١) الكشف والبيان ٢٩ / ٥٤٧.

(٢) تأويلات أهل السنة ١٠ / ٥٦٩.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩ / ٥٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦١.

سورة التين

مكيّة^(١)، وهي ثمان آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ۝١﴾ قال ابن عباس: هو تينكم الذي تأكلونه، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت^(٣).

أقسم الله بهما لأن فيهما فوائد ودلائل، والتين يؤكل ظاهره وباطنه. وقيل: التين جبل عليه مسجد دمشق، والزيتون جبل عليه بيت المقدس^(٤).

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

وسينين: كل جبل مُشَجَّر^(٥).

أقسم الله تعالى بالجمال لأن منافعها لا تحصى، فإنها أوتاد الأرض تمنع الأرض من الزلزال الدائم، والجبل أصلب الأشياء، يخرج منه ما هو ألين الأشياء وألطفه، وهو الماء الزلال، ولأن عليها من الأشجار والثمار من غير إنباتٍ وغرسٍ، ولا يمكن للخلق استخراج ذلك بكثرة الحيل، فهذا من عظم شأن الجبال.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ يعني: مكة سمّاها أميناً لأن من دخله آمن.

(١) الكشف والبيان ٧/٣٠، زاد المسير ٤/٤٦٣، وحكى فيها قولاً أنها مدنية.

(٢) بلا خلاف، البيان في عدّ آي القرآن ٢٧٩.

(٣) في رواية الكلبي، وهو قول الجمهور، تفسير الطبري ٢٤/٥٠١، الكشف والبيان ٩/٣٠، البسيط ٢٤/١٤٤. وهو الراجح عند ابن جرير وغيره لأنه هو المعروف من لسان العرب.

(٤) وهو قول كعب وقتادة وابن زيد، انظر: تفسير الطبري ٢٤/٥٠٢، زاد المسير ٤/٤٦٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٥٠٥، تفسير أبي الليث ٣/٥٩٥.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١) على أحسن صورة وقامة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (٢) إلى الخرف والهَرَم وفقد العقل والنسيان، وفيه

دلالة البعث.

وقيل: الإنسان أراد به الكافر، خلقناه في أحسن تقويم: أحسن صورة، فأنكر توحيدنا فرددناه إلى أسفل سافلين، من نار جهنم في أقبح صورة، بنحو صورة الخنزير والقردة، ولهذا استثنى أهل الإيمان فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٣) أي: غير مقطوع ولا منقوص أبد الآبدين.

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ﴾ (٤) ما الذي دعاك أيها المكذِّب إلى تكذيبك بدين

الله، وقيل: هو الجزاء، وقيل: القيامة للحساب^(١).

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ ألم تعرف بأن الله ﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (٥) أن الله أحكم الحاكمين

وَأَعْدَلَ الْعَادِلِينَ^(٢).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن ابن السائب الكلبي

رحمة الله عليه في قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦) قال: مَنْ أدركه الهرَم وهو على طريقة حسنة في شبابه، ثم أدركه الهرَم وهو على ذلك، كتب الله له في هرَمه مثل الذي كان يعمل وهو شابٌ صحيحٌ، لا ينقص من أعماله شيء^(٣).



(١) وفي قول ابن الكلبي أن المراد هو الوليد (تنوير المقباس ٥١٤).

(٢) تفسير أبي الليث ٥٩٦/٣، الكشف والبيان ٢٧/٣٠.

(٣) ونحوه قال مقاتل في تفسيره ٤٩٨/٣.

سورة اقرأ

مكية^(١)، وقيل: سورة العلق، وذكر الكلبي: سورة الزبانية^(٢).

وهي تسع عشرة آية^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ذكر أهل التأويل أن هذه السورة أول وحي أوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان على جبل حراء، فجاءه جبريل وقال له: اقرأ، فقال: «كيف اقرأ وأنا أمي؟» فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ أي: بأمر ربك الذي خلق ما خلق^(٤).

واللاحق في هذه الآية وما يشاكلها إذا قيل لرسول الله: اقرأ، أو افعل أن لا يقول غيره مثل ما قيل له من افتتاح، وهو قوله: اقرأ، في هذه السورة، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل إنما أنا بشرٌ مثلكم، ونظيره لا يُحصى من كثرته، فينبغي أن يترك كلمة: قل، ثم يتكلم بباقي الكلام الذي أمره، ولكن يُقال: إنه ذكر هذه الكلمات حتى تكون كلها قرآنًا، وتثبت في المصاحف، وتقرأ بالألسنة، حتى يكون المفهوم من وحي السماء بخلاف المفهوم من كلام بعضنا بعضًا، وأن يكون الخطاب منه لكل أحد ومن كل أحد إلى مثله، خاطب بها جبريل أولاً، ثم خاطب جبريل رسول الله

(١) بالإجماع، لأنها أول ما نزل، الكشف والبيان ٣٠/٣١، البسيط ٢٤/١٦٥، زاد المسير ٤٦٦/٤.

(٢) والقلم (زاد المسير ٤٦٦/٤).

(٣) وثمان عشرة في الشامي، وعشرون في المدنيين والمكي، البيان في عد آي القرآن ٢٨٠.

(٤) وهو الحديث الثالث في صحيح البخاري، ورواه مسلم ١٦٠.

صلى الله عليه وسلم، ثم خاطب رسول الله مَنْ رأى مِنْ أصحابه، ثم خاطب أصحابه مَنْ رَأَوْهُمْ من الناس، هكذا إلى يوم القيامة، والله أعلم^(١).

قال أبو سهل: الاسم زائد في الكلام، معناه: اعمل بالله أو بعون الله واقرأ بوحى الله إليك.

ثم قال ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ❶ أي: دم عيط ﴿أَقْرَأْ﴾ القرآن ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ❷ الحليم عن جهل عباده، والمتجاوز عن ذنوبهم^(٢).

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ❸ أي: علّم الخط والكتابة بالقلم. ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ❹ أي: علّم آدم الأسماء كلها، فإلى هاهنا نزلت السورة في أول مرة، ثم نزلت الباقي بعد زمانٍ طويل^(٣).

وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كنت قائماً على جبل حراء إذ أتاني آت، وقال: أبشر يا محمد، فأنا جبريل وأنت رسول الأمة، ثم أخرج لي قطعة نمط، وقال: اقرأ، فقلت: والله ما قرأت كتاباً، فقال: اقرأ، فقلت: كيف اقرأ وأنا أُمِّي، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ❶، حتى انتهى إلى قوله ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ❷».

ثم قال: انزل فنزلت من الجبل إلى قرار الأرض، وأجلسني على

(١) وبنحو هذا أجاب أبي بن كعب، لما سأله زر بن حبیش عن المعوذتين، فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: قيل لي فقلت، فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه البخاري ٤٩٧٦).

(٢) تفسير الأكرم بالحليم هو قول الكلبي، كما في الكشف والبيان ٤٥/٣٠، وهو أقرب إلى التفسير باللائم، وفي تفسير أبي الليث ٥٩٨/٣ أن الأكرم: الكريم، يعني المكرم الذي يكرم من يشاء بالإسلام، وهذا أحسن في تفسير الأكرم، والله أعلم.

(٣) زاد المسير ٤٦٦/٤.

درنوك^(١) وعليه ثوبان أخضران، ثم ضرب برجله الأرض، فجرت عيناً، فتوضاً منها، وقال لي: توضاً فتوضأت، وقال: صَلِّ فصلِّ ركعتين وصليت، ثم قال هكذا الصلاة يا محمد، ثم انطلق^(٢).

وقوله ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغَىٰ﴾ ٦ ﴿أَن رَّاهُ أَسْتَعْيَىٰ﴾ ٧ نزل بعده بستين، ومعناه: حقاً إن الإنسان يترفع ويتكبر إذا رأى نفسه غنياً.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ ٨ ﴿المرجع في الآخرة﴾ ٨ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ ٩ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ ٩ ﴿كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجرِ يُصَلِّي، فنهاه أبو جهل لعنه الله، فنزلت الآية^(٣).

يعني: أعجب من الذي نهاك ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ ١١ ﴿أي: أخبرني أيها النَّاهي إن كان محمد على الهدى ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ ١٢ ﴿أي: بخشية الله، ثم ترك جوابه، ومعناه: أرايت المُكذِّب المتولي النَّاهي عبداً مُصلياً هادياً مهدياً، وهذا كله إبعاداً بأبي جهل^(٤).

وقيل: أكنت تنهاه عن طاعة ربه إن كان على هذه الصفة.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ١٣ ﴿يا محمد، وجوابه محذوف، معناه: أكنت تُطيعه.

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ أبو جهل لعنه الله ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ١٤ ﴿ما يفعله في كُفْرِهِ﴾ ١٤ ﴿كلَّا﴾ ١٤ ﴿حقاً، لئن لم ينته الخبيث من قوله ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ١٥ ﴿يعني: لناخذ ناصيته، وقيل لنجرنهُ بناصيته إلى النار، والسَّفع: الجرّ والجذب^(٥).

(١) الدرنوك: ستر له خمل (النهاية لابن الأثير ١١٥/٢).

(٢) ذكره في السيرة الحلبية ٣٧٧/١، وهو من الأحاديث الدائرة في كتب السيرة.

(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره، تفسير الطبري ٥٢٣/٢٤.

(٤) البسيط ١٧٥/٢٤.

(٥) البسيط ١٧٦/٢٤.

وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ أي: ناصية نفسٍ ﴿كَذِبَةٍ حَاطَّةٍ﴾ ﴿١٦﴾ مُشْرَكَةٌ.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿١٧﴾ أي: أبو جهل ليجمع أهل مجلسه وعشيرته، يستنصره ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ﴿١٨﴾ ليعذبه، وهم الغلاظ من الملائكة، واحد: زبانية، طول أقصرهم ما بين السماء والأرض، يجرّون إلى النار فلينظر الملعون يومئذ لمن النصرة.

﴿كَأَنَّمَا لَمْ يُلَاحِظْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْبَيْتَ﴾ ﴿١٩﴾ يا محمد فيما أمرك من ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ على رغبته ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ ﴿٢٠﴾ إلى الله بالسجود الثاني.

فشرع الله في كل ركعة سجدتان اقترباً، وانصرف أبو جهل من عند رسول الله هارباً لما ذكر الزبانية، فقيل له: خِفْتُهُ يا أبا الحكم؟ قال أبو جهل: رأيتُ عليه حارساً يُهددني بالزبانية، قيل: ما الحارس؟ قال: فحلُّ أهوى إليَّ أراد أن يأكلني^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة القلم أُعطي من الأجر كأنما قرأ المُفْصَّل كلها»^(٢).

(١) أصله في صحيح مسلم (٢٧٩٧) ولفظه: عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخذفاً من نارٍ وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فأنزل الله عز وجل - لا ندرى في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه -: ﴿كَأَنَّمَا لَمْ يُلَاحِظْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْبَيْتَ﴾ ﴿١٩﴾، الآيات.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/٣٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٣.

سورة القدر

مكية^(١)، وهي خمس آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝﴾ معناه: إنا أنزلنا القرآن.

والهاء في أنزلناه ضمير القرآن، وإن لم يجز ذكره في هذه السورة.

في ليلة القدر، أي: ليلة الحكم والقضاء، من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم ينزل به جبريل بسورة سورة، وآية آية، بقدر الحاجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل القرآن من اللوح إلى السفرة قدر ما يوحى إلى رسول الله في تلك السنة في ليلة القدر، وكذلك في القدر الثاني والثالث إلى تمام عدده، فكان بعد ذلك يقرأ على رسول الله^(٣).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝﴾ هذا للتعظيم والتعجب.

ثم بين فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝﴾ يعني: العمل في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة القدر^(٤).

﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ يعني بالروح جبريل.

(١) هذا قول الكلبي، وزعم الماوردي أنه قول الأكثرين، وخالفه غيره فقال: إنها مدنية، وزعم الثعلبي أن ذلك قول الأكثرين، انظر: الكشف والبيان ٥٥/٣٠، النكت والعيون ٦/٣١١، زاد المسير ٤/٤٦٩.

(٢) إلا في المكي والشامي فهي عندهم ست (البيان في عد آي القرآن ٢٨١).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/٥٣١، تفسير أبي الليث ٣/٦٠١، الكشف والبيان ٣٠/٥٨.

(٤) وهو قول عامتهم (تفسير الطبري ٢٤/٥٣٣، البسيط ٢٤/١٩٢).

وقيل: الرُّوح خلقٌ يوكلون بالملائكة كما أن الملائكة مُوَكَّلون ببني آدم^(١).

وجائزٌ أن يُقال: بأن الروحَ هي الرحمة، أي: تنزل الملائكة ومعهم رحمة الله ينزلون بها على عباد الله المؤمنين ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يعني ينزلون بأمر ربهم ﴿مَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ بكل أمرٍ أمر الله به عباده، وقدره من الليلة إلى الليلة القابلة، ومن بمعنى الباء، يعني ينزلون بأمر ربهم^(٢).

﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أي: تنزل الملائكة تخفق بأجنحتها بسلامٍ من الله والرحمة والمغفرة.

وقيل: السلام من صفة الليل، معناه: هي سالمة من الآفات لا يحدث فيها شرٌ ولا يرسل فيها شيطان^(٣).

﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ إلى مطلع الفجر.

وقال بعضهم: معنى قوله «من كل أمرٍ سلامٌ»، أي: على كل مأمورٍ سلم، وكلمة «من» تُقام مقام كلمة «على»، كقوله ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ معناه: على القوم.

والأمر يُراد به المأمور لأن المأمور لا يخلو عن الأمر.

وقيل: من كل أمرٍ يعني من كل عقوبة، والأمر يذكر ويُراد به العقوبة كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي عذاب الله، وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا﴾.

(١) وقد مضى ذكر ذلك، في تفسير سورة النبأ، آية: ٣٨، وانظر: تفسير أبي الليث ٦٠٢/٣.

(٢) البسيط ١٩٦/٢٤.

(٣) وهذا ذكره الطبري في تفسيره عن أهل التأويل (تفسير الطبري ٥٣٥/٢٤، البسيط

١٩٧/٢٤).

قيل: سَمَّاها الله تعالى ليلة قدر لشرفها على الليالي، وأخفاها لحكمته، وهو: استعمال العباد بطاعته، لأن في إظهارها استراحة الخلق عن الطاعة.

وتكلموا فيها، وأكثر العلماء على أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، لأن السورة كلها ثلاثون كلمةً، وكلمة السابع والعشرين كلمة: هي، وإنها إشارة إلى ليلة القدر، فاستدلوا بها على أنها ليلة السابع والعشرين^(١).

قال عبد الحميد الحاکمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة القدر أُعطي من الأجر كمن صام شهر رمضان وأحیی ليلة القدر»^(٢).



(١) أطال الثعلبي الكلام على ذلك في فصل عقده له (الكشف والبيان ٣٠/٦٢).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/٥٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٤.

سورة لم يكن

مكية^(١)، وهي ثمان آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

قال الشيخ أبو سهل رحمه الله: لم يكن عبد الله بن سلام وغيره، من أسلم من اليهود، ومن أسلم من النصارى، ومن أسلم من مشركي العرب، مثل أبي بكر وعمر وغيرهما^(٣).

﴿وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾ أي: متتهين زائلين عن كفرهم.

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾^(٤) يعني: البيان من الله، فإذا اتهم البيّنة انتهوا عن الكفر.

ثم فسّر البيّنة فقال ﴿سُورٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب؛ مثل كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، والمشرّكين مثل أبي جهل والوليد وعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ؛ منفكين: زائلين عن الكفر، حتى تأتيهم البيّنة: العذاب من الله تعالى بالقتل يوم بدر، وقيل: بني قريظة وغير ذلك^(٥).

(١) وهذا قول الكلبي، وفيها خلاف، فقد حكى الثعلبي أنها مدنية (الكشف والبيان ٣٠ / ١٢١)،

وهذا قول الجمهور، وهو الصحيح (زاد المسير ٤ / ٤٧٥).

(٢) وتسع في البصري والشامي (البيان في عدّ آي القرآن ٢٨٢).

(٣) وهذا قول غريب. والمعهود عن أبي سهل أنه يتبع الفراء، لكنني لم أجده مثله في كتاب الفراء ٢٨١ / ٣.

(٤) وتفسير البيّنة بالعذاب غريب كذلك، والصحيح في الآية -الذي عليه أهل التأويل-: لم يكن هؤلاء الكفار من المشرّكين ومن اليهود والنصارى متتهين عن شركهم وكتهم صفة النبي

ثم قال [عن] رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢) من الباطل والشرك، يعني القرآن ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ (٣) أحكام بينة، وأخبار صادقة، وأمور مستقيمة.

سمّاها كتبًا: لما فيها من السور، وجعل كل سورة بمنزلة كتاب مفرد.
وقيل: جمعه تعظيمًا له، كقوله: ﴿أَقْطَمْعُونِ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في رسالة محمد ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (٤) أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اختلفوا وتفرّقوا.

﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يُشركون به شيئًا ﴿خُنَفَاءَ﴾
مائلين عن الأديان كلها ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٥) ذكر القيمة بالتأنيث والدين مذكّر.
قال مقاتل: أراد به الملة^(١).

وقال الخليل بن أحمد: القِيَمَةُ جمع القيم، والقائم والقيم واحد، ومعنى الآية:
دين القائمين لله.

وروي عنه أن الهاء دخلت في القيمة لفواصل الآيات، وقد ينقص حرف ويزاد
حرف لفواصل الآيات، ومثله كثير في القرآن وقد قدّمنا أمثاله^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

وكفرهم به حتى يأتيهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن (تفسير الطبري ٥٣٩/٢٤، تفسير

أبي الليث ٦٠٣/٣، الكشف والبيان ١٢٦/٣٠، البسيط ٢٤/٢٠٥).

(١) البسيط ٢٤/٢١٧.

(٢) قال الخليل: القيمة الملة المستقيمة، ودين القيمة أي المستقيمة (العين ٥/٢٣٣).

أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ وَالْبَرِيَّةُ: كل ما خلق الله من التراب.

﴿جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءَ جَزَاءِ عَمَلِهِمْ﴾ أي: دار إقامة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين فيها ﴿أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الرضا من الله ضد السخط، ومن العبد طيب النفس بما أوتي، أي: رضوا من الله بثوابه وكرامته ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ فوحده. والخشية من الله لا تكون إلا بالعلم بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مستقرًا ومقيلاً»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ١٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٦.

سورة الزلزلة

مكية عن الكلبى، ومدنية عن مقاتل^(١)، وهي تسع^(٢) آيات^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ قد ذكرنا فيما سبق وتقدم: أنَّ كلمة «إذا» تذكر [جواب] سؤال سابق، كأنهم سألوا عن الوقت واليوم إذا كانوا يوعدون، فأجابهم الله: إذا زلزلت الأرض.

والزلزلة: شدة الاضطراب والتحريك حتى ينهدم البنيان، وينكسر ما على الأرض من الأشجار وغيرها، وهي من أشراط الساعة.

والزلزال والزلزلة والرَّجفة والرَّاجفة والرَّادفة كلها واحد، وهي شدة الاضطراب^(٤).

﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: لفظت الأرض وأبرزت كنوزها ومدفوناتها وأمواتها، كقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾^(٥).

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ يقول الكافر عند ذلك: ما لها تتحرك، تعجباً منها^(٦).

(١) تفسير مقاتل ٥٠٦/٣، تنوير المقباس ٥١٦، الكشف والبيان ١٣٩/٣٠، زاد المسير ٤٧٧/٤.

(٢) في الأصل: سبع، وهو تصحيف.

(٣) وفي المدني الأول والكوفي ثمان (البيان في عد آي القرآن ٢٨٣).

(٤) البسيط ٢٤/٢٢٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٥٤٧.

(٦) وهو مروي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٤/٥٤٨).

وقيل: الإنسان ههنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنا ذلك الإنسان، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فأقول: ما لأرضي ربي» والله أعلم ممن يكون ذلك.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي: تخبر الأرض عما^(١) عمل على ظهرها من خير أو شر، وهو مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا أنه فسرها به^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أذن لها بالتحدث وأمرها، والوحي يكون للإذن والإلهام والأمر، ولم يقل: أوحى إليها لأنه أراد أذن لها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: يرجعون من الموضع الذي حوسبوا فيه أشتاتًا متفرقين^(٣).

ويحتمل: الصدور من القبور إلى الحساب.

﴿لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ما كتبت لهم من ثواب الحسنات وعقوبة السيئات.

ويحتمل: أنهم يردون عرصة الحساب ثم يصدرون عنها إلى مثواهم ومنقلبهم أشتاتًا، زمرة زمرة، متفرقين متقادين، فريق إلى الجنة وفريق في السعير؛ ليصلوا إلى جزاء أعمالهم.

(١) في الأصل: مما.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٤٦/٣٠ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما أخبرها، إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عمل على ظهرها. وفيه رشدين بن سعد ضعيف الحديث.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/٣٥١.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨).

قال الشيخ أبو منصور: يرى الكافر ما عمل من خير في الدنيا، ولا يراه في الآخرة لأنه عمل للدنيا لا للآخرة، وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ الآية.

والمؤمن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل من خير في الآخرة، وإنما ضرب الخير والشر مثلاً بمِثْقَالِ ذَرَّةٍ - وهي نملة صغيرة حمراء - لأنها أصغر ما يقع عليها وَهُمْ الْبَشَرُ غَالِبًا^(١).

وكان بعض المسلمين يستحقرون الذنوب الصغيرة ويتهاونون به، في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقولون: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْخُذُ بِالْكَبِيرَةِ وَلَا يُؤْخِذُ بِالصَّغِيرَةِ، مثل: النظرة والكذبة والغيبة، وكانوا أَيْضًا يَسْتَقِلُّونَ الْيَسِيرَ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَلَا يَتَصَدَّقُونَ بِتَمْرَةٍ وَجُوزَةٍ، وكانوا يقولون: ثَوَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَا نُحِبُّهُ، وقد أنزل الله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ﴾ فالله تعالى أنزل هذه الآية ترغيباً في القليل من الخير، وتحذيراً عن القليل من الشر.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولأبويه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِذَا زُلْزِلَتْ كَأَنَّهُ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَأَعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ قَرَأَ رُبْعَ الْقُرْآنِ»^(٢).



(١) ملخص من تأويلات السنة للماتريدي ٥٩٩/١٠.

(٢) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٦.

سورة العاديات

مدنية^(١)، إحدى عشر آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا] ﴿٦﴾.

في الخبر: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى بني كنانة أو بني كندة، وأبطأ خبرهم، فأعلمه الله خبرهم على لفظ القسم ليكون دليلاً على قبول جهادهم، واسترضاء فعلهم^(٣).

قال ابن عباس وابن مسعود: نزلت في خيل الغزاة^(٤).

وقال علي: في إبل الحجاج^(٥).

(١) على خلاف بينهم، حكاها الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/١٦٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٨٠/٤.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٨٤).

(٣) وهو من رواية مقاتل، كما في الكشف والبيان ٣٠/١٧١، والكلبي كما في البسيط ٢٤/٢٣٧، وروي عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٤) وهم في عد ابن مسعود من القائلين بهذا القول، بل هو من أصحاب القول الثاني، كما في تفسير الطبري ٢٤/٥٥٨، والكشف والبيان ٣٠/١٦٩، ويظهر أن القول بأنها خيل الغزاة هو قول الجمهور.

(٥) ومعه ابن مسعود، وأقوالهم في تفسير الطبري ٢٤/٥٥٨، والكشف والبيان ٣٠/١٧٦.

وقد حصلت مناظرة بين علي وابن عباس في العاديات، فروى ابن جرير في تفسيره من طريق أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن العاديات ضبحاً، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي

وقال ابن عباس: لا يكون الضُّبْحُ إلا في الخيل خاصةً، وهو الصوت الذي يُسمع من جوفها حين تعدو^(١).

وإنما جرى القسم بالخيل لشدة عَدْوِهَا وقوتها، وحِدَّة بصرها في ظلمة الليل، ومن قوتها أنها تعدو في ليلة ظلماء فتخرج النار من شدة جريها من الحجارة التي تضربها بالحوافر، وذلك في مكان يعجز الإنسان عن المشي عليه إلا بمشقة.

فمعنى الكلام: والعاديات تضبح في عدوها ضبحًا، نصب على المصدر^(٢).

قال علي رضي الله عنه: متى كان في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلٌ

الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن العاديات ضبحًا، فقال: سألت عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي، فلما وقفت على رأسه؛ قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكأنت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحًا، إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى، قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه.

قلت: إسناده غريب، وقد تفرد به أبو صخر الخراط عن أبي معاوية الذهني عن سعيد بن جبير، أما أبو صخر فيهم، وأما أبو معاوية فصدوق لكنه لم يسمع من سعيد بن جبير شيئًا، ففي (العلل رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل ٣٠٣٣): عن بكر بن عياش قال: مر بي عمار الذهني فدعوته، فقلت: يا عمار، تعال، فجاء فقلت له: سمعت من سعيد بن جبير شيئًا؟ قال: لا، قلت: اذهب.

فالخبر منقطع، والصحيح أن ابن عباس وعليًا اختلفا، وما ليس بصحيح أن ابن عباس رجع عن قوله، ومما يؤكد ذلك أن أصحابه قالوا: هي الخيل، ولم ينزعوا عن ذلك، وهو الذي رجحه ابن جرير والله أعلم.

(١) تفسير الطبري ٥٥٨/٢٤، الكشف والبيان ١٦٩/٣٠. ومن الحيوانات التي تضبح: الكلب والثعلب.

(٢) الدر المصون ٨١/١١.

تعدو حتى^(١) يُقسم بها.

والصبح يعبر بها عن الصوت الذي يُسمع في مشافر الإبل^(٢) إذا عدت.

قال ابن عباس: الإبراء من الحجارة لا يكون إلا بسنابك الخيل^(٣).

قال علي رضي الله عنه: الإبل لتضربُ الحِجارة بأخفافها فتصطك فيخرجُ منه النار.

قال ابن عباس: ﴿قَالُمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝﴾ هي الخيل التي أغارت على الكفار في وقت الصبح.

وفي قول علي: إبل الحُجاج التي أفاضت من المزدلفة، يدفع بعضها بعضًا وقت الصبح، وكانت العرب نزولهم في تلك الغارات.

﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ۝﴾ أي: بالوادي، وإن لم يجر ذكر الوادي ولكن في الكلام ما يدل عليه، كقوله ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ۝﴾.

﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا ۝﴾ يعني: جمع الكفار بالمكان أو بالوادي، وفي قول علي: جمع الحاج بمنى.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝﴾ وهذا موضع القسم.

في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكنود الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده، ولا يُعطي النّائبة في أهله»^(٤).

(١) في الأصل: حين، وهو تصحيف تكرر منه في هذه الكلمة.

(٢) في الأصل: مشافر اوابل.

(٣) لأنه يحتاج إلى حافر صلب لا خف لين (البيضا ٢٤/٢٣٩).

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ٥٦٦/٢٤، من حديث أبي أمامة، مرفوعًا وفيه متروك، ثم رواه موقوفًا وهو أصح.

وفي لغة قريش: الكنود البخيل، وفي لغة كنانة: الكفور، وفي لغة حضرموت: العاصي^(١).

وقال الحسن البصري: هذا الذي يعد المصائب وينسى النعم^(٢).

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يعني الله تعالى علم بكنوده، وقيل: الإنسان هو الوليد بن المغيرة شهيد على فعله لا يجحده^(٣).

وقال الكلبي: نزلت الآية في أبي حباب، وهو من بخلاء العرب، وهو أبخل الناس، كان لا يوقد ناراً حتى ينام جيرانه، فإذا أحس بأحد أطفأ ناره كراهة أن ينتفع أحد بها^(٤).

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أي: متشدد بخيل، الخير: هو المال، الشديد والمتشدد: بخيل مصر على البخل.

قال طرفة بن العبد:

أرئى الموتَ يَعْتَامُ الكرامَ ويصطفى عَقيلةَ مالِ الفاحِشِ المتشَدِّدِ^(٥)

يعني: البخيل.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثَ رَافٍ فِي الْقُبُورِ﴾ يعني: لا يعلم الكافر إذا بُعث من

(١) وهو قول الكلبي ورواه عن ابن عباس، الكشف والبيان ٣٠/ ١٨١، الدرر المصون ١١/ ٨٩.

(٢) الكشف والبيان ٣٠/ ١٨٢.

(٣) وقال الكلبي: هو قرط بن عبد الله بن عمرو، ويقال: أبو الحباب (تنوير المقباس ٥١٧). ولا شك أن المراد العموم.

(٤) الكشف والبيان ٣٠/ ١٧٧.

(٥) البيت من معلقته المشهورة، (شرح المعلقات السبع للزوزني ١١٠) وأخذ من هذا البيت أن العرب تسمي البخيل: فاحشاً، ومتشدداً (تهذيب اللغة ٤/ ١١٢، الكشف والبيان ٣٠/ ١٨٨). وقوله: اعتام أي اختار.

القبور، وذكر «ما» لأنَّ في القبور عظامًا بالية.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠) أي: أظهر ما أخفته النفوس، وجوابه محذوف، ومعناه: أن لا يعلم أن الله يحاربه في ذلك اليوم.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (١١) وهو خير بهم اليوم أيضًا، ولكن ذكر يومئذٍ لأنه يوم الجزاء وهو خير بالجزاء والله أعلم.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة العاديات أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد مَنْ بات بالمزدلفة وشهد جَمْعًا» (١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٦٨/٣٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٧.

سورة القارعة

مكية^(١)، وهي ثمان آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝﴾ القارعة عند العرب هي الداهية، وهي في هذا الموضع وصف لشدة هول يوم القيامة^(٣).

وقوله: «ما القارعة» تعجيب وإعظام لذلك.

قيل: هو مبتدأ^(٤) وخبره: ما القارعة، وقيل: خبره وما أدرك^(٥).

والألطف ما قال سيويه: أنه رفع على التحذير، والعرب ترفع على التحذير، يُقال: الأسدُ الأسدُ^(٦).

وقال الشاعر:

فاحذروا غب ما يخافه إن قا ل أخو النجدة السلاح السلاح^(٧)

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/١٩٣، زاد المسير ٤/٤٨٣.

(٢) في البصري والشامي، وعشر في المدني والمكي، وإحدى عشرة في الكوفي (البيان في عد آي القرآن ٢٨٥).

(٣) قال الواحد: اسم من أسماء القيامة في قول الجميع (البسيط ٢٤/٢٦١).

(٤) في الأصل: أشد. وهو تصحيف.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/١٧٥.

(٦) الدر المصون ١١/٩٣. وهي قاعدة عندهم: أن العرب تحذر وتغري بالنصب والرفع.

(٧) كذا أنشد البيت، وشطره الأول في تفسير الطبري ٦/١٢٨، والدر المصون ١١/٩٣: لجديرون بالوفاء إذا قال... الخ.

وُسُمِّيت قَارِعَةً: لأنها تَقْرَع القلوب بِأَقْرَاعِهَا^(١).

ثم عَظَّمَ شَأْنَ الْقِيَامَةِ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٢) أي: لا علم لك بها لعظم شأنها.

ثم وصف وقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾^(٣) وهي: صغار جرادٍ منتشرٍ يُموج بعضها في بعضٍ، ويركب بعضها بعضاً، ويتفرق يمناً ويسرة، وهذه صفة حيرتهم^(٤).

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(٥) العهن: صوف مصبوغ، والمنفوش: المندوف، وذلك أَنَّ الجبال تتلون ألواناً من شدة أهوال يوم القيامة، وتتطاير كتطاير الصوف المندوف عند الندف^(٦).

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾^(٧) ولها تأويلان^(٨):

أحدها: القدر والجاه والخطر، يُقال: لفلان عند الأمير وزن، أي: جاءه بسيط وقدّر وخطر، فكان المُرَاد به: من كان له عند الله قدراً ومنزلةً من غير أن يكون هناك وزن ولا ميزان.

والوجه الثاني: أنه يُراد به وزن السرائر المرضية الحسنة، مما لم تطلع عليها الملائكة الذين هم يكتبون أعمال بني آدم، فأظهر الله تعالى سرائرهم على خلقه^(٩).

(١) البسيط ٢٤ / ٢٦١.

(٢) تفسير أبي الليث ٣ / ٦١١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤ / ٥٧٤.

(٤) لكنه ذكر ثلاثة.

(٥) هذان القولان شاذان، يتهكان قانون التفسير بالمأثور، ولم يقل بهما أحد ممن سلف من أهل التأويل، إنما ذكرهما أبو منصور الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة ١٠ / ٦٠٦.

والوجه الثالث: وزن الأعمال وهو معروف^(١).

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٧) أي: مرضية فاعل بمعنى المفعول.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾^(٨) أي: من الأعمال السيئة والسرائر الخبيثة ﴿فَأُمُّهُ﴾

هَٰوِيَّةٌ^(٩) أي: مسكنه النار، والهافية دركة في النار.

وقيل: معناه يسقط فيه على أم دماغه، فأمه هافية، أي: أم دماغه ساقطة فيها،

وهذا اللفظ معروف فيما بين العرب، تقول: هوت أمه أي: سقط هو في أمرٍ عظيم، على وجه الدعاء^(٢).

قال الشاعر:

هوت أمه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يؤدي الليل حين يؤوب^(٣)

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾^(١٠) [النفس]^(٤)، ثم فسرها وقال: ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾^(١١)

فاعلة بمعنى المفعولة، أي: في غاية الحر.

ولم يذكر أبو منصور القول الثالث الذي عليه أهل التأويل، ولذا تبعه المصنف، ثم زاد عليه قول أهل التأويل وجعله وجهًا ثالثًا.

(١) هذا القول الثالث الأخير هو الذي يذكره المفسرون هنا، لأن القرآن دل عليه في آيات أخرى، انظر: تفسير الطبري ٥٧٥/٢٤، تفسير أبي الليث ٦١١/٣، البسيط ٢٤/٢٦٥، زاد المسير ٤٨٣/٤.

(٢) روي عن قتادة وأبي صالح (تفسير الطبري ٥٧٥/٢٤، الكشف والباين ٣٠/١٩٦).

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي، انظر: تهذيب اللغة ٦/٢٦٠، ١٥/٤٣٢، إعراب القرآن للنحاس ١٧٦/٦.

(٤) هكذا في الأصل، وهو تصحيف، ولم أهد لصوابه، لكن لعله: المسكن، فإنه إنما فسرها بأنها مسكنه (انظر: تفسير أبي الليث ٦١١/٣).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولأبويه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة القارعة ثَقُلَ الله بها ميزانه يوم القيامة»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠ / ١٩٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٨.

سورة الهاكم

مكية^(١)، وهي ثمان آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الْهَلَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي: شغلكم التفاخر بكثرة الأولاد والعشائر، وقيل: كثرة المال عن أمر الآخرة.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: أتيتم المقابر.

ذكر في التفسير أنَّ حَيَّين من بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بكثرة العدد، فكثرتهم بنو عبد مناف، فقال بنو سهم: لقد أفنانا السيف وأهلكنا البغي، تعالوا نعد الأموات، فعدوا الأموات فكثرتهم بنو سهم، فأنزل الله تعالى: ﴿الْهَلَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ الآية^(٣).

معناه: شغلكم التكاثر بالأنفس حين دخلتم المقابر وعددتهم الأموات.

ويقال: معناه حتى دُفنتم في المقابر، والدفن في القبر يُسمى زيارة للقبور^(٤).

كما قال الطائي:

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠ / ٢٠١، زاد المسير ٤ / ٤٨٥.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٨٦.

(٣) هذا قول ابن السائب ومقاتل، ولذا لم يذكره الطبري (الكشف والبيان ٢٤ / ٥٨٠، زاد المسير ٤ / ٤٨٥). وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا نحن أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضللاً (تفسير الطبري ٢٤ / ٥٧٩، الكشف والبيان ٣٠ / ٢٠٣).

(٤) ويدل عليه استدلال علي بن أبي طالب بهذه الآية على عذاب القبر (تفسير الطبري ٢٤ / ٥٨٠).

وما يوم زرت اللحد يومك وحده علينا ولكن يوم عمرو وحاتم^(١)
﴿كَلَّا زَجْر، أَي: لا تفعلوا ذلك وارتدعوا﴾ ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ [ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ] ﴿٣﴾ أَنَّ المفاخرة بماذا أولى بكم، وقيل: الاشتغال بأي شيء أولى بكم^(٢).
ثم أكد الوعيد فكرر^(٣)، ثم قال ﴿كَلَّا﴾ أَي: حقًا ﴿[لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ]﴾
الذي لا شك فيه، أضاف العلم إلى اليقين إضافة الشيء إلى نعته، وإلى نفسه، كقوله
﴿حَبْلٍ أَلْوَرِيدِ﴾^(٤)، وجوابه: مضمّر محذوف، معناه لو تعلمون علم اليقين لما
تكاثرتم.

ثم ابتدأ فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^(٥) بالتفكر في آيات الله وحجج نبوة رسول الله في
الدنيا ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(٦) مشاهدة ومعينة، نظير قوله ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا
وَارِدُهَا﴾ إن أراد به المؤمن فهذا معناه.

وإن أراد به الكافر: فمعناه لتدخلن الجحيم^(٤).

﴿ثُمَّ لَتَسْعَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٧) أَي: كل ما تنعمتم به في الدنيا.

واللامات الثلاثة للقسم، والنونات للتأكيد، أقسم الله بها للمبالغة.

في الذي^(٥) فقال علي رضي الله عنه: النعيم هو خبز الشعير، والماء القراح،
وظل الشجر والنعلين.

(١) ديوان أبي تمام ص ٣٧٤، الموازنة بين أبي تمام والبحري ١ / ٣٦٥.

(٢) وعن الضحاك: الأولى للكفار والثانية للمؤمنين (تفسير الطبري ٢٤ / ٥٨١).

(٣) في الأصل: فكبر، وهو تصحيف.

(٤) البسيط ٢٤ / ٢٨٢.

(٥) كذا في الأصل، وهذه الورقات بخط سيء، وهو تصحيف، ويظهر أن الصواب: «واختلفوا في
النعيم الذي يسأل عنه».

وعن الضحاك: هو الماء البارد في الصيف، والماء الحار في الشتاء^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولأبويه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن
سول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة ألهاكم لم يحاسبه الله بالنعم
التي أنعم عليه في دار الدنيا وأُعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية»^(٢).



(١) انظر الأقوال في النعيم في تفسير الطبري ٥٨٢/٢٤، الكشف والبيان ٢٠٨/٣٠، البسيط ٢٨٦/٢٤. ثم قال ابن جرير بعد روايته طرفاً من أقوالهم: والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عم بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠١/٣٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٩.

سورة العصر

مكية^(١)، وهي ثلاث آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾.

قال الكلبي: أقسم الله عز وجل بالدهر كله^(٣).

وقيل: بصلاة العصر^(٤)، ويُقال: بعمر محمد صلى الله عليه وسلم^(٥).

ومعناه: لعمرى إن الإنسان لفي خسر، أي: في غبن يوم القيامة. وقيل: في عقوبة أو هلكة.

والإنسان: أراد به أبا لهب، وقيل: الوليد بن المغيرة^(٦).

وقيل: جميع الناس، لأنه قال ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

والجماعة [لا]^(٧) تُسْتَنْى من الواحد، والمعنى: الكفار في خسارٍ وهلاكٍ إلا الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالحًا.

ويُقال: كيف استثنى أهل الربح من الخسران، ولم يستثن أهل الخسران

(١) وهو قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٣٩، وقيل: مدنية (زاد المسير ٤/ ٤٨٧، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧٨).

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٨٧.

(٣) الكشف والبيان ٣٠/ ٢٤١.

(٤) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٣٠/ ٢٤١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧٩.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٦١٥.

(٧) سقطت من الأصل، ولا بد منها كي يصح السياق والاستدلال.

من الربح؟

والجواب: أَنَّ هذه الآية نزلت بقرب من مبعث رسول الله، والقوم إذ ذاك بأجمعهم كانوا ضللاً كفاراً، والمؤمنون قليل، واستثناء القليل من الكثير المعروف.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: تحاثوا متابعة الحق^(١)، بعضهم بعضاً.

وقيل: الحق اسم من أسماء الله تعالى وحده، يعني: تواصوا بإلزام طاعة الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب وإقامة الطاعات.

وعن أبي^(٢) عباس محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أبي الخلفاء رضي الله عنه: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿﴾ أي غبن ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أبا بكر الصديق ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عمر بن الخطاب ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ عثمان بن عفان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ علي بن أبي طالب^(٣).

وصف الله أبا بكر بالإيمان لأنه سابق في الإيمان، وخصَّ عمر بالعمل الصالح لأن التواصي بالحق والصبر يدخلان في العمل الصالح، وخصَّ عثمان بالتواصي بالحق لأن التواصي بالحق جزء من العمل الصالح، والتواصي بالصبر داخل في التواصي بالحق، وخصَّ علياً بالصبر لأنَّ مجاهدة العدو واعتماد أمور الدين معه لا يحصل إلا بالصبر، فصح ترتيب فضل الصحابة في تفسيره على ما عليه الأمة الهادية.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة والعصر ختم الله تعالى أمره بالصبر، وكان من أصحاب اليمين يوم القيامة»^(٤).

(١) في الأصل: عاثوا المتابعة الحق، وهو تصحيف بين.

(٢) في الأصل: ابن. وهو تصحيف.

(٣) الكشف والبيان ٢٤٦/٣٠.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣٩/٣٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٠.

سورة الهمزة

مكية^(١)، وهي تسع آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٣) الهمزة: الطعان الذي يهمز في الوجه، واللمزة: الذي يلزم من خلف، وهو المغتاب^(٤).

وقيل: الهمزة الذي يؤذي جليسه، واللمزة الذي يغتابه في غيبته.

نزلت في الوليد بن المغيرة قام رسول الله...^(٥).

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾^(٦) الذي جعله عدة للنوائب يتكبر به.

وُقِرَى: بالتخفيف^(٧)، أي جمع مالا وعددا من قومه أنصارا.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾^(٨) خلصه من الموت ﴿كَلَّا﴾ لا يخلده ولا يخلصه.

وكَلَّا: تنتظم معنيين، ردًا وقسمًا.

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٤٩، زاد المسير ٤/ ٤٨٨.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد أي القرآن ٢٨٨.

(٣) الكشف والبيان ٣٠/ ٢٥١، البسيط ٢٤/ ٣٠٥، زاد المسير ٤/ ٤٨٨.

(٤) بيض لباقى القصة، وفي تفسير الكلبي (تنوير المقباس ٥١٩): نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق ويقال في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه ويطعن في وجهه.

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم ويطعن في وجهه (تفسير أبي الليث ٣/ ٦١٦).

(٥) بالتشديد: جمع، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وروح، وقرأ الباقون بالتخفيف (النشر ٢/ ٤٠٣).

فَإِنْ كَانَ رَدًّا يَنْظُرُ إِلَى مَكَانِهِ، إِنْ كَانَ حَسَنَ الْإِبْتِدَاءِ بِمَا بَعْدَهُ وَقَفَ عَلَيْهِ، وَابْتَدَأَ بِمَا بَعْدَهُ، كَقَوْلِهِ ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ﴾ (٧٨) ﴿كَلَّا﴾ لِأَنَّهُ حَسَنَ الْإِبْتِدَاءِ بِمَا بَعْدَهُ فَيَكُونُ رَدًّا.

وَإِنْ كَانَ قِسْمًا لَا يُوقِفُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُوَصِّلُ بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾. وَهَاهُنَا يَحْتَمِلُ كِلَا الْوَجْهَيْنِ الْقِسْمَ وَالرَّدَ.

﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۖ﴾ (٧٩) أَي: لَيُطْرَحَنَّ فِيهَا، وَهِيَ دَرَكَةٌ مِنَ النَّارِ تَحْطُمُهَا حَطْمًا.

وَقُرِئَ: لَيُنْبَذَنَّ^(١)، فَمَعْنَاهُ هُوَ وَمَالُهُ، كَقَوْلِهِ ﴿لَيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۖ﴾ (٨٠) ثُمَّ بَيَّنَّ مَا هِيَ، قَالَ: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۖ﴾ (٨١) الْمَتَسَعِرَةُ عَلَى أَهْلِهَا لَا تَخْمَدُ ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقَدَةِ ۖ﴾ (٨٢) أَي: تَبْلُغُ إِلَى الْفُؤَادِ وَلَا يَحْتَرِقُ الْفُؤَادُ، لِأَنَّ الْفُؤَادَ لَوْ احْتَرَقَ يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ بِحَالِ قُرْبِ مَوْتِهِ وَلَا يَمُوتُ، لِأَنَّ الْأَلَمَ بَلَغَ إِلَى الْفُؤَادِ وَلَمْ يَحْرِقْهُ.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ﴾ (٨٣) يَعْنِي: النَّارُ عَلَيْهِمْ ﴿مُؤَصَّدَةٌ ۖ﴾ (٨٤) مُطَبَّقَةٌ أَبْوَابُهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ رُوحٌ وَلَا يَخْرُجَ مِنْهَا غَمٌّ.

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۖ﴾ (٨٥) ذَكَرَ الْفُرَاءُ فِي مَعَانِيهِ: الْعَمَدُ بِالنَّصَبِ، وَالْعُمْدُ بِالرَّفْعِ^(٢)، كِلَاهُمَا جَمْعَانِ لِلْعُمُودِ^(٣).

(١) نسبها الثعلبي للحسن (الكشف والبيان ٢٥٧/٣٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: عُمْد، وقرا الباقر كما أثبت (النشر ٤٠٣/٢).

(٣) في الأصل: للعموم، وهو تصحيف، وانظر: معاني القرآن للفراء ٢٩١/٣.

قال الكلبي: الحطمة مُطبقة عليهم مشددة بعمد كعمد أهل الدنيا غير أنها من نار^(١).

قال عبد الحميد الحاكمي - غُفر له ولوالديه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الهمزة أُعطي من الأجر بعدد ما استُهزئ بمحمد صلى الله عليه وسلم عشر حسنات»^(٢).



(١) البسيط ٣١٦/٢٤.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/٢٥٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧١.

سورة الفيل

مكية^(١)، خمس آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ قيل: كانت الحبشة اتخذوا بيتاً كهيئة الكعبة لتتخذها الناس مثابة مثل الكعبة، فلم يفعلوا ذلك، فغاضهم ذلك فقصدوا تخريب بيت الحرام.

وقيل: كانت جماعة من قريش سافروا في بلادهم، فنزلوا بجنب كنيسة النجاشي، يُقال له ما سر حسان^(٣)، وأوقدوا ناراً لحاجتهم ثم ارتحلوا، وبقيت بقية النار فهبت به الريح، واضطربت البيعة وهلك مال كثير، فاهتم به النجاشي، فقال له أبرهة بن الصباح -وقيل: أبرهة بن أشرم، أبو يكسوم الكندي-: لا تهتم أيها الملك فإننا نبني هذه الكنيسة من مالنا، ونقصد إلى قريش نخرب الكعبة التي هي فخرهم ومعتزهم، فننسف بناءها، ونبيح دماءها، وننتهب أموالها، فسُرَّ به النجاشي.

وكان ذلك قبل مولد رسول الله بثلاث وعشرين سنة.

فأتوا بقرب مكة فوقفت بهم دوابهم، لم تسر، فردوها من ورائهم فسارت، فنزلوا، وانذعرت قريش وهربوا، ونشأت من شاطئ البحر طير لها خراطيم الطيور، وأكف الكلاب، وأنياب السباع، في منقارها الحصى كأنه حصي الخذف، ترميهم بها،

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/٢٦٥، زاد المسير ٤/٤٩٠.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٨٩.

(٣) في الأصل: ما بين حسان، مهملة، والتصحيح من تفسير مقاتل ٣/٣٢٠، فهو صاحب هذه الرواية.

فوقع كل حجر على رأس صاحبه فبلغ جوفه، فأهلكهم الله مع دوابهم، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١).

وهذه الكلمة تذكير أعجوبة كانت وقد عرفوها، ثم غفلوا عنها، وفيه معنيان:

إظهار المنّة من الله عز وجل بقهر من قصد الكعبة وأهلها.

والثاني: تنبيه أن الله تعالى لما فعل ذلك لهتك حرمة بيته فلاّن يفعل مثله بأهل هتك حرمة رسوله، لأن حرمة الرسول فوق حرمة البيت.

وسماهم أصحاب: لأنهم أرباب الفيل، تحملوا لتخريب بيت الله، فأهلك الله الفيل وأصحابها.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (٢) أي: صنيعهم في خسران وبطلان، حتى بطل ما قدّروه من عند أنفسهم وهو تخريب الكعبة.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (٣) جماعات في تفرقة، واحداها: أبول، مثل سنور وسنانير، وعجول وعجاجيل (٢).

وقيل: هذا جمع لا واحد له مثل عباديد.

﴿تَرْزِيقُهُمْ﴾ من الهواء ﴿يَجَارِقُ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (٤) قوم لوط ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُولٍ﴾ (٥) كورق زرع بال قد جوفه دواب البقل.

وقيل: كتبن عفن.

والمأكول الذي يؤكل جنسه، كما يقال: طعام مأكول ليس يراد به ما قد أكل (٣).

(١) القصة مشهورة، وقد أطل فيها الطبري في تفسيره ٢٤/ ٦١٠، والشعلبي في الكشف والبيان

٣٠/ ٢٦٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٩٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٢، تفسير الطبري ٢٤/ ٦٠٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦٤.

قال عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولأبويه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الفيل عافاه الله أيام حياته من القذف والمسح»^(١).



(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠ / ٢٦٥، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٢.

سورة الإيلاف

مكية^(١)، أربع آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١﴾ [لَيْفُهُمْ].

قيل: هو لام تعليل لأنه موصوف بقصة أصحاب الفيل، معناه: إنما فعل ذلك بهم لإيلاف قريش حتى ائتلفوا في مكانهم كما تألفوا ﴿رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾. وقيل: لام تعجيب، اعجبوا من إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف آمين من الأعداء بحرمة الكعبة؛ مع كفرهم برب الكعبة^(٣).

وكانت قريش وأهل مكة يرتحلون اتجاراً^(٤) آمين بين الأمصار، لا يُتعرض لهم ولا لمالهم، لا حياً ولا ميتاً، وقيل: هذا رجل حرمي، فيترك آمناً بحرمة الكعبة. وإنما من الله عليهم بهلاك أصحاب الفيل لأن قبل ذلك كانوا آمين في كافة العرب، فلو تم لأصحاب الفيل مرادهم لاجترأ كل واحد على أنفسهم وأموالهم، فصاروا عرضة للعادة [والأمر]^(٥)، فزادهم الله بهلاك أصحاب الفيل آمناً على أمن.

(١) في قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠/٣٠٣، زاد المسير ٤/٤٩٣.

(٢) وخمس في المدنيين والمكي (البيان في عد آي القرآن ٢٩٠).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/٢٩٣، تفسير الطبري ٢٤/٦١٩، معاني القرآن للزجاج ٥/٣٦٥.

(٤) في الأصل: ارتحارا، وهو تصحيف.

(٥) في الأصل: ولاير، ولكن بدون نقط، ولعل الصواب ما أثبتته.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: كفاهم
مؤنة الجوع، مع أنه لا زرع في أرضهم، تارة يحمل الطعام إليهم فيشتروه، وتارة
يخرجون إلى البلاد آمنين فيحملوه إلى أهاليهم.

﴿وَأَمِنْهُمْ مَنْ خَوْفٍ﴾ السبي والأسر وسائر الناس كلهم خائفون، كقوله
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(١).



(١) لم يذكر الحديث الموضوع في فضل سورة قريش، كعاداته في سائر السور، فلا أدري أسقط
على الناسخ، أم هكذا هو في الأصل، والحديث في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٣٠ / ٣٠٤.

سورة أرايت

مكية عند مقاتل، ومدنية عن الكلبي، وعند غيرهما إلى ﴿طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣)، نزلت بمكة، والباقي بالمدينة^(١)، وهي سبع آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد هذا ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ (١) ﴿أَي: يجحد بالحساب والحشر والبعث، وألف «أرايت» ألف تنبيه وتبيين، ومعناه التنفير، ومعناه: اعلم أن الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي يكذب بالدين، ويجحد بالبعث، يعني الوليد بن المغيرة.

وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي، أضاف الناس وسقاهاهم خمرًا، وعلى بابه يتيم يسأله فدفعه حتى طرحه في الطين، فذمه الله به^(٣).

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتِمَ﴾ (٢) ﴿أَي: يتركه جائعًا لا يطعمه﴾ ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣) ﴿أَي: لا يرغب أحدًا على إطعام مسكين ولا من به^(٤).

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ (٥) غافلون تاركون حتى ذهب وقتها^(٥) من غير عذر.

(١) وهو قول الجمهور، تنوير المقباس ٥٢٠، تفسير مقاتل ٥٢٧/٣، الكشف والبيان

٣٢٩/٣٠، زاد المسير ٤/٤٩٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٠.

(٢) في الكوفي والبصري، وست في عد الباقيين (البيان في عد آي القرآن ٢٩١).

(٣) وهو قول مقاتل (تفسير مقاتل ٥٢٧/٣) والكلبي (الكشف والبيان ٣٠/٣٣١).

(٤) كذا في الأصل، ولعلها: ولا من به حاجة، أو نحو ذلك، هذا إن لم تكن مصحفة.

(٥) في الأصل: وقته.

والسهو هاهنا عبارة عن إضاعة الوقت، والسهو بالقلب لا يقال بكلمة «عن» ولكن يقال بكلمة «في»^(١).

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ﴾ الناس إذا صلوا ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٧) أي: زكاة أموالهم^(٢).

والماعون في اللغة: كل ما يُنتفع به من أمتعة البيت، كالقدور والقصعة والفأس^(٣).

وقالت عائشة: هي النار والماء والملح^(٤).

ومن قال هي: الزكاة لذكرها^(٥) مقرونة بالصلاة، والمقرون بالصلاة هي الزكاة، والله أعلم.

قال عبد الحميد: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة أرايت غفر الله له [إن كان للزكاة مؤديا]»^(٦)^(٧).



(١) البسيط ٣٥٨ / ٢٤.

(٢) وهو قول جمهور السلف (تفسير الطبري ٦٣٥ / ٢٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٦٨ / ٥. وهو قول ابن عباس في الماعون (تفسير الطبري ٦٣٨ / ٢٤).

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٤٣ / ٣٠ عن عائشة مرفوعاً، بإسناد شديد الضعف.

(٥) في الأصل: يتذكرها مقرون.

(٦) أتممت الرواية من تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٣٣٠ / ٣٠، وفضائل القرآن للمستغفري

(١٢٧٤)، وكان في الأصل قد تصحفن فكتب كلمات غير مقروءة، صورتها: وكان له من

الثواب لدعوة مودي.

(٧) حديث موضوع، وقد ذكرنا مصادره في التعليقة السابقة.

سورة الكوثر

مكية^(١)، وهي ثلاث آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٣) .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الكوثر نهر أعطاني [الله في الجنة]^(٤) على حافتيه قباب^(٥) من در، تقرقر^(٥) في حوضي، وحوضي ما بين الصنعاء والأردن»^(٦).

وجاء في الخبر: «الكوثر هو الخير الكثير»^(٧).

وقيل: أراد به القرآن لأنه خير كثير، وقيل: يعني به الأمة، وقيل: الشفاعة.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(٨) صلي صلاة العيد وانحر البدن بعده.

وقيل: صلي الصبح بجمع وانحر بمنى^(٩).

وقيل: اقعد بين السجدين حتى يحاذي نحر ك القبلة^(٩).

(١) في قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠/٣٤٩، زاد المسير ٤/٤٩٧.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد أي القرآن ٢٩٢.

(٣) بيض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٤) في الأصل: على ما فيه فباب، وهو تصحيف.

(٥) كذا في الأصل، والقرقرة المستوي الأملس، وهو وسط القاع (تهذيب اللغة ٨/٢٢٧).

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، وقد روى ابن جرير نحوه من عدة طرق، وهذا القول الأول في التفسير

(تفسير الطبري ٢٤/٦٤٥، ٦٤٩).

(٧) وهو قول لابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما (تفسير الطبري ٢٤/٦٤٧).

(٨) وهو قول عكرمة وقتادة، تفسير الطبري ٢٤/٦٥٣.

(٩) حكاها الفراء في معاني القرآن ٣/٢٩٦.

وقال الزجاج: صلي الله وانحر له، لأن الكفار يصلون ويذبحون للأصنام^(١).

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢) عدوك هو المقطوع.

وكان العاص بن وائل يقول لرسول الله: أبتَر، بعد موت ولده طاهر بن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣): إن عدوك هو المقطوع الذي لا يذكر إلا باللعن، وأما أنت فذكرك يطبع في الخطب والأذان.

قال عبد الحميد - غفر الله له -: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من أنهار الجنة وأُعطي من الأجر عشر حسنات»^(٤).



(١) لم أجده في معاني القرآن ٣٦٩/٥ ، وهو معنى قول القرظي (تفسير الطبري ٢٤/٦٥٥) واختاره ابن جرير.

(٢) الكشف والبيان ٣٠/٣٨٦.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/٣٥٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٥.

السورة التي يذكر فيها الكافرون

مكية^(١)، ست آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ قد قدمنا أن الكفار دعوا رسول الله إلى عبادة آلهتهم حتى يعبدوا رب السماوات والأرض، فنزلت السورة جواباً لهم، وقد بينا معنى التكثير أيضاً، وهو على عادة العرب، يؤكدون الكلام بالتكثير، يقولون: ارم ارم، اضرب اضرب^(٣).

وقيل: إن الأول على الوقت والثاني على المستأنف، معناه ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ في الحال ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣﴾ في الحال ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤﴾ بعد اليوم ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥﴾ في الحال ولا بعد اليوم، يعني «من» أعبد، وضع «ما» مكان من إدراجاً على نسق الكلام، لأنه جرى بكلمة^(٤).

والدليل على صحة ما ذكرنا إثبات التنوين في قوله «ولا أنا عابد»، وإثبات النون في قوله «ولا أنتم عابدون» وهما يدلان على الاستقبال، كقوله: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ۝٦﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ۝٥﴾ وهو كما^(٦) وعد^(٧).

(١) في قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠ / ٣٩١، زاد المسير ٤ / ٤٩٩.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٩٣).

(٣) البسيط ٢٤ / ٣٩٤.

(٤) يعني ما، ونحوه في تفسير السمعاني ٦ / ٢٩٥.

(٥) على قراءة: متم، بتنوين الميم.

(٦) في الأصل: كلما، وهو تصحيف.

(٧) تفسير الطبري ٢٤ / ٦٦١، معاني القرآن للزجاج ٥ / ٣٧١، البسيط ٢٤ / ٣٩٣.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۖ﴾ (١) ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾

وعليكم جزاء دينكم الشرك ولي جزاء ديني الإسلام.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الكافرون أُعْطِيَ من الأجر [كأنما] قرأ ربع القرآن وتباعد منه الشيطان وبرئ من الشرك ويعافى من فزع يوم القيامة»^(٢).



قال الطبري: وإنما قيل ذلك كذلك، لأنَّ الخطاب من الله كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله صلى الله عليه وسلم من الطمع في إيمانهم، ومن أن يفلحوا أبداً، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا، إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعض قبل ذلك كافراً.

(١) كذا في الأصل، والآية فيها معنى التهديد، والمفسرون ينظرونها بقوله: ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [سورة الشورى: ١٥] (الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٢٩).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/٣٩٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٦.

سورة الفتح

مدنية^(١)، وهي ثلاث آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾ لفظه ماض والمراد منه المستقبل.

قال مقاتل: نزلت السورة بعد فتح الطائف، والفتح فتح مكة.

وقال ابن عباس: نزلت بالمدينة.

وقال ابن عمر: نزلت بمنى في حج الوداع في وسط أيام التشريق، وهي مدنية، لأنها نزلت بعد الهجرة.

والنصر: هو المعونة على العدو، والفتح هو الأمن من شر العدو، وأراد به فتح مكة وسائر البلدان^(٣).

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ﴿٢﴾ أي جماعة جماعة من غير عد.

وقال الحسن^(٤): لما فتح الله مكة على رسول الله قالت العرب: قد ظهر محمد على الحرم، وقد منع الله [أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/٤٠٧، زاد المسير ٤/٥٠١، وهي آخر سورة نزلت.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٩٤.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/٦٦٧، الكشف والبيان ٣٠/٤٠٩، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٢٩.

(٤) في الأصل: الحسين، وهو تصحيف، وهذا قول الحسن البصري.

الله [١] وحداناً وحداناً ومثنى ومثنى وقبائل قبائل.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلي بأمر ربك شكراً له على ما أعطاك من الفتح
﴿وَأَسْتَغْفِرُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ للمستغفرين.

وفي آياته علامات نعي رسول الله لأنه أمره يختم عمره بالاستغفار (٢).

والتَّوَابُ: على الكثرة، أي: يقبل التوبة مرة بعد مرة، لأن من ارتكب معصية ثم
تاب تُقْبَلُ توبته، ثم إن عصي وتاب تُقْبَلُ ثانياً، وثالثاً، وإن كثر.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله يوم فتح
مكة» (٣).



(١) سقط هذا على المصنف، ولا بد منه لتصحيح السياق، والقول في الكشف والابان
٤٣٨/٣٠، البسيط ٢٤/٤٠٠، معالم التنزيل ٥٧٦/٨.

(٢) روي ذلك عن ابن عباس وعائشة وغيرهم (تفسير الطبري ٢٤/٦٦٩).

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/٣٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٣.

سورة تبت

مكية عن الكلبي، قال مقاتل: مدنية^(١)، خمس آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: خسرت يده وخابتا من كل خير، نسب الخسران إلى يديه لأن أكثر البياعات تجري على اليدين.

وفي الخبر: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿١١﴾ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا آل بني المطلب يا آل هاشم ويا آل عبد مناف، فاجتمعوا فقال: إني لا أملك لكم من الله نفعا في الدنيا والآخرة، إلا أن تقولوا شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقال له أبو لهب لعنه الله: تبّا لك يا محمد ألهذا دعوتنا، فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿١﴾ مجازاة له، فخابت يده من أعمال الخير، ومات على الكفر^(٣).

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٤﴾ أي: خسران وهلاك. وإنما ذكره بكنيته لأن اسمه عبد العزى فلم يجوز أن ينسب عبوديته إلى غيره^(٥).

(١) وشذ من قال مدنية، فقد نقل الإجماع على مكيتها، الكشف والبيان ٣٠/٤٥٥، زاد المسير ٥٠٢/٤.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد أي القرآن ٢٩٥.

(٣) رواه البخاري ٤٩٧١، ومسلم ٢٠٨.

(٤) في الأصل: أخطأ في كتابة الآية.

(٥) البسيط ٢٤/٤٠٩.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ﴾ لا ينفعه ما جمع من ماله وما كسب من الأولاد في الدنيا، وهم عتبة وعتيبة وعتاب ومعيتب ومعتب^(١)، سمى أولاده كسباً كما ذكر في الخبر المعروف: «ولد البعل من كسبه»^(٢).

﴿سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۖ﴾ سيدخلها وهي ذات وقود، لا يسكن لهبها، ولا يهدأ غيظها تتلظى على وجهه.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ﴾ أي: تصلى النار، الحطب: يوقد به نار الإحراق، والنميمة يهيج بها نار الحقد والفتنة والعداوة^(٣).

قال الشاعر:

إن بنى الأدرم حمالو الحطب هم الوشاة في الرضى وفي الغضب^(٤)
﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۖ﴾ أي سلسلة من مسد^(٥)، والمسد الحديدية^(٦) التي تدور عليها البكرة^(٧).

وقيل: في عنقها حبل من مسد أي ذهب لأنها كانت تحتطب وتجمع الشوك فتلقيه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢٤ / ٦٧٧).

(٢) رواه أحمد في المسند ٢٤٠٣٢.

(٣) أي: أنها كانت تمشي بالنميمة، ولذا سميت حمالة الحطب، وقيل: إنها كانت تحمل الشوك فتلقيه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم (تفسير السمعاني ٦ / ٣٠٠).

(٤) البيت في الكشف والبيان ٣٠ / ٤٧٧، تفسير السمعاني ٦ / ٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٩.

(٥) في الأصل: جهد، وهو تصحيف.

(٦) في الأصل: الحديدية والحديدية. وهو تكرار.

(٧) وهو قول مجاهد (تفسير الطبري ٢٤ / ٦٨١).

وذكر في بعض التفاسير أنها جاءت حاملة الحطب فوضعت على جدار لتستريح فأسرجت الحزمة من وراء ظهرها والحبل في عنقها فماتت، ولكن هذه القصة ربما لا تصح، لأن الله تعالى ذكر غنى أبي لهب حيث قال: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ﴾ (١) وامرأة الغني لا تحتاج إلى هذا، وكانت امرأته أم جميلة أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت متمولة ولها خدم وجواري (٢).

فمعنى الآية ما ذكرناه من قبل.

ويروى أنه لما نزلت هذه الآية وسمعت بها رفعت حجراً وقصدت رسول الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر جالسين بفناء الكعبة، فقامت على رؤوسها فأعمى الله عينها حتى لم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت لأبي بكر: هل رأيت (٣) ابن أبي كبشة، أما كفاه أن يهجو عمه حتى هجاني رسول الله لو رأيت لفصصت (٤) فاه، ولم تر رسول الله، فراحت وهي تقول: محمد قلينا، ودينه أبينا، وأمره عصينا (٥).

وقيل: معنى قوله ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (٦) أي سلسلة من نار.

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولأبويه -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» (٧).

(١) البسيط ٢٤ / ٤٢٠.

(٢) في الأصل مصحفة.

(٣) كذا في الأصل، ولعله: لفصصت، وفي تهذيب اللغة ١٢ / ٨٤: إذا أصاب الإنسان جرح فجعل يسيل دما، فص يفص، فصيصا.

(٤) تفسير السمعاني ٦ / ٣٠٢.

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠ / ٤٥٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٨.

سورة الإخلاص

مكية^(١)، وهي أربع آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ ذكر أن أهل مكة سألوا رسول الله: يا محمد أنت تقول إن السماء من الدخان، والجن من مارح من نار، والملائكة من النور، ولنا آلهة من الذهب والفضة والرصاص، فمن أي شيء إلهك، ومن أي جوهر؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالهم وكاد أن يضطرب، فجاءه جبريل وأشار إليه: أن اسكن وقرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿٣﴾.

وهذا تعليم لجميع من يسأل عن الله عز وجل، إذ ليس من حق الائتثار بالأوامر إعادة لفظ الأمر بحرفه، فمن حق الأمر أن لا يذكر حرف «قل»، ولكن خطاب لكل من سأل عن الله تعالى.

وكل ما في القرآن «قل» إمّا إن تكون أجاب عن أمر سبق عنه السؤال، أو يعلمه الله في سابق علمه أنه يقع السؤال عن هذا الحكم، فأجابه قبل ورود السؤال تعليلاً^(٤).

(١) على خلاف بينهم، انظر: الكشف والبيان ٣٠/٤٨٥، زاد المسير ٤/٥٠٥.

(٢) وخمس في المكي والشامي، البيان في عد آي القرآن ٢٩٦.

(٣) تفسير مقاتل ٣/٥٣٥، الكشف والبيان ٣٠/٥٠٢.

وقيل: السائل اليهود، وقيل: السائل النصارى (تفسير الطبري ٢٤/٤٨٧، الكشف والبيان ٣٠/٥٠٣).

(٤) صدر المصنف في تفسير هذه السورة عن كتاب تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ١٠/٦٤٣.

وقوله «هو» قال بعضهم: هو اسم من أسماء الله تعالى يقال في الدعاء: يا هو يا من لا هو إلا هو، وهذا صحيح لأنَّ الله تعالى هو لذاته، وهوية كل مخلوق يحتمل التلاشي، فليس هو بذاته إلا الله تعالى^(١).

وقوله «الله» اسم للمعبود في لسان العرب على الوضع بدون الاشتقاق، فإنهم يسمون كلَّ ما عبده وَمَن عبده إلهاً.

وقيل: إنه مشتق يقال ألِه الرجل إلى آخر؛ إذا التجأ إليه واستجاره، وآلهه بمعنى أجاره وأمنه، فسمي إلهاً لما يلتجأ إليه، كما يسمى إماماً لمن يؤتم به، وفخماً بإدخال الألف واللام تعظيماً.

وسمي إلهاً لتحير القلوب بالتفكر في عظمته، يقال: ألهني الشيء حتى ألهت، منها مفازة ملهة، إذا كان يحار العقل عند^(٢) النظر إلى فضائه وعظمته.

قال الشاعر:

لاه ربي عن الخلائق طراً خالق الخلق لا يُرى ويرانا^(٣)
وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ ولم يقل: واحد، لأنَّ الواحد يستعمل في نفي المثل في الإضافة، يقال: هو واحد الزمان وواحد الأقران.

ولأنَّ الواحد اسم للموجود من حيث العدد، لأن به بيت الحساب، ولا يتبدأ الحساب إلا من واحد، لأنه يقال واحد واثنان، ولا يقال أحد واثنان، فكان لأحد من

(١) تأويلات أهل السنة ٤٦٦/١٠، و«هو» لم يثبت من أسماء الله تعالى، ولم يقل به أحد من السلف، إنما هو ضمير منفصل (تفسير الطبري ٦٨٨/٢٤).

(٢) في الأصل: عن، والتصحيح من تأويلات أهل السنة ٤٦٦/١٠.

(٣) ذكره أبو منصور للاستدلال على اشتقاق ألِه من لهت إذا استترت (تأويلات أهل السنة ٦٤٦/١٠).

هذا الوجه أبلغ من اقتضاء التوحيد من واحد.

وإن كان الله تعالى ثاني حرفين ذكر ووصف فلا يختلف المعنى لأنه الواحد الذي يستحيل أن تكون وحدانيته من واحد يحتمل الثاني، أو من وجه بعد، بل هو الواحد ألا له الحق المتعال عن -يعني- الأعداد والأنداد.

وقد قال المحققون: الآحاد أربع:

واحد: هو كل لا يحتمل التضعيف.

[وواحد هو الأقل وهو الذي لا يحتمل التضعيف]^(١) والنصيف بقليل، والأقل لا يكون له أقل.

وواحد هو الوسط، وهو الذي يحتمل التضعيف والتنصيف.

والقسم الرابع هو واحد قام به الآحاد، وهو صفة الرب عزت قدرته، هو ولا هو إلا هو أخفى وأظهر من كل هو، هو الذي يخرس عنه اللسان، وليقطع قوته البيان، وحارت فيه الأفهام، وانحشرت عنه الأوهام، فذلك الله رب العالمين^(٢).

والوجه المعقول فيه أنه لا سبيل إلى العبارة عنه وعن صفاته إلا باللسان، ولا وجه للتقريب إلى الأفهام باللسان إلا بما جرت به العادة، وظهرت به المعارف، وكلام الله تعالى نزل للأفهام، ولا يتقرب إلى الأفهام إلا بعبارة اللسان؛ المؤسس على الاعتياد، فأحديته تخالف أحدية غيره، لأن أحدية غيره من جهة القلة أو الكثرة غير أحدية الرب، تعالى عما يصفه الملحدون.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ السيد الذي انتهى سؤدده، وكمال سؤدده في الأفهام أن

(١) سقط على الناسخ من انتقال النظر، وتتمته من تفسير أبي منصور ٦٤٨/١٠. وهذا الواحد يحتمل التنصيف لا التضعيف.

(٢) تفسير أبي منصور الماتريدي ٦٤٨/١٠.

ترفع إليه الحوائج، وقيل: السيد الذي لا جوف له فيطعم أو ينام^(١).

وقيل: الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيورث ملكه ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿٢﴾ فيرث ملكه من أحد.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٣﴾ أي ليس له كفوًا فيوازيه، ولا ضد فيعاديه.

وسميت هذه السورة سورة الإخلاص لأن من اعتقد ما فيها فقد أخلص لربوبية الله وأخلص نفسه من الكفر.

وإعرابه^(٢): «هو»: ابتداء، و«الله»: خبر، و«أحد»: خبر بعد خبر.

وقيل: «هو»: اسم مبهم مبتدأ به، و«الله»: بيان له، وتسمية أهل اللغة: عطف البيان، كقوله ﴿ذَلِكَ الَّذِي كُتِبَ﴾، و«أحد»: خبره، والله أعلم.

يقول عبد الحميد الحاکمي - غفر الله له ولأبويه -: واستقصيت في بيان هذه السورة ما لم أستقص في سائر السور القصار، لأن معرفتها ركن التوحيد، إذ في معرفة تفسيرها معرفة الصانع بصفاته الأزلية، كثير من الناس يتغافلون عن البحث والخوض في معاني هذه الكلمات، ويزعمون أنها مشهورة، لا حاجة إلى إبرازها.

وكلا أن يظن به اللبيب إلى ... ذلك، بل هو أحوج إلى النعيم من كل آية أو كلمة ذكرت في بيان التوحيد في القرآن العظيم، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا [إلى] ما لا نستغني عنه في شرائع ديننا.

وبلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات فكأنما قرأ الوحي كله، يغفر الله له ذنوب خمسين سنة»^(٣).

(١) تفسير الطبري ٢٤/٦٨٩، الكشف والبيان ٣٠/٥١٠.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/١٩٤، الدر المصون ١١/١٤٩.

(٣) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٩.

سورة الفلق

مدنية^(١)، خمس آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿١﴾ إنما أمر الله تعالى بالتعوذ تعليمًا لا لنزالة كانت به في ذلك الوقت، ولكن الله تعالى علم بشر هذه الأشياء في الغالب، كما أمر الله بالتعوذ من الشيطان لا لنزالة في تلك الساعة، ولكن لغلبة شره في أكثر الأوقات، لأنه يرى الآدمي من حيث لا يراه الآدمي، وأمر بالتعوذ لتكونوا متيقظين.

وفي التفسير: أن لبيد بن أعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى عشر عقدة، في بئر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستند إلى تلك البئر، فلما استند إليها دب فيه السحر، واشتد عليه ثلاث ليال، فنزل عليه جبريل بالمعوذتين، وأخبره بمكان السحر، فأرسل عليًا فأخرجه، فكلما قرأ آية انحلت عقدة من السحر^(٣).

(١) الكشف والبيان ٣٠/٥٢٣، زاد المسير ٤/٥٠٧.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد أي القرآن ٢٩٧.

(٣) قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم رواها البخاري ٥٧٦٥ ومسلم ٢١٨٩ من حديث عائشة، ولفظه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتينهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا، فقال: يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقع أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا - قال: وفيهم؟ قال: في مشط ومشاقة، قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان، قالت: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه، فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء،

وقوله ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) معناه: امتنع واعتصم، واستعيذ برب الفلق.

قال ابن عباس: الفلق الخلق كلهم^(١).

وقال الكلبي وقتادة: هو الصبح^(٢).

وقال السدي: بئر في جهنم أو وادي^(٣).

وروي عن كعب الأحبار: أنه دخل بعض كنائس الروم فقال: أحسن عمل وأضل قوم، قد رضيت لكم بالفلق، قيل له: وما الفلق؟ قال: بيت النار إذا فتح بابه صاح جميع أهل النار من شدة عذابه.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢) أي: من شر كل هي خلقه ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣) يعني: الليل إذا دخل واشتد بظلمته.

والغسق: في اللغة هو البرد، فُسِمِي الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار، وقيل: سُمِي غاسقاً لغسوق الشرف فيه، والغسوق هو الخروج^(٤).

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (٤) أي: من شر السواحر اللاتي يعقدن عقد السحر ثم ينفثن فيها، فالنفث: يكون النفخ^(٥) من غير ريق والثفل الذي يخالطه ريق. ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٥) فحمله حسده على إنزال مكروهه بالمحسود.

وكان نخلها رءوس الشياطين» قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ - أي تنشرت - فقال: «أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً.

(١) وعنه سجن في جهنم (تفسير الطبري ٦٩٩/٢٤).

(٢) تفسير الطبري ٤٠١/٢٤.

(٣) تفسير الطبري ٧٠٠/٢٤، الكشف والبيان ٥٣٤/٣٠.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٧٩/٥.

(٥) في الأصل: السفين.

وذكر في التفسير أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أُخِّذَ عن عائشة فسحر فسقط على فراشه لا يعقل من شدة الألم، فعاده خازن سماء الدنيا - واسم السماء: الرقيع، واسم الخازن: إسماعيل - وكان معه ملك آخر، فقعد إسماعيل عند رأس رسول الله والمَلَك الآخر عند رجله، فقال المَلَك لإسماعيل: ما أصاب رسول الله؟ فقال إسماعيل: إنه طَبَّ، أي سُحِرَ، فقال: فمن طبه؟ [قال:] لبيد بن أعصم اليهودي، فقال: فأين دفن سحره؟ فقال: تحت راعوفة بئر أروان، ثم رجعا، وأفاق النبي صلى الله عليه وسلم وقد فهم كلامهما، فبعث عليًّا والزبير فأخرجا الدفن فإذا وتر عليه إحدى عشرة عُقْدَةً، فنزل جبريل بالسورتين، فكان ينحل بكل آية منها عقدة، حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه نشط من عقال، والله أعلم بما كان، وما لم يكن^(١).



(١) متفق عليه، وقد ذكرنا لفظ الصحيح آنفاً.

سورة الناس

مدنية^(١)، وهي ست آيات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١) ظاهره ظاهر أمر مشار إليه، وحق الإجابة فيه وفي مثله أن يقول: أعوذ برب الناس، لا أن تقول: قل أعوذ، لكنه -والله أعلم أراد- أن يكون ذلك أمرًا لكل من بلغه، وتعليمًا بالذي هو عليه من الاعتصام بالله، والالتجاء إليه من شر ما ذكر، والمعنى: اعتصم وأمتنع.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾^(٢) استعيد برب الناس، بمعنى مربيهم وخالقهم ومحولهم من حال إلى حال، الذي يملك نفعهم وضرهم، وأنفسهم وأمورهم وأحوالهم.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾^(٣) معبودهم وملجأهم ومفزعهم يألّهون إليه في النوازل والنوائب.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أراد به الوسوسة، والوسواس والوسوسة مصدران، وأصله وسّس فاجتمعت ثلاث سينات وواو واحدة، فحولت إحدى السينات واوًا، فقليل وسوس، كما يقال: لجلج وأصله لجج، وهبهب وأصله هبب، وكبكب وأصله كبب، قال الله تعالى: ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا﴾.

وقيل: الوسواس الشيطان نفسه^(٣).

(١) الكشف والبيان ٣٠/٥٤٥، زاد المسير ٤/٥١٠.

(٢) وسع في المكي والشامي، البيان في عدّ آي القرآن ٢٩٨.

(٣) الكشف والبيان ٣٠/٥٤٥..

وفي الخبر: «أن الوسواس شيطان على صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل، إذا غفل العبد يدخل خرطومه إلى قرب، وإذا ذكر الله حُبِسَ أي رجع واختفى»^(١)، فذلك قوله: ﴿الْخَنَاسِ﴾^(٢) وهو الذي إذا ذكر العبد ربه خنس برأسه كالقنفذ والسلحفاة^(٣).

﴿الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُذُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٤)
قال: وسواس لا يعدو عن الصدور، وما رد الصدر ليس بمحل الوسواس، وهذه الآية مشكلة أحد الآيات^(٥) قال: ﴿الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُذُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٦).

فقال بعضهم: اسم الناس ينطلق على الجن والإنس، لأنه اسم الجنس، كأنه قال: الشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الإنس^(٧).

وقيل: الوسواس من جنسين آدمي وجني، كما قال الله تعالى: ﴿شَیْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، أخبر أن من الإنس شيطان كما من الجن شيطان، والشيطان: اسم لكل متمرد خرج عن طاعة ربه، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِرُؤُوسِ الْإِنْسِ أَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ وأولياء الشيطان كل من يفعل فعلهم من إلقاء الكلمات التي تستغل القلب ويثير من يلقى إليه ذلك، ولا يعرف المخرج منها.

وأما شياطين الجن: معروف عند أهل الأديان من آمن بالرسول، إلا الدهرية ومنكرو الرسالة، يقولون: ليس من الجن شيطان، وإنما الشيطان اسم اخترعته مدَّعوا

(١) روي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم، كما في تفسير الطبري ٧١٠/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج ٣٨١/٥، وتفسير أبي الليث ٦٣٨/٣، والكشف والبيان ٥٤٦/٣٠.

(٢) الكشف والبيان ٣٠/٥٢٣، زاد المسير ٥٠٧/٤.

(٣) هكذا في الأصل، كلام مصحف.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٠٢/٣.

النُّبُوَّةَ وَالرَّسَالَهَ لِيُزَمُّوا الْخَلْقَ الْاسْتِمَاعَ إِلَى كَلَامِهِمْ، حَيْثُ فِي إِظْهَارِ مَا عِنْدَهُمْ، وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ لَعْنًا دَائِمًا^(١).

وقال بعض أهل المعاني: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝﴾ هذه كلها صفة الوسواس، والوسواس من الجنة، كقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ ثم قال: من الجنة والناس معطوف على أول الكلام معنى، يعني من شر هؤلاء ومن شر الناس المضل من بني آدم، والعلم كله عند الله، ولا يعلم الغيب إلا الله^(٢).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين -: بلغنا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة قل أهو برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أعطاه الله تعالى من الأجر كأنما قرأ جميع الكتب التي أنزل على الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»^(٣).

والحمد لله على ما أنعم علينا في مفتاح الكتاب ومختتمه.



(١) تفسير أبي منصور الماتريدي تأويلات أهل السنة ١٠/٦٦٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/٣٨١، إعراب القرآن للنحاس ٥/٢٠٠.

(٣) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٨٠.

[الخاتمة]

يقول عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ذنوبه وذنوب أبويه -: قد أنهيت كتابي إلى أقصى ما تمنيت من شرح متضمن للإيجاز، وحذف معرب عن التطويل والإبراز، والله الحمد والمنة على ما وفقني على إيراد ما لا بد من ذكره من لطائف القصص، على أوجز العبارة، وبدائع الإعراب على التلويح والإشارة، وحل المشكلات على أوضح التبيان، وإظهار المضمرات بالحُجج والبرهان، وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه، ولا يخذلنا بحرمان من ثوابه وأجره، إنه عطوف رؤوف على عباده.

وهذا بيان الإسناد للكتب التي التقت منه الجواهر، وضمنتها في كتابي المسمى بـ«تخليص الدرر»:

فأوله: وهو الركن الوثيق، والمعتمد عليه من كل وجه وطريق: «تهذيب جامع العلوم».

أخبرني به الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، ناصح الدين، أبو طاهر منبه بن محمد بن أحمد المخلصي الفرواني، عن الشيخ الإمام الزاهد محمد بن عمر البروقاني، عن مصنف التهذيب.

وأيضاً أخبرني القاضي الإمام الزاهد سعد بن عمر بن أبي سهل الخالدي، عن الشيخ الإمام الزاهد أبي القاسم بن منصور بن محمد التميمي البلخي.

[عن] مصنف التهذيب: الشيخ الإمام المفسر الكبير أبي بكر محمد بن الفضل الرواس البلخي رحمة الله عليه.

والأصل الثاني: هو «الموضح في التفسير».

أخبرني به الشيخ الإمام شيخ الإسلام ناصح الدين منبه بن محمد المخلصي،

عن الشيخ الإمام الزاهد محمد بن أحمد الحدادي، عن والده مصنف الكتاب: الشيخ الإمام الزاهد أبي نصر أحمد بن محمد الحدادي الفريوبي غفر الله لهم جميعاً.

والأصل الثالث: «كتاب التنزيل».

من تأليف الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن سحمة الهروي.

أخبرني به الشيخ الإمام علي بن عبد الرحمن الواعظ الزورني، عن الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل الزورني، عن أبيه، عن جده الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن سحمة الهروي، وهو مصنف الكتاب.

الأصل الرابع: «معاني الفراء».

أخبرني به القاضي الإمام الأجل، شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي، عن والده الشيخ الإمام أحمد بن الحسين، قال: أخبرني أبو سعيد بن أبي عمر، قال: حدثنا أبو العباس الأصم، قال: حدثنا محمد بن الجهم، قال: حدثنا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وهو مصنف الكتاب.

وبعضها من أصل تفسير الكلبي:

والأقاويل التي ذكرتها من سائر الأصول عن الكلبي، فهو مما أخبرني القاضي الإمام الأجل شيخ القضاة أبو علي هذا، عن أبيه، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن [بن] محبور الدهان، قال: حدثنا الحسين [بن] محمد بن هارون، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن نصر، قال: حدثنا يوسف بن بلال، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

وما ذكرنا فيه قول أبي سهل محمد بن علي الأنماري:

بإسناد ذكرناه عن المفسر الكبير قال: أخبرني عنه رجب بن أحميد الفرغاني.

وما ذكرنا قول الزجاج:

عن المفسر الكبير قال: أخبرنا به أبو سعيد البستي، عَمَّن روى عن الزجاج.

وما ذكرنا فيه قول مقاتل بن سليمان أو مقاتل بن حيان وقول الضحاك وسعيد بن جبير فهو مسموع مسند إلى المفسر الكبير، وهو من أسانيد شيخ القضاة بأسانيد صحيحة إلى المؤلف، وأجاز لنا روايتها عنه، احترزنا عن بيان الإسناد لكل واحد من الأصول.

وذكرنا بعض الطرف والإشارات من «إشارات» أبي عبيد الطوسي، وإن لم يكن سماع ذلك مُسندًا لنا، ولكني رأيت عن المفسر الكبير أنَّ العلماء يختارون ذلك إذا كانت الأصول والنسخ المعتمدة عليها، فأوردت شمة منها ومن غير ذلك، وإن لم يحضرني إسنادها، اقتداء بالسلف الصالح، وأرجو أن الله يتجاوز عنا بركتهم، ولا يؤاخذنا بزلة لم نقصد به فساد أنفسنا، ولا فساد خلقه.

وما ذكرنا في آخر السور من الأحاديث في فضل كل سورة:

فهو مما ذكرنا إسناده بطريقين إلى المفسر الكبير: الشيخ الإمام الأجل أبي بكر محمد بن الفضل الرواس، قال: حدثنا الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن متوية الشنابادي، والشيخ أبو الحسن أحمد بن حمدان بن يوسف السحابي، قالوا: حدثنا أبو شهاب المعمر بن محمد بن المعمر العوفي، قال: حدثنا أبو عصمة عصام بن يوسف الزاهد البلخي، عن سلام بن سليم، عن محمد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، قال: قال أبي بن كعب، حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أباي إن جبريل أمرني أن أقرأ عليك وهو يقرئك السلام» قال: قلت: يا رسول الله، كما كانت لي منك خاصية تقرأ القرآن، فخصني بفضائل قراءة القرآن، مما علمك الله وأطلعك عليه، قال: «نعم، يا أباي ما من عبد قرأ فاتحة الكتاب» ثم ذكر فضائل السور إلى آخر القرآن.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وله المنُّ والفضل والطَّول على ما أنعم على عباده، وزادنا فضلاً، وكرامة بمنه وجوده.

قال مؤلفه رحمه الله: وفرغت من كتابة هذا الأصل المتضمن لما شرحته في الرابع عشر، من ذي الحجة، سنة أربعة عشر وخمسمائة، حامداً لله تعالى، مصلياً على رسوله، مثنياً على الصلحاء من عباده، راجياً شفاعتهم يوم الدين، وصلياً الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب بحمد الله وعونه على يد أقل عبيده وأحوجهم إلى مغفرته: محمد بن الفقير إلى كرم الله تعالى الشيخ رمضان السعودي الشافعي غفر الله لهما.

بتاريخ ثامن عشر شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٣هـ.

وكتب ذلك من خط مؤلفه رحمه الله، لجميع التفسير المذكور وفي آخره من كتابه هذا^(١).



(١) وفرغت من مقابلته رابع عشر ذي الحجة عام ١٤٤٢، أي بعد ٩٢٨ سنة من فراع مؤلفه من تأليفه، أسأل الله القبول لي وله ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وذلك في مدينة حفر الباطن، صانها الله من الحدثان، ثم أعدت فيه النظر وانتهيت من خدمته في الحادي عشر من شهر صفر الخير من عام ١٤٤٣ في الأحساء العامرة، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

٥	سورة عسق
٢٣	سورة الزخرف
٤٥	سورة الدخان
٥٥	سورة الجاثية
٦٥	سورة الأحقاف
٧٩	سورة محمد عليه السلام
٩١	سورة الفتح
١٠٧	سورة الحجرات
١١٧	سورة ق
١٢٩	سورة الذاريات
١٤١	سورة الطور
١٤٩	سورة النجم
١٦٥	سورة القمر
١٧٥	سورة الرحمن
١٩١	سورة الواقعة
٢٠٥	سورة الحديد
٢١٧	سورة المجادلة
٢٢٥	سورة الحشر
٢٣٧	سورة الممتحنة
٢٤٥	سورة الصف
٢٤٩	سورة الجمعة
٢٥٣	سورة يُذكر فيها المنافقون
٢٥٧	سورة التغابن
٢٦١	سورة الطلاق
٢٦٧	سورة التحريم
٢٧٥	سورة الملك

٢٨٣	سورة ن
٢٩٣	سورة الحاقة
٣٠١	سورة سأل سائل
٣٠٧	سورة نوح
٣١١	سورة الجن
٣٢١	سورة المزمل
٣٢٧	سورة المدثر
٣٣٥	سورة القيامة
٣٤٣	سورة الذَّهر
٣٥٣	سورة المرسلات
٣٥٩	سورة عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ
٣٦٥	سورة النازعات
٣٧١	سورة عبس
٣٧٧	سورة كُورَتْ
٣٨٥	سورة انفطرت
٣٨٩	سورة المطففين
٣٩٥	سورة إذا السماء انشقت
٣٩٩	سورة البروج
٤٠٣	سورة الطارق
٤٠٥	سورة سبح
٤٠٩	سورة الغاشية
٤١٣	سورة الفجر
٤١٩	سورة البلد
٤٢٣	سورة الشمس
٤٢٧	سورة الليل
٤٣١	سورة والضحي
٤٣٧	سورة ألم نشرح
٤٤١	سورة التين
٤٤٣	سورة اقرأ
٤٤٧	سورة القدر
٤٥١	سورة لم يكن

